سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٤٢)

فهم السامع

عند علماء اللغة والبلاغة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"يعصمهم منك، لأنك تقطعه وتركبه بخيلك، وبالسفن التي اتخذت له. يقول: لو انعصم نفشه منك لعصمهم. ولكنك قطعته اليهم، وعبرته على سفن اتخذتها، وهي المقربة التي ذكرها حيث يقول:

تلقى بهم زبدَ التَّيارِ مُقرَبةٌ ... على جحافلها من نَضحِه رثم

رثم: بياض في الشَّفة العليا من الدابة. شبه الزبد على مقدمها بالرثم.

دُهُم فوارسُها رُكّاب أبطنها ... مكدودة وبقوم لابها الألم

جعلها دهما لأنها مطلية بالقار. وموضع الركاب من السفينة بطنها. وهي مكدورة لأنها يعمل في السير عليها. والألم، يريد به التعب. وذلك لان التعب يلحق بالملاحين لا السفن لحذفهم بالمجاديف. فهم القوم الذين زعم أن الألم ينالهم من كدها ثم قال:

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ ... كلفظ حرف وعاه سامع فهم

يقول: إنك لما هممت بالعبور اتخذت له السفن على عجلة فكانت المدة في اتخاذها كمدة **فهم السامع** كلمة نطق بها الناطق. وقوله: حرف يحتمل معنيين.

أحدهما حرف من الحروف الثمانية والعشرين، وليس كلها إذا نطق بها مفردة وعى منها السامع معنى بل بعضها. وهي ق من وقيت، وع من وعيت العلم ود من وديت القتيل. ويكون تخصيصها لأنها أقل الكلم ذوات المعاني. فزمان النطق بها أقل زمان.". (١)

٢-"وعرضت عليه سيوف فوجد فيها واحداً غير مذهب، فأمر بالإذهابه، فقال له أبو الطيب ارتجالاً:

أَحْسَنُ ما يُخْضَبُ الحديدُ بِهِ ... وَخَاضِبِيهْ النَّجِيعُ والغَضَبُ

النجيع: الدم.

فيقول: أحسن ما يخضب به الحديد، وأحسن خاضبيه النجيع والغضب؛ يريد: أحسن ما يخضب به الحديد النجيع، وأحسن خاضبيه الغضب، فجمع بين الخبرين والمخبر عنهما، ثقة **بفهم السامع**. والعرب تفعل ذلك، قال الله عز وجل: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) يريد: لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في". (٢)

٣-"عناصر الدرس

* قوله: "واللف والنشر والاستخدام ... أيضا وتجريد له أقسام".

* تعريف كل نوع: لغة، واصطلاحًا، ومثال كل منها.

* قوله: "ثم المبالغة وصف يُدعى ... بلوغه قدرًا يُرى ممتنعًا".

* تعرف المبالغة، وأقسامها، ومثال كل نوع منها.

---

(١) الفتح على أبي الفتح ص/٢٩٦

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الأول ٢/١١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

قال الناظم رحمه الله تعالى:

واللّفُ والنّشرُ والاستخدامُ أيضاً وتجريدٌ لهُ أقسامُ

ثمّ المبالَغَةُ وصْفٌ يُدّعى بُلوغُهُ قَدْراً يُرى ممتَنِعا

أوْ نائياً وَهْوَ على أنْحاءِ تبليغِ اغراقٍ غُلُوٍّ جاءِ

مقبولاً او مردوداً التّفريعُ وحُسْنُ تعليلٍ لَهُ تنْويعُ

واللّفُ والنّشرُ: ذكر في هذا البيت ثلاثة ألقاب من ألقاب الضرب الأول وهو المعنوي، قوله: واللف بالرفع معطوفٌ على قوله: وعُدَّ من ألقابه المطابقة، أي: وعُدَّ من ألقابه المطابقة، واللّفُ والنّشرُ: هذا مركبٌ وليس اللف لوحده لقباً، ولا النشر لوحده لقباً، وإنما هو بمجموع الطرفين.

واللّفُ والنّشرُ، أي: وعُدَّ من ألقابه اللف والنشر، واللف في اللغة: مصدر لف الشيء إذا جمعه، والنشر مصدر نشره إذا بسطه، إذاً: جمعٌ وبسطٌ، اللف: هو الجمع، والنشر: هو البسط، فيجمع أولاً، ثم بعد ذلك يبسط ما جمعه.

واللف والنشر اصطلاحاً عند البيانيين: هو ذكر متعددٍ على جهة التفصيل أو الإجمال، فيذكر شيئاً متعدداً، يعني: له أفراد، إما أن يذكره على جهة الإجمال كدخوله تحت ضميرٍ: قالوا، حينئذٍ جمع بين متعددٍ، أو على جهة التفصيل، بأن يذكره مُفَصَّلاً: ((وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)) [القصص:٧٣] فَفَصَّل .. جمع الليل والنهار، ثم بعد ذلك قال: لتسكنوا هذا راجعٌ إلى الليل، والابتغاء هذا راجعٌ إلى النهار، حينئذٍ جمع بين اثنين وهما مفصلين. إذاً: ذكر متعددٍ على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم بعد الجمع هذا هو اللف، ثم ذكر ما لكل واحدٍ من غير تعيين، ثقةً بأن السامع يرده إليه، يعني: إحالة على ذهن السامع، السامع هو الذي يفهم بأن النشر إنما يكون تابعاً للأول من اللف، والثاني يكون تابعاً للثاني، أو أن يكون مشوشاً ليس فيه ترتيب، وإنما يكون النظر إلى ذهن السامع.

وعرفه السيوطي في شرحه على عقود الجمان بقوله: " أن تذكر شيئين أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحدٍ "كما ذكرنا في المثال السابق: ((جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)) [القصص:٧٣] فَصَّل .. سمى الليل وسمى النهار، أو إجمالاً، ((وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى)) [البقرة:١١١] قالوا: الواو هنا فيه إجمال، لأنه أراد به اليهود والنصارى، فذكر متعدداً، لكنه كنى عنه بالضمير وهو الواو، أو إجمالاً: بأن تأتي بلفظٍ يشتمل على متعددٍ، ثم تذكر أشياء على عدد ما ذكرته كل واحدٍ يرجع إلى واحدٍ من المتقدم، وتفوض إلى عقل السامع رد كل واحدٍ إلى ما يليق به لا أنك تنُص عليه، هذه عبارة السيوطي رحمه الله تعالى في شرحه على عقود الجمان، حينئذٍ يكون النظر هنا بالإحالة إلى **فهم السامع**، هو

الذي يرد هذا إلى ذاك، وإن كان قد يقع فيه شيءٌ من اللبس، لكن الفطن لا يلتبس عليه شيءٌ من ذلك البتة.". (١)

٤-"خاتمي خنصري الذي يألفه، وباشر منه غير ما كان يعرفه. وثنى الخاتم مشيرا إلى خنصريه، واستغنى بذكر أحدهما عن ذكر صاحبه، إشارة إلى ما قدمه من تثنية الخاتم، معولا على ما أسند إليه من فهم السامع.

ثم قال: أعطى الزمان فلم أقبل عطاءه الذي بذله، وأراد لي فلم أقنع بمراده الذي مكنه، ورغبت عمن أصحبنيه من الأمراء، وأرشدني إليه من الرؤساء، وتخيرت سيدهم وعمدتهم، وصراحهم وغرتهم، وأشار بذلك إلى ابن العميد الذي اعتمد بمدحه، وآثره بقصده.

أرَجَانَ أيَّتُها الجِيادُ فإنَّهُ ... عَزمي الَّذي يَذرُ الوَشِيجَ مُكسَّرا

لَو كُنتُ أَفعَلُ ما اشتَهَيتِ فَعَالَهُ ... ما شَقَّ كَوكَبُكِ العَجَاجَ الأكدَارَا

أرجان: بلد من بلد فارس، فيه كان ابن العميد، والجياد: السراع من الخيل والإبل، والوشيج من الرماح: ما التف عند نباته، وكوكب الركب: جماعتهم ومعظمهم، والعجاج: الغبار، والأكدار: المظلم.

فيقول مخاطبا لإبله: أرجان أيتها الإبل! اعتمديها بقصدك، وأسرعي نحوها بجهدك، فإن السابق لك والناهض نحوها بك، عزمي المستحكم الذي يكسر وشيج الرماح بقوته، ويغلبه بنفاذه وشدته.

ثم قال، وهو يخاطب إبله: لو كنت أفعل ما يوافقك مثله، ويكون على حسب اختيارك فعله، ما تجشمت بك ركوب القفر الذي تواصلين قطعه، ومحاولة البعد الذي تعتمدين قصده، ولا يشق كوكبك العجاج الذي تثيرينه في سيرك، وتقتحمينه بمبلغ جهدك.

أُمِّي الفَضْلِ المُبرَّ أَليَّتِي ... لأُيَمِّمَنَّ أَجَلَّ بَحرٍ جَوهَرَا

أَفتَى بِرُؤيَتِهِ الأنامُ وحَاشَ لِي ... مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقصِّراً أو مُقصِرا

الأم: القصد، والألية: الحلف، والتيمم: الاعتماد.". (٢)

٥-"""""""" صفحة رقم ٦٦ """""""

وقال الفارسي : البلاغة معرفة الفصل من الوصل . وقال إبراهيم الإمام : يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع . وهذا الحكم من إبراهيم مبتور ، لأن الإفهام قد يقع من الناطق ولا يكون بما أفهم بليغاً ، والفهم قد يقع للسامع ممن ليس ببليغ ولا يكون بليغاً ، وليس اشتراكهما في التفاهم بلاغة . البلاغة أن يصيب الناطق بالطبع الجيد ، أو الصناعة المجتلبة ، أو بهما ، وإن ساء فهم السامع لقصور طباعه ، أو بعده عن أسباب الفضيلة . ومن ذا الذي هجا البليغ لأن السامع لم يفهم ، أو هجا السامع لأن الناطق لم يفهم ؟ وإنما البليغ الذي يبلغ القصد بأقرب طرق الإفهام مع حسن الغرض ، وليس أقرب طرق الإفهام تقليل الحروف وأختصار المراد ؛ قد

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون ١/٤٤

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الثاني ٧٨/٢

يكون هذا ، ولكن أقرب الطرق في الإفهام أن تكون الغاية مثالاً للعقل ، ثم يكون المعنى مسوقاً إليها ، واللفظ منسوقاً عليها ، فهم السامع أو قصر . ثم ليس هذا المعنى مقصوراً على العربية ، بل هو شائع في النفوس ، مستمد من العقول ، معروف". (١)

٦-"""""""" صفحة رقم ١٠٨ """""""

ليس إلا مستنيل . . . أو منيل مستطيل أو مباه لمباه . . . أو مجاز أو بخيل قال أعرابي : أحسن الغناء ما أفهم السامع وأطرب الخاشع . وقال أعرابي : إياك أن تكون صاحي اللسان سكران العقل . لمنصور الفقيه : الرجز ومغفل ذكر الأجل . . . سما به طول الأمل فما ارتقى حتى نزل . . . مستكرهاً ؛ ولم يقل قط لشيء قد كمل . . . وقد تناهى واعتدل إلا تبينت الميل . . . والنقص فيه والخلل بعقب ما قيل ؛ وهل . . . ينجي من الله الحيل والله ما شاء فعل . . . سبحانه عز وجل أصبح للناس مثل . . . وعبرة لمن عقل من نال من عز الدول . . . ما لم ينل قط رجل كان إذا قيل رحل . . . نحو بلاد وفصل تطأطأت كل الملل . . . ولم تزل على وجل حتى يقال قد قفل . . . أمسى منيفاً كالجبل ثم تلاشى واضمحل . . . كأنه نجم أفل". (٢)

٧-" القريحة وقد قال بعض الأولين من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه وهذا كله قريب بعضه من بعض

وذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان والله أفضل من ان يخدع وأعقل من ان يخدع وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كفاك من علم الدين ان تعلم ما لا يسع جهله وكفاك من علم الادب ان تروي الشاهد والمثل وكان عبد الرحمن بن اسحق القاضي يروي عن جده ابراهيم بن سلمة قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت الامام ابراهيم بن محمد يقول يكفي من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع

قال ابو عثمان واما انا فأستحسن هذا القول جدا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى الانبياء عامة

أخبرني أبو الزبير كاتب محمد بن حسان وحدثني محمد بن أبان - ولا أدري كاتب من كان - قالا قيل للفارسي ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل وقيل لليوناني ما البلاغة قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقيل للرومي ما البلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة وقيل للهندي ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال بعض اهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ثم قال ومن البصر بالحجة والمعرفة

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٦٦/٢

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ١٠٨/٢

بمواضع الفرصة ان تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذ كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالنظر

وقال مرة جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحرف بما التبس من المعاني او غمض وبماشرد عليك من اللفظ او تعذر ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ان تكون الشمائل موزونة والالفاظ معدلة واللهجة نقية فان جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال ". (١)

٨-" ورفدك الا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتك في أعضادنا وقال الله عزوجل (هذا نزلهم يوم الدين) والعذاب لا يكون نزلا ولكنه لما أقام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سمي باسمه

وقال الآخر

(فقلت أطعمني عمير تمرا ... فكان تمري كهرة وزبرا)

والتمر لا يكون كهرة وزبرا ولكنه على ذا وقال الله عز و جل (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وليس في الجنة بكرة ولا عشي ولكن على مقدار البكر والعشيات وعلى هذا قول الله عز و جل (وقال الذين في النار لخزنة جهنم) والخزنة الحفظة وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها انسان فيمنع منها ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به

وقال أبو عمرو بن العلاء اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز فقال أحدهم قول حميد بن ثور الهلالي

(وحسبك داء أن تصح وتسلما ...)

ولعل حميدا أخذه عن النمر بن تولب قال النمر

(يحب الفتى طول السلامة والغنى ... فكيف ترى طول السلامة يفعل)

وقال أبو العتاهية أسرع في نقض أمر تمامه

ذهب الى كلام الاول كل ما أقام شخص وكل ما ازداد نقص ولو كان الناس يميتهم الداء إذا لأعاشهم الدواء

وقال الثاني من الرواة الثلاثة بل قول أبي خراش الهذلي

(نوكل بالأدنى وإن حل ما يمضي ...)

وقال الثالث بل قول أبي ذؤيب الهذلي

(وإذا ترد إلى قليل تقنع ...)

فقال قائل هذا من مفاخر هذيل ان يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف إثنان منها لهذيل وحدها فقيل لهذا القائل إنما كان الشرط ان يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها والنصف الذي لأبي ذؤيب

---

(١) البيان والتبيين ص/٦١

لا يستغني بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الاول لانك إذا أنشدت رجلا لم يسمع بالنصف الاول ". [(١)]

٩-"ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّاني وَحاجَتُه ... ما فَاتَهُ، وفُضُولُ العيشِ أَشْغَالُ

وقد بين مالك بن الريب ما في هذا المعنى من المحال حين قال:

يقولُونَ: لاَتَبْعَدْ وهم يَدفِنُونَنِي ... وأينَ مكانُ البعدِ إلاّ مَكانيا

وقولها: سم العداة وآفة الجزر: أرادت أنهم كانوا في حياتهم سما لأعدائهم؛ لأنهم كانوا يهلكونهم، وآفة لإبلهم؛ لأنهم كانوا ينحرونها لأضيافهم.

والجزر جمع جزور، وهي الناقة التي تتخذ للنحر.

ويقال: سم وسم بضم السين وفتحها، وزعم الطوسي أنه يقال: سم بكسر السين.

فإن قيل: فكيف قالت: الذين هم، وإنما يتأتى هذا لمن هو موجود؟ وإنما كان ينبغي أن تقول كما قال الآخر:

كانوا على الأعداء ناراً محرقاً ... ولقومهم حِرْماً من الأحرام؟

فالجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن العرب قد تضمر كان اتكالا على فهم السامع، إذا كان في اللفظ دليل عليها، كقوله تعالى: " واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان " ، قال الكسائي: أراد ما كانت تتلوا.

وقال الراعي:

أزمانَ قَوْمي والجماعة كالَّذي ... مَنَعَ الرِّحالَةَ أنْ تميل مَميلاً

أراد: كان أزمان قومي.

والوجه الثاني: أنها لما دعت لهم ببقاء الذكر، بعد موتهم، صاروا كالموجودين، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه.

وقد يجوز أن تكون دعت بقولها لا يبعدن لمن بقي من قومها، أي: لا أبعد الله من بقي من قومي كبعد من مضى منهم، ويقوى هذا قولها بعد هذا البيت:

قومٌ إذا ركبوا سمعتَ لهم ... لَغَطاً من التَّأْبِيه والزَّجْرِ

إن يشْربوا يَهبوا، وإن يَذَروا ... يتواعظوا عن منْطق الهُجْرِ

والخالطين نَحِيتَهم بنُضَارهمْ ... وذَوى الغَنِي منهم بِذي الفقْرِ

هذا ثنائي ما بَقِيتُ لَهُمْ ... فإذا هَلكْتُ أَجنَّني قَبْرِي

ويقوى قول من قال: إنها دعت لمن مات منهم بقولها في هذا الشعر:

لاَقُوا غَدَاةَ قُلابَ حَتْفَهُمُ ... سَوْقَ العَتِير يُساق لِلْعَتْرِ

والعداة: جمع عادٍ، وهو العدو بعينه، ولا يجوز أن يكون جمع عدو؛ لأن فعولا لا يجمع على فعلة، وقد حكى أبو زيد: لا

---

(١) البيان والتبيين ص/٩٥

أشمت الله عاديك أي عدوك.
والنزول في الحرب: على ضربين: أحدهما: أول الحرب، وهو أن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم.
والثاني: في آخرها، وهو أن ينزلوا عن خيلهم، ويقاتلوا على أقدامهم، إذا كان القتال في موضع وعر ضيق، لا مجال فيه للخيل، وربما اعتنق الرجل صاحبه، فسقطا جميعاً إلى الأرض، وهذا هو النزول الذي أراده مهلهل بقوله:
لَمْ يُطيقوا أنْ ينْزِلوا وَنزَلْنا ... وأخو الحرْب مَنْ أطاقَ النُّزولا
وهو الذي أراد عنترة بقوله:
فيهم أخو ثِقَةٍ يُضَاربُ نازلاً ... بالْمَشْرَفِيّ وفارس لم ينْزِلِ!
والمعترك: موضع القتال، ويقال له: معرك أيضاً، وهو مشتق عن عركت الرحى الحب، إذا طحنته، أرادوا: أنه يطحن من فيه كما تطحن الرحى ما جعل فيها، ولذلك سموه: رحى، قال عنترة:
دارت على القوم رحى طحون
وقد بين ذلك زهير بقوله:
فتعرككم عرْكَ الرَّحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تحمل فتفطم
وإذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبة، فهي إشارة وكناية عن عفة الفرج، تريد: أنهم لا يعقدون مآزرهم على فروج زانية! وكذلك طهارة الذيل.
وإذا وصفوا بطهارة الكم أو الردن وهو الكم بعينه أرادوا أنه لا يخون ولا يسرق.! فإذا وصفوه بطهارة الجيب: أرادوا: أن قلبه لا ينطوي على غش ولا مكروه.! وقد يكنون عن عفة الفرج بطيب الحجزة، كما قال النابغة:
رِقاقُ النِّعال طَيِّبٌ حُجُزَاتُهم ... يُحَيَّونَ بالرَّيْحَانِ يوم السَّباسِبِ
والباء في قولها: بكل معترك، بمعنى في، كما يقال: زيد بالبصرة، وفي البصرة.
ومعاقد الأزر: منصو. على التشبيه بالمفعول به، والكوفيون يجيزون نصبها على التمييز، لأن التمييز عندهم يكون نكرة ومعرفة، ويجوز الانفصال في المعرفة، ولا يجوز عند البصريين إلا أن يكون نكرة.
واللغط واللغط بتسكين الغين وفتحها: اللجبة، والأصوات المختلطة.". (١)

١٠-"وهذا الشعر كالأول في الجزء وإصابة المفصل، وإن أبا الحسن لكما قال سميه أبو الطيب خاتم الشعراء:
عليم بأسرار الديانات واللغى ... له خطرات تفضح الناس والكتبا
بلى كما قال ولي نعمته، وشاكر منته:
إني لأعجب كيف يحسن عقده ... شعر من الأشعار مع إحسانه
ما ذاك إلا أنه در النهى ... يفد التجار به على دهقانه

(١) الحلل في شرح أبيات الجمل ص/٢

أستغفر الله لا أجحد أبا الطيب حقه، ولا أنكر فضله، وقد قال:

ملك منشد القريض لديه ... يضع الثوب في يدي بزاز

ثم نرجع إلى وصف البلاغة، بعد ما أفضينا ووشحنا هذا الباب من ذكر السيد، فنقول: وقالوا: البلاغة ضد العي، والعي: العجز عن البيان.

وقيل: لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك.

وسأل عامر بن الظرب العدواني حمامة بن رافع الدوسي بين يدي بعض ملوك حمير فقال: من أبلغ الناس؟ قال: من حلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحريز.

قيل لأرسطاطاليس: ما البلاغة؟ قال: حسن الاستعارة.

وقال الخليل: البلاغة ما قرب طرفاه، وبعد منتهاه.

وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى، والقصد إلى الحجة وقيل لإبراهيم الإمام: ما البلاغة؟ قال: الجزالة، والإطالة، وهذا مذهب جماعة من الناس جلة، وبه كان ابن العميد يقول في منثوره.

وقيل لبعض الجلة: ما البلاغة؟ فقال: تقصير الطويل، وتطويل القصير، يعني بذلك القدرة على الكلام.

وقال أبو العيناء: من اجتزأ بالقليل عن الكثير، وقرب البعيد إذا شاء، وبعد القريب، وأخفى الظاهر، وأظهر الخفي.

وقال البحتري يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر، ويصف بلاغته:

ومعاون لو فضلتها القوافي ... هجنت شعر جرولٍ ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختياراً ... ووتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدرك ... ن به غاية المراد البعيد

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد بفضل الشعر على النثر.

وحكى الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد قوله: كفى من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء **فهم السامع**. ثم قال الجاحظ: أما أنا فأستحسن هذا القول جداً.

ومن كلام ابن المعتز: البلاغة بلوغ المعنى، ولما يطل سفر الكلام.

وقال ابن الأعرابي: البلاغة التقرب من البغية، ودلالة قليل على كثير.

وقال بعض المحدثين: البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.

ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، قال: قال بعضهم: البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة. وقال: خير الكلام ما قل ودل، وجل ولم يمل. وقال: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه. قال: وقيل: البليغ من يجتني من الألفاظ نوارها، ومن المعاني ثمارها.

وهذا الذي حكاه الثعالبي مما يدلك على حذق أبي الطيب في قوله لابن العميد:

قطف الرجال القول قبل نباته ... وقطفت أنت القول لما نورا

وكان يمكنه أن يقول لما أثمر لكن ذهب إلى ما قدمت، وإن ما اقتدى بقول أبي تمام:

ويجف نوار الكلام، وقلما ... يلفى بقاء الغرس بعد الماء

وكان بعضهم يقول: تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق في غير أهل البادية نقص، والخروج مما بنى عليه الكلام إسهاب.

وقال العتابي: قيم الكلام العقل، وزينته الصواب، وحليته الإعراب، ورائضة اللسان، وجسمه القريحة، وروحه المعاني..

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث: البلاغة الفهم والإفهام وكشف المعاني بالكلام، ومعرفة الإعراب، والاتساع في اللفظ، والسداد في النظم، والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء وصواب الإشارة، وإيضاح الدلالة، والمعرفة بالقول، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار.

قال:". (١)

١١-"فشبه ضرع العنز بالسكير، وصوت الحلب بأزيزه، فقرب بين الأشياء البعيدة بتشبيهه حتى تناسبت، ولو كان الوجه ما قال قدامة لكان الصواب أن يشبه الأشجعي ضرع عنزة بضرع بقرة، أو خلف ناقة؛ لأنه إنما أراد كبره وكثرة ما فيه من اللبن، وكان يعدل عن ذكر الكير وأزيزه الذي دل به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه.

وسبيل التشبيه إذ كانت فائدته إنما هي تقريب المشبه من فهم السامع، وإيضاحه له أن تشبه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه، وتشبه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه، فتقول في المدح: تراب كالمسك، وحصى كالياقوت، وما أشبه ذلك، فإذا أردت الذم قلت: مسك كالسك أو التراب، وياقوت كالزجاج أو كالحصى؛ لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع، وإن كان ما شابه الشيء من جهة فقد شابهه الآخر منها، إلا أن المتعارف وموضوع التشبيه ما ذكرت.

وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شاكلها كلها شيء بشيء في بيت واحد، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد، واتبعه الشعراء في ذلك؛ فقال لبيد ابن ربيعة:

وجلا السيول عن الضلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام، بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه بتجديد تلك لتلك. وحكى عن بشار أنه قال: ما قر بي القرار مذ سمعت قول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً حتى صنعت:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فإن كان مراده الترتيب فصدق، ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبيته، وإن كان المراد تشبيهين في بيت فقد قال

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ص/٨٠

الطرماح في صفة ثور وحشي:

يبدو وتضمره البلاد كأنه ... سيف على شرف يسل ويغمد

وهذا نهاية في الجودة. وأما قول من قال في بيت الحارث بن حلزة:

وحسبت وقع سيوفنا برءوسهم ... وقع السحابة بالطراف المشرج

إن فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس؛ فمحتمل، إلا أن الشاعر لم يصرح إلا بالوقع خاصة، يريد بذلك الحس وحده ظاهر الأمر ولذلك خص الطراف؛ لكونه من الأدم، فصوت القطر عليه أشد منه على غيره من سائر البيوت.

وقال بشار أيضاً:

خلقنا سماء فوقهم بنجومها ... سيوفاً ونقعاً يقبض الطرف أقسما

وقال فشبه شيئين مختلفين بشيئين من جنس واحد:

من كل مشتهرٍ في كف مشتهرٍ ... كأن غرته والسيف نجمان

وربما شبهوا شيئاً بشيئين كقول القطامي:

فهن كالحلل الموشى ظاهرها ... أو كالكتاب الذي قد مسه البلل

وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحتري:

كأنما يبسم عن لؤلؤٍ ... منظم، أو بردٍ، أو أقاح

فقول الشاعر " أو " زيادة تشبيه وإن لم يصح من جميع المشبه بها إلا شيء واحد من جهة الحكم في " أو " . ومن الناس من يرويه:

كأنما يبسم عن لؤلؤٍ ... أو فضة، أو بردٍ، أو أقاح

وهي زعموا رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب؛ فيكون حينئذ الثغر مشبهاً بأربعة أشياء، وقد تقدم أبو تمام فقال:

وثناياك إنها إغريض ... ولآل توم وبرق وميض

فشبهها بثلاثة أشياء حقيقة؛ لأن حكم الواو غير حكم " أو " لا سيما وقد أتى التشبيه بغير كاف ولا شيء من أخوتها، فجاء كأنه إيجاب وتحقيق.

وكثر تشبيههم شيئين بشيئين حتى لم يصر عجباً، وقد جاءوا بتشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد: بالكاف؛ وبغير كاف؛ فقال مرقش:

النشر مسك، والوجوه دنا ... نير، وأطراف الأكف عنم

وقال ابن الرومي:

كأن تلك الدموع قطر ندى ... يقطر من نرجس على ورد

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقش:

إن أقبلت فالبدر لاح، وإن مشت ... فالغصن ماد، وإن رنت فالريم

وقال ابن المعتز:

بدر وليل وغصن ... وجه وشعر وقد

خمر ودر وورد ... ريق وثغر وخد

وقال صاحب الكتاب:

كأن ثناياه أقاحٍ، وخده ... شقيق، وعينيه بقية نرجس

وقال أيضاً على جهة التفسير:". (١)

١٢-"وهي ضروب كثيرة. والناس فيها مختلفون: منهم من يؤثرها، ويقول بتفضيلها، ويراها الغاية القصوى في الجودة، وذلك مشهور من مذهب نابغة بني ذبيان، وهو القائل: أشعر الناس من استجيد كذبه، وضحك من رديئه، هكذا أعرفه، ورأيت بخط جماعة منهم عبد الكريم والباغي من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديئه. وروى قوم من حديث النابغة ومطالبته حسان ابن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التقصير في قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم، ومنهم من يعيبها وينكرها، ويراها عيباً وهجنة في الكلام، قال بعض الحذاق بنقد الشعر: المبالغة ربما أحالت المعنى، ولبسته على السامع؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه؛ لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الإبانة والإفصاح، وتقريب المعنى على السامع؛ فإن العرب إنما فضلت بالبيان والفصاحة، وحلا منطقها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة، وإشارات لطيفة، تكسبه بياناً وتصوره في القلوب تصويراً، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من **فهم السامع** بالاستعارات والمجازات التي استعملوها، وبالتشكك في الشبهين، كما قال ذو الرمة:

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا أنت أم أم سالم

فلو أنه قال أنت أم سالم على نفي الشك بل لو قال " أنت أحسن من الظبية " لما حل من القلوب محل التشكك. وكما قال جرير:

فإنك لو رأيت عبيد نسيمٍ ... وتيماً قلت: أيهم العبيد

فلو قال " عبيدهم " أو " خير منهم " لما ظن به الصدق، فاحتال في تقريب المشابهة؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق.

وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخيل:

كأنه من عرقٍ يسربله ... ككرسف النداف لولا بلله

فإنه لو قال " إنه الكرسف " لم يكن في حسن هذا؛ لأنه يشهد بتقارب الشبهين إلى أن وقع في الشك.. والمبالغة في صناعة

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ص/٩٦

الشعر كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال، ويهول مع ذلك على السامعين، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام أن تمكنه، ولا يتعذر عليه، وتنجذب كلما أرادها إليه، انقضى كلامه. وفيه كفاية وبلاغ، إلا أنه فيما يظهر من فحواه لم يرد إلا ما كان فيه بعد، وليس كل مبالغة كذلك، ألا ترى أن التتميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من المبالغة وإن ظهر أنه من أنواع الحشو المستحسن، وقد مر ذكره. وكذلك ما ناسب قول ابن المعتز يصف خيلاً:

صببنا عليها ظالمين سياطنا ... وطارت بها أيدٍ سراع وأرجل

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو، وهو عندي مبالغة، وكذلك الإيغال، وسيرد في بابه إن شاء الله.

فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق: التقصي، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي:

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث كانا

فتقصى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه.

ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات، وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل معنى، كقول الله تعالى: " أو كظلمات في بحر لجيً يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعضٍ " .

فأما الغلو فهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها، ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه مما بينت، ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة، إلى كثير من محاسن الكلام: فمن أبيات المبالغة قول امرئ القيس:

كأن المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها ... إذا غرد الطائر المستحر

فوصف فاها بهذه الصفة سحراً عند تغيير الأفواه بعد النوم، فكيف تظنها في أول الليل؟! ومثل ذلك قوله يصف ناراً وإن كان فيه إغراق:

نظرت إليها، والنجوم كأنها ... مصابيح رهبان، تشب لقفال

يقول: نظرت إلى نار هذه المرأة تشب لقفال والنجوم كأنها مصابيح رهبان، وقد قال:

تنورتها من أذرعاتٍ وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عال". (١)

١٣-"لعمري لقد سار ابن سيرة ... أرتك نجوم الليل واضحة تجرى

وأصبح قد صبت على ظهر خالد ... شآبيب ما يرسلن من سيل القطر

وقوله " ٧٩٢،٨٢٩٢ " والغالبة عليك جاريتك الراثقة باثعة العقود.

ش: أي بائعة العهود المكتوبة للعامل في الولايات ومستعملتهم للأعمال بالأموال، تقبضها منهم أثمانا لها، وأعراضا.

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ص/١٢٧

وقوله " ٧٩٢،٨٢٩٢ " مع ما أتلفت من مال الله في المبارك.

ط: المبارك نهر، أنفق فيه مالا كثيرا، وأصلحه خالد، وفيه يقول الفرزدق " الطويل " :

وانفقت مال الله من غير حله ... على نهرك المشئوم غير المبارك

وقوله " ٧٩٣،٨١٩٤ " في أسد بن كرز.

ط: قال أبو عبيدة: كان كرز بن عامر، جد خالد بن عبد الله، أبق عن مواليه عبد القيس من هجر، ويقال إن أصله من يهود تيماء، وكان أبق أيضا منهم، فظفرت بع عبشمس، فكان عند غمغمة بن شق الكاهن، فوهبه لقوم من طهية، فكان عندهم، حتى أدرك، ثم هرب، فأخذته بنو أسد بن خزيمة وكان فيهم، وتزوج مولاة لهم، يقال لها زرنب،ويقال " أنها "كانت بغيا، فأصابها، فولدت له اسدا، سماه باسم أسد بن خزيمة برقه فيهم، ثم اعتقوه، ثم أن نفرا من هجر، اخذوا فداءه، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه، فلم يزا فيهم حتى خرج إلى الطائف، فلما رأى دار بجلية أعجبته فاشترى نفسه، وأقام فيهم،وادعى إليهم، فتفادهم أبو عامر ذو الرفعة، فنزل كرز في نبي ششجيمة هاربا منه، فقتل ابن عم للقتال بن مالك الشجيمي، وهرب إلى البحرين ثم مات، ونشأ ابنه أسد بن "كرز بن عامر " ، يدعى في بجيلة، ولا تلحقه، إلى أن مات، ونشأ ابنه عبد الله، ومضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري، وكتب له، وكان كاتيا " مفوها " فنال شرفا.

الباب الثاني والخمسون

وقوله " ٧٩٣،٨٢٩٤ " وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة.

ش: لم يذكر خليفة له اسم كاتب رسائل إلا سالما مولى سعيد بن عبد الملك.

وقول الشاعر " ٧٩٤،٨٢٩٥ " :

إذا الأمر أغنى عنك حنوته...

" ؟ " أحناء الأمور ما تشابه منها، قال الشاعر: " الطويل "

أزيد أخا ورقاء إن كنت ثائرا

فقد عرضت أحناء حق فخاصم

وقوله " ٧٩٤،٨١٩٦ " ألا يؤتي السامع من سوء إفهام القائل.

ش: هذا الكلام حكاه الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد فقال: وكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتي السامع من سؤ إفهام الناطق " ١٨٢:ب " ولا يؤتي الناطق من سؤ فهم السامع، وأما الذي حكى في هذا المعنى، فهو إنه زعم، أن كل من أفهمك حاجته، فهو بليغ.

وقول تبارك وتعالى " ٧٩٥،٨٢٩٧ " " يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكن " .. " ليس ينبغي أن يوقف على هذا ، لأن ما بعده متعلق به، إذ هو علة لما قبله،

لأن معناه: لأن تؤمنوا، أو من أجل أن تؤمنوا.

" ؟ " ليس ما ذكر بصحيح، ولا يجزو أن يوقف على: إياكم، وإنما أراد أن أن هاهنا، لا تتعلق على حد تعليقها في قولم:

إياك وان تفعل، إذا حذرته، وإنما تتعلق بالكلام الأول تعلق المفعول من اجله، لأنه جعل الإيمان علة الإخراج، لأنه حذر من الإيمان.

تم جميع الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، وذلك في اليوم السادس والعشرين من محرم ثماني وخمسين وستمائة والحمد لله رب العالمين لا شريك له.". (١)

١٤-"وأنشدني الرياشي:

إذا الأمر أغنى عنك جنوبه فاجتنب ... معرة أمر أنت عنه بمعزل

وقال العتابي:

لا ترج رجعة مذنب ... خلط احتجاجاً باعتذار

وقال أيضاً:

وفيت كل خليل ودني ثمناً ... إلا المؤمل دولاتي وأيامي

وقيل للعتابي: ما أقرب البلاغة قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القاتل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع.

وقال ابن يسير:

أقدر لرجلك قبل الخطو منزلها ... فمن علا زلقاً عن غرة زلقا

وكان يقال: اصمت لتفهم، واذكر لتعلم، وقل لتذلق.". (٢)

١٥-" ٨ - (وَنُزُلُهُمْ وَطُلُوعُهُمُ ** فَعَلَى دَرَكٍ وَعَلَى دَرَجِ) و أما نزولهم أي الخلق من علو إلى سفل حسا أو عقلا أعني برتبة وطلوعهم من سفل إلى علو كذلك فعلى درك في الأول وعلى درج في الثاني وفي نسخة فإلى درك وإلى درج يقال النار دركات والجنة درجات والمناسبة ظاهرة نبه بهذا البيت وما بعده على طلب الخوف والرجاء والتوكل والتسليم لأمر الله تعالى تأكيدا لأمر الصبر الذي هو أساس التقوى وقد شبه ما حصل للعبد من محسوس ومعقول بالدرك والدرج بجامع المحلية لأن الدرك والدرج محلان لمن حلا فيهما في وقت مخصوص كما أن الانتقالات في الأحيان واكتساب المعاني السفلية والعلوية محل لكسبه مقدرة بمقادير وصفات مخصوصة . . وأطلق اسم المشبه به على المشبه كما أطلق اسم النزول والطلوع على اكتسابهما مبالغة بالاستعارة التحقيقية وفي البيت الطباق في المصراعين والمناسبة اللفظية فيهما هي الإتيان بكلمات مرتبات مقفيات كما في الأول أو غير مقفيات كما في الثاني واللف والنشر وهو أن يأتي بأشياء ثم تقابل بأشياء بعددها يرد كل منها إلى ما يناسبه من غير تعيين ثقة بفهم السامع والترديد في على والجناس اللاحق وهو ما اختلفت كلماته بحرف بعيد في المخرج وهو في درك ودرج كما في قوله تعالى ! (وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد) !

---

(١) القرط على الكامل ص/٢٠٥

(٢) الكامل في اللغة والأدب ٤/١٠٤

". (١)

١٦-"ألا أبلغ أبا حفص رسولاً ... فدى لك من أخي ثقة إزارى

وقال عنترة كامل:

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

باب الأرداف والتتبيع

هذا الباب مما فرعه قدامة أيضاً من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وسماه هذه التسمية، وشرح تسميته بأن قال: هو أن يريه المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ويعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه أي قريب من لفظه قرب الرديف من الردف، مثل قوله تعالى: " واستوت على الجودي " فإن حقيقة ذلك وجلست على هذا المكان، فعدل عن لفظ المعنى الخاص به إلى لفظ هو ردفه، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من قولك جلست أو قعدت أو غير ذلك من ألفاظ الحقيقة، إذ كان المراد والله أعلم الإخبار ينفي الأسباب الموجبة خوف أهل السفينة من السفينة في حالتي حركتها وسكونها، وذلك لا يحصل حتى يفهم السامع أنها جلست جلوساً متمكناً لا يمل فيه يوجب الخوف، ولا يحصل إلا بلفظ الاستواء دون غيره، وقد جاء في السنة من أمثلة هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة في حديث أم زرع حيث قالت: " زوجي رفيع العماد، عظيم الرماد، قريب البيت من المناد " فإنها أرادت مدح زوجها بتمام الخلق والتقدم على قومه ونهاية الكرم، ولو عبرت عن هذه المعاني بألفاظها لاحتاجت بإزاء كل معنى لفظاً يخصه، فتكثر الألفاظ، ولا يدل كل لفظ إلا على معناه فقط، وألفاظ الإرداف كل لفظ منها يدل على جميع ما أرادت من صفات المدح على انفراد، لا، قولها رفيع العماد يدل على تمام الخلق إذ بناء البيوت على مقادير أجسام الداخلين لها غالباً، ويدل على عظم قدر صاحبه، إذ لا يقدر على أن يرفع بيته على البيوت إلا من قدره مرتفع على الأقد، ارويدل على الكرم أيضاً، لأن الوفود والضيفان يعمدون إلى قصد البيوت المرتفعة دون بيوت الصرم وكذلك عظم الرماد يدل على عظم القدر وعظم الكرم وكثرة الثروة، ومثله قولها " قريب البيت من الناد " ليسبق إلى الضيف، لأن الضيف يقصد النادي، وهو موضع مجمع رجال الحي للحديث، فإذا كان البيت قريباً منه كان صاحبه إلى الضيف أسبق، ولا تحصل هذه المعاني إلا من لفظ الإرداف، فإن قيل: فإذا كانت كل لفظة من ألفاظ الإرداف تدل على عدة معان فما الفرق بين الإرداف والإشارة؟ قلت: لفظ الإرداف يتضمن مع الدلالة على المعاني الكثيرة زيادة مدح للمدوح، ووصف للموصوف، ولفظ الإشارة لا يتضمن إلا الدلالة على كثرة المعاني فقط.

ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول امرئ القيس طويل:

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

(١) المنفرجتان لابن النحوي والغزالي ص/٦٠

فإنه أراد أن يصف هذه المرأة بأنها مخدومة، لها من يكفيها أمر بيتها، فعبر عن ذلك بلفظ يدل على أنها موصوفة بالنعمة ودقة البشرة واقتبال الشباب وكثرة الحظوة وعظم الثروة، فعدل عن لفظ هذا المعنى الذي أراده إلى لفظ هو ردفه حيث قال:
طويل
ويضحى فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى .. ..
لأنها لا تنام الضحى إلا وهي مخدومة عندها من يكفيها أمر بيتها، فهي لا تباشر الأعمال، ولذلك تكون منعمة مرفهة غير شظفة ولا ممتهنة، ألا تراه أكد ذلك بقوله: " لم تنتطق عن تفضل " أي لم تشد في وسطها نطاقاً على ثوبها الذي تنام فيه كفعل من يريد أن يعمل عملاً من النساء، ودل قوله:
ويضحي فتيت المسك فوق فراشها". (١)

١٧-"إني رأيتُ وجوداً لستُ أعرفهُ
وكيف أعلم من بالعلم أجهله
لولا الوجودُ الذي منا يصرّفه
فيها لما كان لي قلبٌ يفصله
إلى وجودٍ إلى ذاتٍ إلى صفة
إلى نعوتٍ له جاءت تكمله
إنّ النفوسَ بأوهامٍ تخيلهُ
وبالتوهمِ نفسٌ ما تحصلهُ
إذا يفصله علمي يحدّده
وهمي وما يقبلُ التفصيلَ يجملهُ
إنَ الجمالَ لمرء يهوى الجميلَ بهِ
والناسُ أعلمهمْ بهِ تجملهُ
فيحملُ الكلَّ عنْ أهلِ الكلالِ فتىً
يدري بأنَّ انبساطَ الحقّ يحمله
أخوكَ يا ابنةَ عمرانٍ شبيهكَ في
كفالة المجتبى والله يكفله
له عليك كما قد جاءنا درج
لذاكَ فاز بما منهُ يؤملهُ

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ص/٣٣

عمداً يراهُ ما الكونُ يفصلهُ

عن الإله ترى الرحمن يوصله

وتلك منزلةٌ عظمى يعينها

لهُ منَ اللهِ بالزلفى منزلهُ

إذا عبيدٌ تراه في مخالفة

لله جود الإلهِ الحقِّ يمهله

وليس تهمله إلا عنايته

بهِ فيمهلهُ وليسَ يهملهُ

وتلك منزلة جاءت بها كتب

ما كان يحظى بها لولا تنزله

العصر العباسي >> محيي الدين بن عربي >> هذا الوجودُ ومن به يتجمل

هذا الوجودُ ومن به يتجمل

رقم القصيدة : ١١٦٦٧

هذا الوجودُ ومن به يتجمل

إنَّ الحديثَ كما يقولُ الأولُ

دلَّ الدليلُ على حدوثِ واقعٍ

عن محدث هو بالدلالة أكمل

إذ كان والأشياء لم يك عينها

فحدوثُها فرق جليٌّ فيصل

عندَ الذي سبرَ الدليلَ بفكرهِ

لكنْ متى في مثلِ ذا لا يعقلُ

إنَّ الزمانَ منَ الحوادثِ عينهُ

ومتى محالٌ في الزمانِ فأجملوا

لوْ يعلمونَ كما علمتَ مكانهُ

ما كنت عنه بمثل هذا تسأل

لحدوثنا إذْ لمْ نكنْ وظهورنا

في عيننا وكذا المكان ففصلوا

لوْ أنَّ رسطاليسُ يسمعُ قولنا

ورجاله نظراً عليه عوَّلوا

أنصفت في التحقيق مذ بينت ما

دلُّوا عليه بالدليل وأصّلوا

والأشعريُّ يقولُ مثلَ مقالتي

وإنْ أنصفوا وكذا الرجالُ الأولُ

والله ما زلتْ بهم أقدامُهم

لكنْ لفهمِ السامعينَ تزلزلوا

قد فرَّقوا بين الوجوبِ لذاته

ولغيره فافهم لعلك تعقل". [١]

١٨-"١(والله ما زلتْ بهم أقدامُهم ** لكنْ لفهمِ السامعينَ تزلزلوا)(قد فرَّقوا بين الوجوبِ لذاته ** ولغيره فافهم لعلك تعقل)(هذا هوَ الإمكانُ عندَ جميعهمْ ** فعن الحقيقة عندنا لم يعدِلوا)٤ (لكنهم ما أنصفوا إذ نوظروا ** في البحثِ بالسرِّ الذي لا يجهلُ)٥ (لو أنهم سبروا أدلة عقلهم ** وتوغلوا في قولهم وتأمّلوا)٦ (رأوا اتساعَ الحقِّ منْ إنصافهمْ ** وقبولهُ للقولِ فيهِ فأقبلوا)٧ (إخوان صدقٍ لا عداوةَ بينهم ** فلهُ العلوُّ نزاهةً والأسفلُ)٨ (الله أوسع أنْ يقيده لنا ** عقدٌ فكلُّ عقيدةٍ لا تبطلُ)٩ (لكنْ لها وجهٌ إليهِ محققٌ ** يدري به الحبرُ اللبيبُ الأكمل)٠ (جاء المحققُ في التجلي بالذي ** وقعَ النكيرُ بهِ وما هوَ أنزلُ)

". [٢]

١٩-"""""""" صفحة رقم ١١٨ """""""

ثم قال : أجمعوا كلّهم على أن أبلغ الكلام ما إذا أشرقت شمْسُه ، انكشف لَبْسه ، وإذا صدقت أنواؤه اخضرّت أحماؤه .

فِقرٌ في وصف البلاغة لغير واحد

قال أعرابي : البلاغةُ التقرّب من البعيد ، والتباعد من الكُلْفَة ، والدلالة بقليل على كثير .

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تقريرُ المعنى في الأفهام ، من أَقْرَب وجوه الكلام .

ابن المعتز : البلاغةُ البلوغ إلى المعنى ولم يطل سَفَر الكلام .

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروْض القلوب ، وقال : العقل رائدُ الروح ، والعلم رائدُ العقل ، والبيان تَرجمان العلم .

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور ١٩٥/٥

(٢) ديوان محيي الدين بن عربي ص/٨١٢

إبراهيم ين الإمام : يكفي من البلاغة ألا يُؤْتَى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتَى الناطق من سوء فهم السامع .
العتَّابي : البلاغة مدُ الكلام بمعانيه إذا قَصر ، وحُسن التأليف إذا طال .
أعرابي : البلاغة إيجاز في غير عَجْز ، وإطناب في غير خَطَل .
وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وَحْشِيَ الكلام : إياك وتتبع الوحشي طمعاً في نَيْلِ البلاغة ؛ فإن ذلك العِيُ الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل .
وقال الصولي : وصف يحيى بن خالد رَجُلاً فقال : أخذ بزمام الكلام ، فقاده أسهل مَقَاد ، وساقه أجمل مَسَاق ؛ فاسترجع به القلوبَ النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .
وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله ، فقال : والله إنه لفصيح إذا نطق ، نصيح إذا وَعَظ . قال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حَوَاشي الكلام ، عَذْبَ ينابيع اللسان ؛ إذا حاور سدَد سهمَ الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلم الخاصة بكلام العامة ، ولا العامة بكلام الخاصة .". (١)

٢٠-"عنى بالمقربة السفن جعلها كالخيل المقربة وقد ذكرناها والنضح أثر الماء والرثم بياض في شفة الفرس العلياء يريد أنه عبر بالسبي الماء وهم في زوارق وسميريات ولما سماها مقربة جعل ما لصق من زبد الماء بها كالرثم في جحافل الخيل

دهم فوارسها ركاب أبطنها
مكدودةٌ وبقومٍ لا بها الألمُ

أي سود مقيرةٌ يركب بطنها لا ظهرها والتعب في سيرها على الملاحين لا عليها

من الجياد التي كدت العدو بها
وما لها خلق منها ولا شيمُ

يقول هذه المقربة يعني الزوارق من الخيل التي جعلتها كيدا لاعدائك وليس لها خلق الخيل وصورها ولا أخلاقها

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ
كلفظ حرف وعاهُ سامعٌ فهمُ

أي هم مما أحدثه رأيك في وقت قريب المدة كالمدة في فهم السامع كلمةً بها ناطق أي كانت المدة في اتخاذها كالمدة في فهم السامع حرفا أي كلمةً ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم مما له معنى كع من وعيت ود من وديت

وقد تمنوا غداة الدرب في لجبٍ
أن يبصروك فلما أبصروك عموا

اللجب اختلاط الأصوات واللجب بكسر الجيم نعتٌ للجيش العظيم الذي تختلط اصواتهم يقول أرادوا أن يبصروك فلما أبصروك غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا وذكر ابن جنى في تفسير عموا وجهين احدهما هلكوا وزالت ابصارهم

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١/١١٨

والآخر عموا عن الرأى والرشد أي تحيروا وكلاهما ليس بالوجه

صدمتهم بخميس أنت غرتهُ

وسمهريتهُ في وجههِ غممُ

جعل الرماح في هذا الجيش كالغمم في الوجه وهو كثرة الشعر وهو من قول الآخر، فلو أنا شهدناكم نصرنا، بذي لجب أزب من العوالي،

فكان أثبت ما فيهم جسومهم

يسقطن حولك والأرواح تنهزم

والأعوجية ملء الطرق خلفهم

والمشرفية ملء اليوم فوقهم

الأعوجية الخيل المنسوبة إلى أعوج فحل معروف عن فحول العرب أي كانت لكثرتها تملأ الطرق وجعل السيوف ملء اليوم لأنها تعلوا في الجو وتنزل عند الضرب في الهواء فأينما كان النهار كانت السيوف وهذا مبالغة في القول وإغراق في الوصف إذا توافقت الضربات صاعدةً". (١)

٢١-" سعيد البصري حيث يقول

(النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن)

(وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها عندي مقيم الألسن)

قال صاحب الريحان والريعان واللحن قبيح في كبراء الناس وسراتهم كما أن الإعراب جمال لهم وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به إلى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنفه قال وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى فإن اللحن يغير المعنى واللفظ ويقلبه عن المراد به إلى ضده حتى **يفهم السامع** خلاف المقصود منه وقد روي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بجر رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال أو بريء الله من رسوله فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية على أن الحسن قد قرأها بالجر على القسم وقد ذهب على الأعرابي فهم ذلك لخفائه وقرأ آخر (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع الأول ونصب الثاني فوقع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمة وضمة إلى فتحة فقيل له يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحدا فتنبه لذلك وتفطن له وسمع أعرابي رجلا يقول أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا وقال رجل لآخر ما شانك بالنصب فظن أنه يسأله عن شين به فقال عظم في وجهي وقال رجل لأعرابي كيف أهلك بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلبا ودخل رجل ". (٢)

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٢/١٣٥

(٢) صبح الأعشى ١/٢٠٦

٢٢-" الباب الثاني من الخاتمة في مطارات الحمام الرسائلي وذكر أبراجها المقررة بطرق الديار المصرية والبلاد الشامية وفيه فصلان

الفصل الأول في مطاراته

قد تقدم في الكلام على أوصاف الحمام عند ذكر ما يحتاج إلى وصفه في أواخر مقاصد المكاتبات من المقالة الرابعة أن الحمام اسم جنس يقع على هذا الحمام المتعارف بين الناس وعلى اليمام والدباسي والقماري والفواخت وغيرها وأن المتبادر إلى **فهم السامع** عند ذكر الحمام هو هذا النوع المخصوص وأن أغلاه قيمة وأعلاه رتبة الحمام الرسائلي وهو الذي يتخذه الملوك لحمل المكاتبات ويعبر عنه بالهدي

وتقدم هناك الكلام على ذكر ألوانها على اختلافها وعدد الرياش المعتبرة فيها وهي رياش أجنحتها وأذنابها وبيان الفرق بين الذكر والأنثى وصفة الطائر الفاره والفراسة في نجابته في حال صغره والزمان والمكان واللائقين بالإفراخ وما يجري مجرى ذلك مما يحتاج إليه الكاتب عند وصفه لبيان النجيب منه من غيره فأغنى عن ذكره هنا

والمختص منه بهذا المكان ذكر الاعتناء بهذا الحمام وأول من اهتم ". (١)

٢٣-"فأجابه: إني رأيتُ الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظم المواضع في أمر الدنيا والدين، فهو غايةُ العالم وبصرِ البصير **وفهم السامع**، ليس كسائر الأشياء التي تدخلها الشبهاتُ ويَجرحها الإغفال ويشوبها الوَهْنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعل مَغرِسَه القلبَ؛ وأغصانه العملَ، وثمرته الثوابَ. وإنما جَعَلَ القلبَ لليقين مَغرِساً، لأنه جعل الخمسَ الجوالب لعلم الأشياء كلّها إلى القلب: السمعَ والبصرَ والمجسةَ والمَذَاقَةَ والاسترواحَ. فإذا صارت الأشياء إليه ميز بينها العقل ثم صارت بأجمعها إلى اليقين، فكان هو المثبتَ لها والموجه كلّ واحدٍ منهن جهتَها. ولولا معرفة القلب بالعقل الذي جعله الله لذلك، لم يفرُقْ سمعٌ بين صوتينِ مختلفينِ، ولا بصر بين صورتين متقاربتين، ولا مجسة بين شيئين غير متشابهين. ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرَفُ بها الضارّ والنافع في العاقبة عند الله تعالى. فلما صار اليقينِ في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب أغصانُها العملُ وثمرتها الثوابُ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما يكون اليقين نابتاً بلا عمل، وأنه كما لا تكون الأغصان نابتة بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعاً إلا بيقين؛ وكما أنه لا تُخلِفً الثمرةُ في الطيب والكثرةِ إذا كان الأصل نابتاً والأغصان ملتفة، فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحَسُنَ عمله. وقد تعرِض للأعمال عوارضُ من العِلل: منهنّ الأملُ المثبطُ، والنفسُ الأمارةُ بالسوء، والهوى المزين للباطل، والشيطانُ الجاري من ابن آدم مجرَى الدم، يضررن بالعمل والثواب، ولا يبلغِ ضررُهن اليقين، فيكون ذلك كبعض ما يَعرِضُ للشجرة من عوارض الأفات فَتذْوِي أغصانها وتنتَّر ورقَها وتَمنع ثمرتَها والأصل ثابت؛ فإذا تجلّت الآفةُ عادت إلى حال صلاحها. فماذا يُعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه، وأن يقينَه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه. فإنما العجب من خلاف ذلك؛ ولَعَمْري لو أشبهَ عملُ امرئ يقينَه فكان في خوفه ورجائه كالمعايِن لِمَا يُعاينه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر إلى ما وعَد وأوعَدَ، لكان ما يعتلج على قلبه من

---

(١) صبح الأعشى ٤٣٤/١٤

خطرات الخوف شاغلاً له عن الرجاء، حتى يأتيَ على نفسه أوّلَ لحظة ينظر بها إلى النار خوفاً لها أو إلى الجنة أسفاً عليها إذا حُرِمَها، وإذاً لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاين له يوم القيامة وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقلَ فضلاً عن أن يعملَ! وأما قولك: "كيف لم يكن خائف الآخرة لربّه كخائف الدنيا لسلطانه " ، فإن الله عزّ وجل خلق الإنسان ضعيفاً وجعله عجولاً، فهو لضعفه موكّل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره، وهو بعجلته موكل بحبّ الأعجل فالأعجل مما يشتهي؛ وزاده حِرصاً على المخلِص من المكروه وطلباً للمحبوب حاجتُه إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طُبِعَ عليه القلبُ من حبه وسَهُل على المخلوقين من طلبه، لما انتفع بالدنيا مُنتفع ولا عاض فيها عائشٌ. ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحابها عند ابن آدم على وجهين، أما المكروه فيقول فيه: عسى أن أكون ابتليتُ به لذنبٍ سلف منّي، وأما المحبوب فيقول فيه: عسى أن أكون رُزِقتُه بحسنةٍ كانت مني فهو ثواب عُجلَ، وهو مع هذا يعلم أن حلومَ المخلوقين إلى الضيق، وأن قلوبَ أكثر مُسَلطِيهم إلى القسوة، وأن العيبَ عنهم مستور، فليس يلتمس ملتمسهم إلا علمَ الظاهر ولا يضع إلا به، ولا يلتفتُ من امرئ إلى صلاح سريرته عون صلاح علانيته. ومن طباع الإنسان اللؤمُ، فليس يَرضَى إذا خِيفَ إلا بأن يُذِلّ، ولا إذا رُجِيَ إلا بأن يُتعِبَ، ولا إذا غَضِبَ إلا بأن يُخضَعَ له، ولا إذا أمرَ إلا بأن يُنفَّذَ أمرُه، ولا ينتفع المتشفعُ بإحسانه عنده إذا أساء ولا المطيعُ بكثرة طاعته في المعصية الواحدة إذا عصى، ولا يرَى الثوابَ لازماً له ولا العقابَ محجوراً عليه، فإن عاقب لم يَستَبْقِ، وإن غَضِبَ لم يتثبتْ، وإن أساء لم يَعتذِر، وإن أذنبَ إليه مذنب لم يَغفرة واللطيفُ الخبير يعلمُ السريرةَ فيغفِرُ بها العلانيةَ، ويمحو بالحسنة عشراً من السيئات، ويصفحُ بتوبةِ الساعة عن ذنوب مائة عام، إن دُعِيَ أجاب، وإن اسْتُغفِر غَفَر، وإن اطيعَ شكر، وإن عُصِيَ عَفَا، وِمن وراءِ عبده بعد هذا كله ثلاث: رحمتُه التى وسعت كلَّ شيء، وشهادةُ الحق التي لا يزكو إلا بها عمل". (١)

٢٤-"وقد قال بعض الهند: جمّاع البلاغة: البصر بالحجّة، والمعرفة بمواقع الفرصة. ومن البصر بالحجّة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح وعراً، وكانت الكناية أحصر نفعاً. وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد، عن أبيه، عن عسل بن ذكوان، قال: دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان، وأراد أن يقعد معه على سريره، فقال له عبد الملك: ما بال العرب تزعم أنّك لا تشبه أباك؟ قال: والله لأنا أشبه بأبي من اللّيل بالليل، والغراب بالغراب، ولكن إن شئت خبرتك عمّن لا يشبه أباه قال: من ذلك؟ قال: من لم تنضجه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه الأخوال والأعمام. قال: ومن ذاك؟ قال سويد بن منجوف. قال عبد الملك: أكذاك أنت يا سويد؟ قال: نعم. فلما خرجا قال عبيد الله لسويد: وريت بك زنادي، واله ما يسرُّني بحلمك عني حمر النعم قال سويد: وأنا والله ما يسرّني أنك نقصته حرفاً، وإن لي سود النعم.

وإنما كان عرّض بعبد الملك وكان ولد لسبعة أشهر.

وربما كانت البلاغة سبباً للحرمان. وأسباب الأمور طريفة والاتفاقات عجيبة أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان،

(١) عيون الأخبار ص/٢٦٩

قال: كتب بعضهم إلى المنصور كتاباً حسناً بليغاً يستمنحه فيه. فكتب إليه المنصور: البلاغة والغنى إذا اجتمعا لامرئ أبطراه، وأمير المؤمنين مشفق عليك من البطر، فاكتف بأحدهما.

وقوله: " ربما كانت البلاغة في الاستماع " ، فإنّ المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدّى إليه الخطاب. والاستماع الحسن عونٌ للبليغ على إفهام المعنى. وقال إبراهيم الإمام: حسبكَ من حظّ البلاغة ألاَّ يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع. وقال الهندي أيضاً: البلاغة وضوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. وقول عبيد الله بن عتبة: البلاغة دنوّ المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير.

فأما البصر بالحجّة فمثل ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال: قال الهيثم بن عدي: أنبأني عطاء بن مصعب، قال: كان أبو الأسود شيعة لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، وكان جيرانه عثمانية فرموه يوماً، فقال: أترمونني؟ قالوا: بل الله يرميك. قال: كذبتم، إنكم تخطئون، وإن الله لو رماني لما أخطأ. وقال بعضهم لأبي على محمد بن عبد الوهاب: ما الدليل على أنّ القرآن مخلوق؟ قال: إن الله قادر على مثله. فما أحار السائل جوابا.

ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة وكان على المنبر يخطب في يوم جمعة، فدخل عثمان بن عفان رضى الله عنه عليه. فقال عمر: ما بال أقوام يسمعون الأذان ويتأخّرون؟ فقال عثمان: والله ما تأخّرت إلا ريثما توضّأت. فقال عمر: وهذا أيضاً، أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من أتى الجمعة فليغتسل "

.

ومثله قول أبي يوسف بعرفة وقد صلى خلف الرّشيد فلما سّلم في الرّكعتين قال: يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر. فقال بعض أهل مكة: من عندنا خرج العلم إليكم. فقال أبو يوسف: لو كنت فقيهاً لما تكلمت في الصلاة.

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان، قال: أقام شاعر بباب معن بن زائدة حولاً لا يصل إليه، فكتب إليه رقعة ودفعها إليه:

إذا كان الجوادُ له حجَاب ... فما فضلُ الجوادِ على البخيلِ

فكتب معن فيها:

إذا كان الجواد قليل مال ... ولم يعذر تعلّلَ بالحجابِ

فانصرف الرجل يائساً، ثم حمل إليه معن عشرة آلاف درهم.

ومن ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال: بلغ إلى ابن الحسين رضى الله عنهما أن عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري يتناولان عليا ويعبثان به، فأرسل إلى عروة، فقال: أما أنت فقد كان ينبغي أن يكون في نكوص أبيك يوم الجمل وفراره ما يحجزك عن ذكر أمير المؤمنين، والله لئن كان عليّ على باطل لقد رجع أبوك عنه، ولئن كان على حقّ لقد فرّ أبوك منه.

وأرسل إلى ابن شهاب، فقال: وأما أنت يا بن شهاب فما أراك تدعني حتى أعرفك موضع كير أبيك.

ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه: " وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه. قال: من يحيي العظام وهي رميم. قل:

يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " .". (١)

٢٥-"وقد يكون المتصوَّر المعاني اللغوية، لأن المراد التفكر فيه لأجل معرفته إنما يعرف بالوصف، وتحتم وجوده، ومعاينة آثاره.

وقد يعرف المصطلحون التفكير فلا يذكرون العقل ونظره اتكالاً على **فهم السامع** كقول الجرجاني: الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول.

ويرى الدكتور جميل صليبا أن الفكر يطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية.

قال أبو عبدالرحمن: من الظواهر العقلية التذكر ولا يسمى وحده فكراً، والتخيل ولا يسمى وحده فكراً.

وإنما التفكر عمل العقل للوصول إلى المجهول، وقد يكون من عمل العقل التذكر والتخيل. والفكر مجموع ما حصل به التفكر.

وذكر الدكتور جميل صليبا من معاني الفكر لدى الفلاسفة حركة النفس في المعقولات.

قال أبو عبدالرحمن: النفس شاملة للعقل والروح والجسد والمشاعر والحواس الظاهرة، فهذا المعنى عائم، وإنما العمل للعقل.

كما أن الحركة قاصرة ومجازية بالنسبة للعقل، والمشهود أن التفكر أعمال عقلية.

وذكر صليبا أنه من الأولى أن يشترط في معنى الفكر القصد لتخرج أعمال العقل في المنام.

قال أبو عبدالرحمن: العقل في عمله يطلب يقيناً ومعرفة، فأعماله قصدية بلا ريب.

وما يحصل في المنام يظهر في صورة أن العقل يفكر عن قصد.. إذن القصد ليس هو المميز، وإنما المميز أن العقل في اليقظة يعمل بنفسه وينظر ويرى، وأما في المنام فالعقل يُرى- بصيغة المجهول- وتُحضر له العناصر التي تأتي في صورة القصد.

وذكر صليبا من معاني الفكر عند الفلاسفة أن التفكير يبدأ من المطلوب إلى مبادئه الموصلة إليه إلى أن يجدها ويرتبها ثم يرجع إليها من المطلوب.

قال أبو عبدالرحمن: ما ذكره ليس أحد المعاني، وإنما هو جزء المعنى، لأن كل ذلك عمل عقلي، ما ذكره ليس أحد المعاني، وإنما هو جزء المعنى، لأن كل ذلك عمل عقلي، وصورة من صوره.. أي أنه مذهب في التفكير، وليس معنى له.. وهكذا المذهب الثالث الذي ذكره صليبا.". (٢)

٢٦-"قال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه. فإذا أراد الكلام رجع إليه، فإن كان له تكلم به وإلا تركه، ولسان الجاهل قدام قلبه يتكلم بما عرض له. وقيل: من لم يخف الكلام تكلم، ومن خافه تبكم قال الشاعر:

تأمل فلا تستطيع رد مقالة ... إذا القول في زلاته فارق ألفما

وقال بعضهم: ذر الرأي الفطير والكلام القضيب فلا يطيب الخبز إلا بائتاً.

---

(١) كتاب الصناعتين ص/٦

(٢) مبادئ في نظرية الشعر والجمال ص/١٧٨

التحذير من جناية اللسان:

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الأجوفان البطن والفم. وقيل فيما روي عنه: وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟ وكان لقمان عبداً أسود لبعض أهل الأيلة فقال له مولاه: اذبح لنا شاة وائتنا بأطيب مضغة فأتاه باللسان، فقال له: اذبح لي أخرى وائتني بأخبث مضغة. فأتاه باللسان، فقال له في ذلك فقال: ما شيء أطيب منه إذا طاب، ولا أخبث منه إذا خبث. وقيل: لم يستر من الجوارح شيء كما ستر اللسان فإن عليه طبقتين وسترين. وقيل لحذيفة: لم أطلت سجن لسانك؟ فقال: لأنه غير مأمون الضرر إذا أطلق. وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. قال الشاعر:

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الأقران؟

متكلم بكلام أدى إلى هلاكه:

بينما المنذر في بعض متصيداته إذ وقف على رابية فقال بعض أصحابه: أبيت اللعن، لو أن رجلاً ذبح على هذا الرابية إلى أي موضع عسى أن يسيل دمه؟ فقال: أنت والله المذبوح لننظر ذلك، وأمر به فذبح. ومر ببهرام طائر بالليل فصاح، فرماه بسهم فأصابه فقال: لو سكت الطائر لكان خيراً له.

التثبت في الجواب والتسرع فيه:

سأل يهودي النبي صلى الله عليه وسلم مسألة فمكث عليه السلام ساعة ثم أجابه عنها، فقال اليهودي: ولم توقفت فيما علمت؟ قال: توقيراً للحكمة. وقيل: من إمارة الحكيم التروي في الجواب بعد استيعاب الفهم. وقيل: من علامة الحمق سرعة الجواب وطول التمني، والإستغراب في الضحك، وقال رجل لاياس: ليس فيك عيب غير أنك تعجل بالجواب؟ فقال: كما أصبع في يديك؟ فقال الرجل: خمس، فقال: لقد عجلت أيضاً، فقال: هذا علم قد قبلته، فقال إياس: وأنا أعجل أيضاً في ما قد قبلته علماً.

الحث على حسن الإستماع والممدوح به:

قيل: تعلم حسن الإستماع كما تتعلم حسن المقال، ولا تقطع على أحد حديثاً. وقيل: استمع فسوء الإستماع نفاق. وقيل: للسائل على السامع ثلاثة أمور: جمع المال، وحسن الإستماع، والكتمان لما يقتضي الكتمان. وقيل: أساء سمعاً فأساء إجابة. وقال فيلسوف لتلميذ له: أفهمت؟ قال: نعم. قال: كذبت، لأن دليل الفهم السرور ولم أرك سررت؟ وقيل: نشاط القائل على قدر فهم السامع. وقيل: من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيماً. وقيل: فلان في الإستماع ذو أذنين، وفي الجواب ذو لسانين.

قال الشاعر:

إذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ... وإن حدثوا قالوا بحسن بيان

وقال رجل: أذني قمع لمن يحدثني.

النهي عن محادثة من ساء استماعه:

قيل: من لم ينشط لاستماع حديثك فارفع عنه مؤنة الإستماع. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم إعراضاً فأمسك. وقيل: لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. وقيل: حدث حديثين امرأة، فإن لم تسمع فأربع أي كفّ.

الحث على ازدياد السمع على المقال:

سمع بقراط رجلاً يكثر من الكلام فقال له: إن الله تعالى جعل للإنسان لساناً واحداً وأذنين ليسمع ضعف ما يقول.

تفضيل السماع على المقال:

كان أعرابي يجالس الشعبي فأطال الصمت، فسأله عن ذلك فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم. وقيل لأعرابي: لم لا تتكلم؟ فقال: حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له. وقال محمد بن المنكدر: لأن أسمع أحب إلى من أن أنطق، لأن المستمع يتقي ويتوقى.

الحث على التصامم عن الخنا والتمدح به:

محمود الوراق:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

أبو تمام:

أذن صفوح ليس يفتح سمها ... لدنيئة وأنامل لم تقفل

وقال آخر:

فتى عزت عنه الفواحش كلها

وقال آخر:

عي عن الفحشاء أما لسانه ... فعف، وأما طرفه فكليل

الموسوي:". (١)

٢٧-"وصف إبن شريح مغنياً فقال: كأنما خلق من كل قلب فيغني لكل ما أحب. وقيل لابن جامع: إنك حسن الإيقاع! فقال: برئت من الإسلام إن كنت ضرطت منذ ثلاثين سنة الإ بالإيقاع، فكيف أخرج منه في الغناء؟ وقال الواثق: غناء علوية مثل نقر الطست،يبقى في السمع بعد سكوته. قال إبراهيم الموصلي: عشقت جارية فهجرت اللذات من اجلها، فبينما أنا جالس إذ استؤذن علي لشيخ معه جارية فأذنت له،فدخل فإذا هي صاحبتي فجلس الشيخ وقال: أشرب. فدعوت بالنبيذ فشرب ثلاثة أقداح وقال لي: عن يا أبا إسحق فتعجبت من جرأته علي، وذلك أن الخليفة كان ينزهني عن ذلك، ثم غنيت فأخذ العود واندفع يغني:

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف ... غزال بأوقات الزيارة عارف

(١) محاضرات الأدباء ٢٧/١

فما راعني إلا سلام عليكم ... أأدخل؟ قلت: أدخل لما أنت واقف؟

فتزعزعت الحيطان وأغمي علي وعلى الحاضرين من الغلمان، فلما أفقت إذا بجارية جالسة والشيخ لم أره، فسألت البواب فقال: لم أره. وسألت الجارية فقالت: لا أدري إلا أنه جاءني على لسانك فلم أجسر على مخالفته، فعلمت أنه أبو مرة.

وسمع إبراهيم الموصلي غناء مخارق وعلوية فقال: نعم الفسيلتان أنتما لإبليس في الأرض. وقيل: لم يكن في الإسلام أحسن صوتاً من مخارق، غنى يوماً في منتزه وقد سنحت ظباء فجاءت إعجاباً بغنائه. وتوسط دجلة يوماً وغنى فلم يبقى أحد إلا بكى، وكان أبوه جزاراً، فكان ينادي على اللحم في صغره فيفتن الناس بحسن صوته، وكان إذا تنفس يطرب من سمع تنفسه.

من يستطاب سماع الغناء منه:

سئل حكيم عن فرق ما بين غناء النساء والرجال فقال: ما خلقت الأغاني إلا للغواني. وقيل: نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله. قال الجاحظ: كم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله وبين أن تسمعه من فم تشتهي أن تصرف بصرك عنه، وأيهما أملح أن يغنيك فحل ملتف اللحية وشيخ منخلع الأسنان متغضن الوجه، أو تغنيك جارية كطاقة نرجس أو آس؟ وأنشد:

من كف جارية كأن بنانها ... من فضة قد طرفت عنابا

وقيل: أطيب الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك. قال يحيى بن خالد لابن جامع: من أحسن الناس غناء؟ فقال من أطرب الخاشع وأفهم السامع. قال الموصلي: إذا تغنيت بالمديح ففخم أو بالنسيب فأخضع، أو بالمراثي فاحزن أو بالهجاء فشدد.

غناء يستطاب له الشراب:

سمع رجل غناء حسناً فقال: السكر على هذا شهادة.

كشاجم:

فلست آبى وإن سقوني ... على أغانيه نيل مصر

الخبزارزي:

ولو أن البحور خمر لدينا ... وتغنيت لارتشفت البحورا

غناء غير مفهوم المعنى:

أبو تمام في وصف جارية:

ومسمعة يحار السمع فيها ... طربت لحسنها بصدى غناها

ولم أفهم معانيها ولكن ... ورت كبدي ولم أجهل شجاها

فكنت كأنني أعمى معنّى ... بحب الغانيات وما رآها

إقتراح الفارسي:

بعض الأصفهانيين:

غنّنا يا غلامنا وأمهنا ... وتنكب غناءك العربيا

إننا معشر من العرب ... الغر كرام فغننا الفارسيا

واسقناها مدامةً نازعتها ... وبس دامين بكرةً وعشياً

مغن قبيح الغناء:

قال بعضهم: كأنه مكوك يتدحرج على درجة. وغنى مغنّ فقيل لبعض الندماء: كيف ترى؟ فقال:

ويحسّن الندمان في خلقه ... دجاجة يخنقها ثعلب

واقترح على مغن فامتنع فقال بعض الحاضرين: غن لهم صوتاً فإنهم يقترحون عليك حينئذ بالسكوت! قال:

كلما قلت: أقترح قا ... ل: اقتراحي أن تكفا

وقيل لهارون: فلان إذا غنى غمض عينيه فقال: أظنه يفعل ذلك استحياء لقبح غنائه. وقيل لآخر فقال: نائمة تندب في مأتم! وقيل لآخر فقال:

نحمد الله فإنا ... قد سمعنا ما كرهنا

وقيل لآخر فقال:

فأحسن بحالك أن لو خرست ... وأحسن بنا لو رزقنا الصمم

ابن الرومي:

وكأن جرذان المحلة كلها ... في حلقه يقرضن خبزاً يابسا

وله:

وإن سكوتها عندي لبشرى ... وإن غناءها عندي لمقعى

فقرطها بعقرب شهر زور ... إذا غنّت، وطوقها بأفعى

جحظة:". (١)

٢٨-"يقول: هذه النارة هندية: أي سيوف مطبوعة بالهند، فهي تصغر المقتول وتعظم القتال، ويدرك بها العز والشرف.

قاسمتها تلّ بطريقٍ فكان لها ... أبطالها ولك الأطفال والحرم

يقول قسمت أهل هذه البلد بينك وبين سيوفك، فأعطيتها الأبطال، وأخذت لنفسك النساء والأطفال.

تلقى بهم زبد التّيّار مقربةٌ ... على جحافلها من نضحه رثمٌ

التيار: الموج. والمقربة: ها هنا، هي السفن. والرثم: بياض في شفة الفرس العليا. والضمير في بهم يعود إلى أصحاب الخيل وإلى السى.

---

(١) محاضرات الأدباء ٣٢٦/١

يقول: سبيت الأطفال والحرم، وشحنت بهم السفن، وعبرت بهم النهر. وشبه السفن في النهر بالخيل المقربة، وشبه زبد الماء على مقاديم السفن بالرثم، وجحافل الخيل: أراد بها الخيل نفسها.

دهمٌ فوارسها ركّاب أبطنها ... مكدودةٌ وبقومٍ لا بها الألم

يقول: إن هذه الخيل دهم. يعني: أن السفن مطلية بالقار، وفوارسها يركبون بطونها، بخلاف الخيل التي يركب ظهورها، وهي مكدودة في السير، ولكن ليس بها ألم الكد، وإنما يلحق الكد والتعب قوماً آخرين، وهم الملاحون.

من الجياد الّتي كدت العدوّ بها ... ومالها خلقٌ منها ولا شيم

يقول: هذه السفن، هي بعض خيلك التي تكيد بها عدوك، ولكنها لا تشبهها في الخلقة ولا في الطبع.

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ ... كلفظ حرفٍ وعاه سامعٌ فهم

يقول: هذه السفن كانت نتيجة رأيك لما أردت أن تعبر النهر بالسبي، أنشأتها في أسرع وقت، وكانت المدة في اتخاذها، في القصر كمدة فهم السامع كلمة نطق بها الناطق.

وقد تمنّوا غداة الدّرب في لجبٍ ... أن يبصروك فلمّا أبصروك عموا

في لجب: أي في اختلاط أصوات. وروى: في لجب: أي في جيش ذا لجب.

يقول: كانوا يتمنون لقاءك حين كانوا على الدرب، فلما عاينوك عموا: أي ماتوا، فزالت أبصارهم.

وقيل: تحيروا لما نظروا إليك فلم يملكوا أبصارهم.

وقيل: عموا عن الرأي؛ لما لحقهم من الخذلان.

صدمتهم بخميسٍ أنت غرّته ... وسمهريّته في وجهه غمم

وروى صبحتهم بدل صدمتهم والغمم: كثرة الشعر على الناصية والقفا، شبه الجيش بفرس، وشبه سيف الدولة بغرته، والرماح بشعر ناصيته، وإنما شبهه بالغرة لتقدمه على الجيش، أو لأنه كان يزين الجيش كما تزين الفرس غرته

فكان أثبت ما فيهم جسومهم ... يسقطن حولك والأرواح تنهزم

يقول: كانت جسومهم أثبت شيء منهم؛ لأنها إذا سقطت عن الدواب ثبتت مكانها، والأرواح كانت تطير ولا تستقر.

والأعوجيّة ملء الطّرق خلفهم ... والمشرفيّة ملء اليوم فوقهم

الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى أعوج، وهو فرس كريم كان لكندة، فأخذه بنو سليم في بعض أيامهم، فصار إلى بني هلال.

يقول: انهزموا وتبعتهم خيلك وكانت تملأ الطرق، لانبساطها على وجه الأرض. ولما كانت السيوف تعلوا في الجو، جعلها ملء النهار لأنه ما بين السماء والأرض ولأن النهار من الشمس والشمس تعلو.

إذا توافقت الضّربات صاعدةً ... توافقت قللٌ في الجوّ تصطدم

يقول: إذا اتفقت الضربات في الصعود إلى الرءوس: أي وقعت في وقت واحد، توافقت الرءوس في انحدارها، ويصطدم بعضها ببعض، وإنما قال: صاعدة لأن الحذاق يضربون السيوف من تحت إلى فوق وصاعدة نصب على الحال.

وأسلم ابن شمشقيقٍ أليّته ... ألاّ انثني فهو ينأى وهي تبتسم

يقول: انهزم وترك يمينه التي حلف، ألا انثني عنك، فكان يبعد هو في الهرب ويمينه تبسم من عمله بها.

لا يأمل النّفس الأقصى لمهجته ... فيسرق النّفس الأدنى ويغتنم

يقول: هو يتوقع القتل، ولا يطمع في أن يبقى، وهو النفس الأقصى، فيسرق النفس الأدنى: أي الأقرب منه ويعده غنيمة، ولا يأمل أن يتنفس نفساً بعده.

تردّ عنه قنا الفرسان سابغةٌ ... صوب الأسنّة في أثنائها ديم

السابغة: الدرع، وهي فاعلة ترد والهاء في عنه للبطريق.

يقول: إن الخيل كانت في إثره تطعن ظهره وهو منهزم، ولكن رد عنه رماح الفرسان درعه المحكمة، مع أن وقع الأسنة عليها في الكثرة كوقع المطر.

تخطّ فيها العوالي ليس تنفذها ... كأنّ كلّ سنانٍ فوقها قلم

فيها: أي في السابغة.". (١)

٢٩-"""""""" صفحة رقم ٢٩٩ """""""

فلما كان بعد ذلك قالت له : إن جارك هذا لا يدعنا ننام الليل من قراءة القرآن قال : هكذا قومي ؛ رهبان بالليل ، ملوكٌ بالنهار . وقال عبد الله : إن بأهل المعروف من الحاجة إليه أكثر مما بأهل الرغبة منهم فيه ؛ وذلك أن حمده وأجره وذكره وذخره وثناءه لهم ، فما صنعت من صنيعة أو أتيت من معروفٍ ، فإنما تصنعه إلى نفسك ، فلا تطلبن من غيرك شكر ما أتيت لي نفسك . ويروى هذا الكلام لابنه جعفرٍ رضي الله عنه .

علي بن عبد الله بن العباس وولده

قال علي رحمة الله عيه : من لم يجد مس نقص الجهل في عقله ، وذلة المعصية في قلبه ، ولم يستبن موضع الخلة في لسانه عند كلال حده عن حد خصمه ، فليس ممن ينزع عن ريبةٍ ، ولا يرغب عن حال معجزة ، ولا يكترث لفصل ما بين حجةٍ وشبهةٍ . وقال : سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء . وقال محمد بن علي وذكر رجلا من أهله : إني لأكره أن يكون لعمله فضلٌ على عقله كما أكره أن يكون للسانه فضلٌ على علمه : وقال أبو مسلم : سمعت إبراهيم بن محمد الإمام يقول : يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع . وكان من الخطباء داود بن علي ، وهو الذي يقول : المللك فرع نبعةٍ نحن أفنانها ، وذروة هضبةٍ نحن أركانها . وخطب بمكة فقال : شكراً شكراً ، إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ، ولا لنبني فيكم قصراً . أظن عدو الله أن لن نظفر به ؟ أرخى له في زمامه ، حتى عثر في فضل خطامه . فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مطلعها ،". (٢)

(١) معجز أحمد ص/٣٥٧

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع ٢٩٩/١

٣٠-"""""""" صفحة رقم ٩ """"""

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل ، وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : ألا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل .

وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه .

وقيل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ قال : الذي إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع .

وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك .

وسأل معاوية صحاراً العبدي : ما هذه البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ .

وقال الفضل : قلت لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل .

وقال قدامة : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة وهو مطابقة اللفظ المعنى لا زائد ولا ناقصاً ؛ والإشارة وهو أن يكون الفظ كاللمحة الدالة ؛ والدليل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، ليظهر لمن يفهمه ، ويتأكد عند فهمه .

قال بعض الشعراء :

يكفى قليل كلامه وكثيره . . . بيت إذا طال النضال مصيب". (١)

٣١-"وأنه موضوع لذلك المعنى كان بحثا لغويا خارجا عن المطالب التصوّرية، وأمّا إذا كان الغرض منه تصوير معنى اللفظ أي إحضاره فليس كذلك كما إذا قلنا الغضنفر موجود، فلم يفهم السامع منه معنى، ففسرناه بالأسد فيحصل له تصوّر معناه فذلك من المطالب التصورية انتهى. وفيه أنّ هذا التفسير لإحضار صورة حاصلة للحكم عليه بموجود وليس كل ما يفيد إحضار صورة حاصلة تعريفا لفظيا وإلّا لكان جميع الألفاظ المعلومة أوضاعها تعريفات لفظية لكونها مفيدة لإحضار صورة حاصلة بل هو أي التعريف اللفظي ما يفيد إحضار صورة حاصلة، ويعلم بأنّ اللفظ موضوع بإزائها كقولنا الغضنفر الأسد، على أنه يرد على قوله ففسرناه بالأسد ليحصل معناه أنه إن أراد به أنّ التفسير يفيد حصول المعنى ابتداء فممنوع. وإن أراد أنه يفيده بتوسط إفادته العلم بأنه موضوع فمسلّم.

لكن حينئذ يكون التفسير المذكور للعلم بالوضع وحصول المعنى بتبعه فتدبر.

فائدة:

من حق التعريف اللفظي أن يكون بألفاظ مفردة مرادفة فإن لم توجد ذكر مركّب يقصد به تعيين المعنى لا تفصيله ويجري في الحروف والأفعال أيضا.

فائدة:

يجب معرفة المعرّف قبل معرفة المعرّف قبلية زمانية وذاتية، فإنّ كونه طريقا لتلك المعرفة يثبت القبلية الزمانية، وكونه سببا لها يثبت القبلية الذاتية، فيكون غير المعرّف ويكون أيضا أجلى منه، ولا بدّ أن يساويه في العموم والخصوص ليحصل به التمييز

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع ٩/٧

إذ لولاه لدخل فيه غير المعرّف على تقدير كونه أعمّ مطلقا أو من وجه، فلم يكن مانعا مطردا أو خرج عنه بعض أفراده على تقدير كونه أخص، إمّا مطلقا أو من وجه فلم يكن جامعا ومنعكسا. وهذا مذهب المتأخرين. وأمّا المتقدمون فقد قالوا الرّسم منه تام يميز المرسوم عن كل ما يغايره ومنه، وناقص يميزه عن بعض ما يغايره. وصرّحوا بأنّ المساواة شرط لجودة الرسم وجوّزوا الرسم بالأعم والأخص، وأيّد ذلك بأنّ المعرّف لا بدّ أنّ يفيد التمييز عن بعض الأغيار كما يقتضيه تعريفهم للمعرّف بما يستلزم معرفته معرفته، فإن المعرفة تقتضي التمييز في الجملة. وأمّا التمييز عن جميعها فليس بشرط أنّ التصورات المكتسبة كما قد تكون بوجه خاص بالشيء إمّا ذاتي أو عرضي، كذاك يكون بوجه عام ذاتي أو عرضي، فيجب أن يكون كاسب كل منهما معرفا.

فالمساواة شرط للمعرّف التام دون غيره حدا كان أو رسما.

فائدة:

كلّ من قسمي التعريف الحقيقي لا يتجه عليه منع لأنّ المتصدّي لهما بمنزلة نقاش ينقش لك في ذهنك صورة مفهوم أو موجود، فإنّه إذا قال الإنسان حيوان ناطق لم يقصد به أن يحكم عليه بكونه حيوانا ناطقا وإلّا لكان مصدقا لا مصوّرا، بل أراد بذكر الإنسان أن يتوجه ذهنك إلى ما عرفته بوجه ما، ثم شرع في تصويره بوجه أكمل. فليس بين الحدّ والمحدود حكم حتى يمنع، فلا يصح أن يقال للكاتب: لا أسلم كتابتك. نعم يصح أن يقال لا نسلم أنّ هذا حدّ للإنسان أو أنّ الحيوان جنس له ونحو ذلك، فإنّ هذه الدعاوي صادرة عنه ضمنا وقابلة للمنع، فإذا أريد دفعه صعب جدا في المفهومات الحقيقية وإن سهل في المفهومات الاعتبارية. وكذا لا يتجه على الحدّ النقض والمعارضة. أمّا إذا قيل الإنسان حيوان ناطق وأريد أنّ هذا مدلوله لغة أو اصطلاحا كان هذا تعريفا لفظيا قابلا للمنع الذي يدفع بمجرد نقل أو وجه استعمال. هذا كله خلاصة ما في شرح". (١)

٣٢-"العلوم هي الدلالة الوضعية اللفظية، وهي عند أهل العربية والأصول كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم المعنى منه للعلم بالوضع. وعند المنطقيين كونه بحيث كلّما أطلق فهم المعنى للعلم بالوضع.

وتعريفها بفهم المعنى من اللفظ عند إطلاقه بالنسبة إلى من هو عالم بالوضع ليس كما ينبغي لأنّ الفهم صفة السامع والدلالة صفة اللفظ فلا يصدق التعريف على دلالة ما.

وأجيب بأنّا لا نسلّم أنّه ليس صفة اللفظ، فإنّ معنى فهم السامع المعنى من اللفظ انفهامه منه هو معنى كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى.

غاية ما في الباب أنّ الدلالة مفردة يصحّ أن يشتقّ منه صفة تحمل على اللفظ كالدال. وفهم المعنى من اللفظ وانفهامه منه مركّب لا يمكن اشتقاقه منه إلّا برابط مثل أن يقال اللفظ منفهم منه المعنى. ألا ترى إلى صحة قولنا اللفظ متّصف بانفهام المعنى منه كما أنّه متّصف بالدلالة نعم كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى أوضح في المقصود، فاختياره أحسن وأولى.

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/٤٨٤

وأجيب أيضا بأنّ هاهنا أمورا أربعة الأول اللفظ. والثاني المعنى. والثالث الوضع وهو إضافة بينهما أي جعل اللفظ بإزاء المعنى عل معنى أنّ المخترع قال إذا أطلق هذا اللفظ فافهموا هذا المعنى. والرابع إضافة ثانية بينهما عارضة لهما بعد عروض الإضافة الأولى وهي الدلالة. فإذا نسبت إلى اللفظ قيل إنّه دال على معنى كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى العالم بالوضع عند إطلاقه، وإذا نسبت إلى المعنى قيل إنّه مدلول هذا اللفظ بمعنى كون المعنى منفهما عند إطلاقه، وكلا المعنيين لازمان لهذه الإضافة فأمكن تعريفها بأيّهما كان. بقي أنّ الدلالة ليست كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى عند الإطلاق، بل كونه بحيث يفهم منه المعنى العالم بالوضع عند حضور اللفظ «١» عنده سواء كان بسماعه أو بمشاهدة الخطّ الدال عليه أن يتذكّره «٢». فالصحيح الأخصر أن يقال هي فهم العالم بالوضع المعنى من اللفظ.

تقسيم

الدلالة الوضعية في الأطول مطلق الدلالة الوضعية إمّا على تمام ما وضع له وتسمّى دلالة المطابقة بالإضافة وبالدلالة المطابقية بالتوصيف أيضا كدلالة الإنسان على مجموع الحيوان الناطق. وإمّا على جزئه أي جزء ما وضع له وتسمّى دلالة التضمّن بالإضافة وبالدلالة التضمّنية بالتوصيف أيضا كدلالة الإنسان على الحيوان أو الناطق. وإمّا على خارج عنه أي عمّا وضع له وتسمّى دلالة الالتزام والدلالة الالتزامية أيضا كدلالة الإنسان على الضاحك، إلّا أنّهم خصّوا هذا التقسيم بدلالة اللفظ الموضوع لأنّ الدلالة الوضعية الغير اللفظية على الجزء أو الخارج في مقام الإفادة غير مقصودة في العادة لأنّه لا يستعمل الخط ولا العقد ولا الإشارة في جزء المعنى ولا لازمه، وكذا دلالة الخط على أجزاء الخط موضوعة بإزاء جزء ما وضع له الكل لا محالة. ولفظ التمام إنّما ذكر لأنّ العادة أن يذكر التمام في مقابلة الجزء حتى كأنّه لا تحسن المقابلة بدونه. وهذه الأسماء على اصطلاح أهل الميزان.

وأمّا أهل البيان فيسمون الأولى أي ما هو على تمام ما وضع له دلالة وضعية لأنّ منشأه الوضع فقط ويسمّون الأخريين دلالة عقلية.

فالدلالة العقلية عندهم هي الدلالة على غير ما

---

(١) عند حضور اللفظ (- م).

(٢) أو بتذكره (م، ع).". [١]

٣٣-"يوجب لها أمرا به تميّز الشيء عما عداه بحيث لا يحتمل ذلك الشيء نقيض ذلك الأمر. فإذا تعلّق علمنا مثلا بماهية الإنسان حصل عند النفس صورة مطابقة لها لا نقيض لها أصلا، بها تميّزها عما عداه. وإذا تعلّق علمنا بأنّ العالم حادث حصل عندها إثبات أحد الطرفين للآخر بحيث تميّزها عما عداهما، لكن قد يكون مطابقا جازما فلا يحتمل النقيض، أعني النفي وقد لا يكون فيحتمله. فالعلم ليس نفس الصورة والنفي والإثبات عند المتكلّمين بل ما يوجبها فإنّهم

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/٧٩٠

يقولون إنّه صفة حقيقية ذات إضافة يخلقها الله تعالى بعد استعمال العقل أو الحواس أو الخبر الصادق تستتبع انكشاف الأشياء إذا تعلّقت بها، كما أنّ القدرة والسمع والبصر كذلك. وما هو المشهور من أنّ العلم هو الصورة الحاصلة فهو مذهب الفلاسفة القائلين بانطباع الأشياء في النفس وهم ينفونه، والتقسيم إلى التصوّر والتصديق ليس بالذات عندهم، بل العلم باعتبار إيجابه النفي والإثبات تصديق، وباعتبار عدم إيجابه لهما تصوّر؛ وعلى هذا قيل بأنّه إن خلا عن الحكم فتصوّر وإلّا فتصديق. والمراد بالصورة عندهم الشّبح والمثال الشبيه بالمتخيّل في المرآة، وليس هذا من الوجود الذهني، فإنّ من قال به يقول إنّه أمر مشارك للوجود الخارجي في تمام الماهية فلا يرد أنّ القول بالصورة فرع الوجود الذهني، والمتكلمون ينكرونه. والمراد بالنفي والإثبات المعنى المصدري وهو إثبات أحد الطرفين للآخر وعدم إثبات أحدهما له، ولذا جعلوا متعلّقهما الطرفين لا إدراك أنّ النسبة واقعة أو ليست بواقعة كما هو مصطلح الفلاسفة، فلا يرد أنّ النفي والإثبات ليسا نقيضين لارتفاعهما عن الشّكّ وإرادة الصورة عن التمييز ليس على خلاف الظاهر، بل مبني على المساهلة والاعتماد على فهم السامع للقطع بأنّ المحتمل للنقيض هو التمييز بمعنى الصورة والنفي والإثبات دون المصدري فتأمّل، فإنّ هذا المقام من مطارح الأذكياء. وقيل المراد نقيض الصفة وقوله لا يحتمل صفة للصفة لا للتمييز، وضمير لا يحتمل راجع إلى المتعلّق، فالمعنى صفة توجب تمييزا لا يحتمل متعلّقها نقيض تلك الصفة، فالتصوّر حينئذ نفس الصورة لا ما يوجبها وكذا التصديق نفس الإثبات والنفي والتمييز بالمعنى المصدري. ولا يخفى أنّه خلاف الظاهر، والظاهر أن يكون لا يحتمل صفة للتمييز ومخالف لتعريف العلم عند القائلين بأنّه من باب الإضافة. وقالوا إنّه نفس التعلّق وعرّفوه بأنّه تمييز معنى عند النفس لا يحتمل النقيض، فإنّه لا يمكن أن يراد فيه نقيض الصفة، والتمييز في هذا التعريف بمعنى الانكشاف، وإلّا لم يكن العلم نفس التعلّق؛ فالانكشاف التصوّري لا نقيض له وكذا متعلّقه، والانكشاف التصديقي أعني النفي والإثبات كلّ واحد منهما نقيض الآخر ومتعلّقه قد يحتمل النقيض وقد لا يحتمله. وقد أورد على الحدّ المختار العلوم العادية فإنّها تحتمل النقيض، والجواب أنّ احتمال العاديات للنقيض بمعنى أنّه لو فرض نقيضها لم يلزم منه محال لذاته غير احتمال متعلّق التمييز الواقع فيه، أي في العلم العادي للنقيض، لأنّ الاحتمال الأول راجع إلى الإمكان الذاتي الثابت للممكنات في حدّ ذاتها، حتى الحسّيات التي لا تحتمل النقيض اتفاقا.

والاحتمال الثاني هو أن يكون متعلّق التمييز محتملا لأن يحكم فيه المميز بنقيضه في الحال أو في المآل ومنشأه ضعف ذلك التمييز إمّا لعدم الجزم أو لعدم المطابقة أو لعدم استناده إلى موجب، وهذا الاحتمال الثاني هو المراد.

والتعريف الأحسن الذي لا تعقيد فيه هو أنّه يتجلّى بها المذكور لمن قامت هي به، فالمذكور يتناول الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل". (١)

٣٤-"وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي «١» الآية أي جبرئيل كما في قراءة ابن مسعود كذا في الاتقان.

العمى:

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١٢٢٤/٢

[في الانكليزية] Blindness

[في الفرنسية] aveuglement،Cecite

بفتح العين والميم لغة عدم البصر عمّا من شأنه أن يكون بصيرا. فالحجر لا يتّصف بالعمى. وعند الصوفية عبارة عن حقيقة الحقائق التي لا تتصف بالحقيقة ولا بالخلقية، فهي ذات محض لأنّها لا تضاف إلى مرتبة لا حقية ولا خلقية، فلا تقتضي لعدم الإضافة وصفا ولا اسما. وهذا معنى قوله عليه السلام: إنّ العمي ما فوقه هواء وما تحته هواء «٢»، يعني لا حقّ ولا خلق، فصار العمى مقابلا للأحدية. فكما أنّ الأحدية تضمحلّ فيها الأسماء والصفات ولا يكون لشيء فيها ظهور، كذلك العمي ليس لشيء من ذلك فيه مجال ولا ظهور. فالفرق بين العمى والأحدية أنّ الأحدية حكم الذات في الذات بمقتضى التعالي وهو الظهور الذاتي الأحدي، والعمى حكم الذات بمقتضى الإطلاق، فلا يفهم منه تعال ولا تدان وهو البطون الذاتي العمائي، فهي مقابلة للأحدية، تلك صرافة الذات بحكم التجلّي وهذه صرافة الذات بحكم الاستتار، فتعالى الله أن يستتر عن نفسه من تجلّ ويتجلّى لنفسه عن الاستتار، هو على ما يقتضيه ذاته من التجلّي والاستتار والبطون والظهور والشئون والنّسب والاعتبارات والإضافات والأسماء والصفات، لا يتغيّر ولا يتحوّل ولا يلتبس شيئا، بل حكم ذاته هو ما عليه منذ كان، ولا يكون إلّا على ما كان، لا تبديل لخلق الله أي لوصف الله الذي هو عليه، إنّما هو بحكم ما يتجلّى به علينا ويظهر به لنا وهو في نفسه على ما هو عليه من الأمر الذي كان له قبل تجليه علينا وظهوره لنا، وبعد ذلك فهو على ذلك الحكم. لا يقبل ذاته إلّا التجلّي الذي هو عليه، فليس له إلّا تجلّ واحد، وليس للتجلّي الواحد إلّا اسم واحد، وليس للاسم الواحد إلّا وصف واحد، وليس للجميع إلّا واحد غير متعدّد، فهو متجلّ لنفسه في الأزل بما هو متجلّ له في الأبد. وبالجملة فإنّ هذا التجلّي الذاتي الذي هو عليه جامع لأنواع التجلّيات البواقي لا يمنعه كونه في هذا التجلّي أن يتجلّى بتجلّ آخر. لكن حكم التجلّيات الأخر تحته كحكم الأنجم تحت الشمس موجودة معدومة، على أنّ نور الأنجم في نفسها من نور الشمس، وكذلك باقي التجلّيات الإلهية إنّما هي رشحة من سماء هذا التجلّي وقطرة من بحره. ثم اعلم بعد أن أعلمناك أنّ العمى هو نفس الذات باعتبار الإطلاق في البطون والاستتار وأنّ الأحدية هي نفسه باعتبار التعالي في الظهور والتجلّي مع وجوب سقوط الاعتبارات فيها. وقولي باعتبار الظهور واعتبار الاستتار إنّما هو لإيصال المعنى إلى فهم السامع، لا أنّه من حكم العمى اعتبار البطون أو من حكم الأحدية اعتبار الظهور فافهم.

اعلم أنّ هذا التجلّي الواحد هو المستأثر الذي لا يتجلّى به لغيره، فليس للخلق فيه نصيب البتّة البتّة، لأنّ هذا التجلّي لا يقبل الاعتبار ولا الانقسام ولا الإضافة ولا الأوصاف ونحوها. ومتى كان لخلق فيه نسبة احتاجت إلى اعتبار أو نسبة أو وصف، وكلّ هذا ليس من حكم هذا التجلّي الذي هو عليه في ذاته من الأزل إلى الأبد، كذا في الانسان الكامل. ويقول في لطائف اللغات: العمى في

---

(١) آل عمران/ ٣٩

(٢) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة هود، ح ٣١٠٩، ٥/ ٢٨٨.

عند ما سئل صلّى الله عليه وسلم عن مكان رب العالمين قبل خلقه الخلق قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء)". (١)

٣٥-"ذلك المجلى عن الكون الذي يريد تقدير وجوده، ثم يجري ذلك الكون على ما أمره به عناية منه ورحمة سابقة ليصحّ للوجود بذلك اسم الطاعة فتكون سعيدا. وإلى هذا أشار بقوله في مخاطبته للسماء والأرض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ «١». فحكم للأكوان بالطاعة تفضّلا منه، ولذلك سبقت رحمته غضبه.

والمطيع مرحوم فلو حكم عليها بأنّها أتت مكرهة لكان ذلك الحكم عدلا إذ القدرة تجبر الكون على الوجود إذ لا اختيار للمخلوق ولكان الغضب حينئذ أسبق إليه من الرحمة لكنه تفضّل فحكم لها بالطاعة، فما ثمّ عاص له من حيث الجملة في الحقيقة، وكلّ الموجودات مطيعة له تعالى ولهذا آل حكم النّار إلى أن يضع الجبّار فيها قدمه فيقول قط قط فتزول وينبت في محلّها شجر الجرجير كما ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وأمّا النوع الثاني منها فهي الصادرة من مقام الربوبية بلغة الأنس بينه وبين خلقه كالكتب المنزّلة على أنبيائه والمكالمات لهم ولمن دونهم من الأولياء، ولذلك وقعت الطاعة والمعصية في الأوامر المنزّلة في الكتب من المخلوق لأنّ الكلام صدر بلغة الأنس، فهم في الطاعة كالمخيرين أعني جعل نسبة اختيار الفعل إليهم ليصحّ الجزاء في المعصية بالعذاب عدلا، ويكون الثواب في الطاعة فضلا لأنّه جعل نسبة الاختيار إليهم بفضله ولم يكن ذلك إلّا بجعله لهم، وما جعل ذلك إلّا لكي يصحّ لهم الثواب، فثوابه فضل وعقابه عدل. وأمّا الجهة الثانية فاعلم أنّ كلام الحقّ نفس أعيان الممكنات، وكلّ ممكن كلمة من كلماته، ولذا لا نفود للممكن. قال تعالى قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ «٢» الآية، فالممكنات هي كلمات الحقّ سبحانه وذلك لأنّ الكلام من حيث الجملة صورة لمعنى في علم المتكلّم، أراد المتكلّم بإبراز تلك الصورة **فهم السامع** ذلك المعنى، فالموجودات كلمات الله تعالى وهي الصورة العينية المحسوسة والمعقولة الوجودية، وكلّ ذلك صور المعاني الموجودة في علمه وهي الأعيان الثابتة. وإن شئت قلت حقائق الأشياء.

وإن شئت قلت ترتيب الألوهية. وإن شئت قلت بساطة الوحدة. وإن شئت قلت تفصيل الغيب.

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج ٢ ١٣٧٤ فائدة: ..... ص: ١٣٧٢

إن شئت قلت ترتيب الألوهية. وإن شئت قلت بساطة الوحدة. وإن شئت قلت تفصيل الغيب.

وإن شئت قلت صور الجمال. وإن شئت قلت آثار الأسماء والصفات. وإن شئت قلت معلومات الحقّ. وإن شئت قلت الحروف العاليات، فكما أنّ المتكلّم لا بدّ له في الكلام من حركة إرادية للتكلّم ونفس خارج بالحروف من الصّدر الذي هو غيب إلى ظاهر الشفة، كذلك الحقّ سبحانه في إبرازه لخلقه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة يريد أولا ثم تبرزه القدرة، فالإرادة مقابلة للحركة الإرادية التي في نفس المتكلّم، والقدرة مقابلة للنفس الخارج بالحروف من الصّدر إلى الشفة لأنّها تبرز

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/١٢٣٨

من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وتكوين المخلوق مقابل لتركيب الكلمة على هيئة مخصوصة في نفس المتكلّم، كذا في الإنسان الكامل.

كلبه أحزان:

[في الانكليزية] Sadness cabin

[في الفرنسية] Hutte de chagrin

معناها: (كوخ الأحزان وهي كناية عن بيت يعقوب بعد غيبة يوسف عليهما السلام).

وعند الصوفية: هو القلب المملوّ بالحزن من ألم هجر المعشوق «٣».

---

(١) فصلت/ ١١.

(٢) الكهف/ ١٠٩

(٣) نزد صوفيه دلى باشد كه پرغم از هجر معشوق است.". (١)

٣٦-"الأذان. من كلام الرافعي رحمه الله: فإذا ترتب للأذان اثنان فصاعدا، فالمستحب أن لا يتراسلوا، بل إن اتسع الوقت ترتبوا فيه، فإن تنازعوا في الابتداء أقرع بينهم، وإن ضاق الوقت ، فإن كان المسجد كبيرا أذنوا متفرقين في أقطاره، وإن كان صغيرا وقفوا معا وأذنوا، وهذا إن لم يؤد اختلاف الأصوات إلى تشويش، فإن أدى إليه لم يؤذن إلا واحد، فإن تنازعوا أقرع بينهم . اهـ.

وأذانهم جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين، والاتباع في الأذان وغيره متعين، وفي الأذان آكد؛ لأنه من أكبر أعلام الدين، ألا ترى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يغزو قوما أمهل حتى يدخل وقت الصلاة، فإن سمع الأذان تركهم، وإن لم يسمعه أغار عليهم؛ » (١) ولأن في الأذان جماعة جملة مفاسد منها:

الأول: منها مخالفة السنة.

الثاني: من كان منهم صيتا حسن الصوت - وهو المطلوب في الأذان - خفي أمره فلا يسمع.

الثالث: أن الغالب في الجماعة إذا أذنوا على صوت واحد لا **يفهم السامع** ما يقولون، والمراد بالأذان إنما هو نداء الناس إلى الصلاة فذهبت فائدة معنى قوله : (حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم).

الرابع: أن بعضهم يمشي على صوت بعض، والمراد بالأذان أن يرفع الإنسان به صوته مهما أمكنه، وذلك لا يمكنه في الجماعة كما تقدم.

الخامس: أن الغالب على بعضهم أنه لا يأتي بالأذان كله؛ لأنه لا بد أن

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/١٣٧٤

(١) صحيح البخاري الأذان (٥٨٥)،مسند أحمد بن حنبل (٢٠٦/٣).". (١)

٣٧-"وأذانهم جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين، والاتباع في الأذان وغيره متعين، وفي الأذان آكد؛ لأنه من أكبر أعلام الدين، ألا ترى صحيح البخاري الأذان (٥٨٥)،مسند أحمد بن حنبل (٢٠٦/٣). أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يغزو قوما أمهل حتى يدخل وقت الصلاة، فإن سمع الأذان تركهم، وإن لم يسمعه أغار عليهم؛ ولأن في الأذان جماعة جملة مفاسد منها:

الأول: منها مخالفة السنة.

الثاني: من كان منهم صيتا حسن الصوت - وهو المطلوب في الأذان - خفي أمره فلا يسمع.

الثالث: أن الغالب في الجماعة إذا أذنوا على صوت واحد لا **يفهم السامع** ما يقولون، والمراد بالأذان إنما هو نداء الناس إلى الصلاة فذهبت فائدة معنى قوله : (حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم).

الرابع: أن بعضهم يمشي على صوت بعض، والمراد بالأذان أن يرفع الإنسان به صوته مهما أمكنه، وذلك لا يمكنه في الجماعة كما تقدم.

الخامس: أن الغالب على بعضهم أنه لا يأتي بالأذان كله؛ لأنه لا بد أن

(الجزء رقم : ٤، الصفحة رقم: ٢٤)

يتنفس في أثنائه، فيجد غيره قد سبقه بشيء منه، فيحتاج أن يمشي على صوت من تقدمه، فيترك ما فاته من ذلك ويوافقهم فيما هم فيه.

السادس: أنه قد مضت عادة المؤذن على السنة أنه إذا أراد أن يؤذن عمل الحس؛ من تنحنح، أو كلام ما، من حيث إنه يشعر به أنه يريد أن يؤذن، ثم بعد ذلك يشرع في الأذان، هذا وهو مؤذن واحد فكيف بالجماعة؟!

وما ذاك إلا خيفة أن يؤذن ومن حوله على غفلة، فقد يحصل بسببه لبعضهم رجفة، فإذا كان هذا في حق المؤذن الواحد فما بالك بجماعة يرفعون أصواتهم على بغتة، وقد تكون حامل فتأخذها الرجفة بذلك فتسقط، وترتجف بذلك الأولاد الصغار، وكذلك كل من ليس له عقل ثابت، وتشويشهم كثير قل أن ينحصر.". (٢)

٣٨-"غرق شاب في المسبح عمره (١١) سنة وكان المنقذ موجود .

ما الحكم على صاحب المسبح والمنقذ وما الترتيبات الشرعية على ذلك؟؟؟

(...الجواب...)

إذا كان المنقذ موجود وفرّط فعليه الكفارة .

وعلى صاحب المسبح الدِّيَة ؛ إذا وُجِد التفريط .

---

(١) أبحاث هيئة كبار العلماء ٢٣/٤

(٢) البحوث العلمية ٢٩٢/٤

والله تعالى أعلم .

١٠٤-هل يجوز الكذب في هالحاله ؟؟؟

(...السؤال...)

هل يجوز ان اكذب على شخص اذا سالني عن شئ لااريد ان اخبره به

لقوله صلى الله عليه وسلم(اقضوا حوائجكم بالكتمان)

يعني مثلا تسالني عن قيمه بلوزه وانا لااريد ان اخبرها

فهل اكذب او اقول ماادري او ماذا ارد عليها

افيييدوني

(...الجواب...)

قال عمران بن الحصين رضي الله عنه : في المعارِيض مَندوحة عن الكذب . أي أن يُعرّض الإنسان بكلام يُفهم منه غير المقصود من غير أن يلجأ الإنسان إلى الكذب .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرف ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف . فيلقى الرجل أبا بكر ، فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ! قال : فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير . رواه البخاري

فإذا سُئل الإنسان عن شيء ولم يُرِد الإخبار بالحقيقة فيلجأ إلى التعريض ، بحيث يقصد شيئا **ويفهم السامع** منه شيئا آخر !

كما لو سُئلت المرأة عن قيمة شيء اشترته ، فتقول مثلا : بخمسين ، وهي تقصد مثلا : أن الخمسين فوق المائة ! إذا كان سعرها ١٥٠

إلاّ أنها لا تستعمل ذلك في الإيهام بأنها أغلى من ذلك ؛ لأن ذلك من الزور والتشبّع بما لم يُعط الإنسان ، كما قال عليه الصلاة والسلام : الْمُتَشَبِّع بما لم يُعْطَ كَلابس ثَوبي زُور . رواه البخاري ومسلم .

والله تعالى أعلم .

١٠٥-الشيخ الألباني محدث و ليس فقيه ؟

(...السؤال...)

كثير من الناس عندما أحاججهم بقول العلامة الألباني

يردون بهذه الشبهة أن الألباني محدث و ليس فقيه ؟". (١)

---

(١) الفتاوى العامة (للشيخ عبد الرحمن السحيم) ص/١٠٤

٣٩-"قَال ابْنُ حَجرٍ الْهَيْتَمِيُّ : التَّنَابُزُ مِنْ أَفْرَادِ الْغِيبَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَفْحَشِ أَنْوَاعِهَا .

وَقَال أَيْضًا : التَّنَابُزُ حَرَامٌ ، وَهُوَ أَشَدُّ حُرْمَةً فِي الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ .

قَال النَّوَوِيُّ : وَمِمَّنْ يَسْتَعْمِل التَّعْرِيضَ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي التَّصَانِيفِ وَغَيْرِهَا ، كَقَوْلِهِمْ قَال بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ ، أَوْ بَعْضُ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى الصَّلاَحِ ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا **يَفْهَمُ السَّامِعُ** الْمُرَادَ مِنْهُ (١) .

الْحَالاَتُ الْمُسْتَثْنَاةُ مِنَ التَّنَابُزِ :

٦ - أ - مَا يُحِبُّهُ الإِْنْسَانُ مِنَ الأَْلْقَابِ الَّتِي تَزِينُهُ ، وَلَيْسَ فِيهَا إِطْرَاءٌ مِمَّا يَدْخُل فِي نَهْيِ الشَّارِعِ (٢) ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ (٣) "

لأَِنَّ هَذِهِ الأَْلْقَابَ لَمْ تَزَل مُسْتَحْسَنَةً فِي الأُْمَمِ كُلِّهَا مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ تَجْرِي فِي مُخَاطَبَاتِهِمْ وَمُكَاتَبَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ . وَقَدْ لُقِّبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْعَتِيقِ ، وَعُمَرُ بِالْفَارُوقِ وَغَيْرُهُمَا .

---

(١) الزواجر ٢ / ٤ ، ١٤ ، وفتح الباري ١٠ / ٤٦٩ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) حديث : " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم " أخرجه البخاري (الفتح ١٢ / ١٤٤ - ط السلفية) من حديث عمر بن الخطاب .". [1]

٤٠-"فائدة : المشابهة : اتفاق الشيئين في الكيفية. المساواة : اتفاقهما كمية. المشاكلة : اتفاقهما نوعية. المماثلة : اتفاقهما خاصية. الموازنة : اجتماع الأربعة. الحفظ : حصول الصورة في العقل واستحكامها بحيث لو زالت لتمكنت القوة من استرجاعها. التذكر : محاولة استرجاع تلك الصورة إذا زالت. الذكر : رجوعها بعد المحاولة. المعرفة : إدراك الجزئيات كالعلم : إدراك الكليات. الفهم : تصوّر الشيء من لفظ المخاطب. الإفهام : إيصال معنى اللفظ إلى **فهم السامع**. الفقه : العلم بغرض المخاطب في خطابه. العقل : العلم بصفات الأشياء حسنها وقبيحها وكمالها ونقصانها. الدراية : المعرفة الحاصلة بطرف من التخيل. الجهل : معرفة الأشياء لا بحقائقها. اليقين : اعتقاد أن الأمر كذا وامتناع خلافه. الذهن : قوّة النفس عى اكتساب العلوم الغير الحاصلة. الفكر : انتقال الروح من التصديقات الحاضرة إلى المحضرة. الحدس : وجدان شيء متوسط بين طرفي المجهول لتصير النسبة بالمجهول معلومة. الذكاء : شدة هذا الحدس وكماله. الخاطر : حركة النفس نحو تحصيل الدليل. الوهم : اعتقاد المرجوح. الظن : اعتقاد الراجح. البديهة : المعرفة الحاصلة ابتداء في النفس بسبب الفكر ، اهـ من خط الشيخ محمد باسودان.

فائدة : ذكر الإمام الشعراني في الطبقات عن أبي المواهب الشاذلي قال : إثبات المسألة بدليلها تحقيق ، وإثباتها بدليل آخر

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٨/١٤

تدقيق ، والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق ، ومراعاة علم المعاني والبيان في تركيبها تنميق ، والسلامة من اعتراض الشارع فيها توفيق ، اللهم ارزقنا التوفيق ، اهـ من خط بعضهم.

٦

الاجتهاد والإفتاء والتقليد". (١)

٤١-"وقد فصّل أهل العلم في مسألة الحلف وما يجوز فيه من التأويل والتورية ، وما لا يجوز ، وحاصل كلامهم أن الإنسان ليس له أن يوري في حلفه عند القاضي ، إلا إذا كان مظلوما . أما عند غير القاضي ، فله التورية إن كان مظلوما – لا ظالما –، أو يخاف أن يترتب على صدقه مضرة له أو لغيره ، أو كان هناك مصلحة في توريته .

قال ابن قدامة رحمه الله : " مسألة : قال : وإذا حلف ، فتأول في يمينه ، فله تأويله إذا كان مظلوما .

ومعنى التأويل : أن يقصد بكلامه محتَمَلا يخالف ظاهره ، نحو أن يحلف : إنه أخي ، يقصد أخوة الإسلام ، أو المشابهة ، أو يعني بالسقف والبناء السماء ... ، أو يقول : والله ما أكلت من هذا شيئا ، ولا أخذت منه . يعني : الباقي بعد أخذه وأكله .

فهذا وأشباهه مما يسبق إلى **فهم السامع** خلافه ، إذا عناه بيمينه ، فهو تأويل ؛ لأنه خلاف الظاهر .

ولا يخلو حال الحالف المتأول ، من ثلاثة أحوال :

أحدها : أن يكون مظلوما ، مثل من يستحلفه ظالم على شيء ، لو صدَقه لظلمه ، أو ظلم غيره ، أو نال مسلما منه ضرر . فهذا له تأويله .

وقد روى أبو داود ، بإسناده عن سويد بن حنظلة ، قال : خرجنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا وائل بن حجر ، فأخذه عدو له ، فتحرج القوم أن يحلفوا ، فحلفت أنه أخي ، فخلى سبيله ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : (أنت أبرُّهم وأصدقُهم ، المسلم أخو المسلم) صححه الألباني في صحيح أبي داود

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) [ضعيف ، وصح موقوفا عن عمر. ينظر : صحيح الأدب المفرد ٨٥٧] . يعني سعة المعاريض التي يوهم بها السامع غيرَ ما عناه .

قال محمد بن سيرين : الكلام أوسع من أن يكذب ظريف يعني لا يحتاج أن يكذب ؛ لكثرة المعاريض ، وخص الظريف بذلك ؛ يعني به الكيس الفطن ، فإنه يفطن للتأويل ، فلا حاجة به إلى الكذب .". (٢)

٤٢-" محتملا وأسوؤها ما كان موضوعا أو مقلوبا شديد النكارة . وهذه الطبقة مادة كتاب الموضوعات لابن الجوزي . ههنا طبقة خامسة منها ما اشتهر على ألسنة الفقهاء والصوفية والمؤرخين ونحوهم ، وليس له أصل في هذه الطبقات الأربع ، ومنها ما دسه الماجن في دينه العالم بلسانه فأتى بإسناد قوي لا يمكن الجرح فيه ، وكلام بليغ لا يبعد

---

(١) بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين ص/١١

(٢) تكملة فتاوى الموقع /٤

صدروه عنه صلى الله عليه وسلم ، فأثار في الإسلام مصيبة عظيمة ، لكن الجهابذة من أهل الحديث يوردون مثل ذلك على المتابعات والشواهد ، فتهتك الأستار ويظهر العوار ، أما الطبقة الأولى والثانية فعليهما اعتماد المحدثين ، وحوم حماهما مرتعهم ومسرحهم . وأما الثالثة فلا يباشرها للعمل عليها والقول بها إلا النحارير الجهابذة الذين يحفظون أسماء الرجال وعلل الأحاديث ، نعم ربما يؤخذ منها المتابعات والشواهد . (قد جعل الله لكل شيء قدرا) . وأما الرابعة فالاشتغال بجمعها أو الاستنباط منها نوع تعمق من المتأخرين . وإن شئت الحق فطوائف المبتدعين من الرافضة والمعتزلة وغيرهم يتمكنون بأدنى عناية أن يلخصوا منها شواهد مذاهبهم ، فالانتصار بها غير صحيح في معارك العلماء بالحديث ، والله أعلم . (باب كيفية فهم المراد من الكلام) اعلم أن تعبير المتكلم عما في ضميره **وفهم السامع** إياه يكون على درجات مترتبة في الوضوح والخفاء : أعلاها ما صرح فيه بثبوت الحكم للموضوع له عينا ، وسيق الكلام لأجل تلك الإفادة ، ولم يحتمل معنى آخر ، ويتلوه ما عدم فيه أحد القيود الثلاثة ، إما أثبت الحكم لعنوان عام يتناول

." (١)

٤٣-"شروط الداعية المسلم

س - ما الشروط الواجب توافرها في الداعية المسلم ؟ وهل بإمكاني أن أكون داعية إلى الله تعالى وأنا لم أحفظ القرآن كله ؟

ج- يجب أن يكون عالماً بما يأمر به عالما بما يدعو إليه ، وأن يكون حليما متأنيا ولا يلزم أن يكون حافظاً للقرآن ولا لبقية العلوم وإنما عليه أن يتعلم الواجبات الدينية التي يدعو إليها وكذا المحرمات ثم يحفظ من الأدلة ما يقنع به المدعوين ، وأن يتعلم طريقة الإلقاء والأساليب التي يحصل بها **فهم السامعين** لما يدعو إليه والله أعلم .

الشيخ ابن جبرين
* * * *". (٢)

٤٤-"رقم الفتوى ٤٥١٢ الفرق بين التورية والكذب

تاريخ الفتوى : ٢٧ ذو القعدة ١٤٢١

السؤال

ما الفرق بين التورية والكذب ؟

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

(١) حجة الله البالغة . مفهرس ص/٢٨٥

(٢) فتاوى إسلامية ٤/٣٤٣

فالتورية لغة: مصدر وَّرى الشيء يوريه تورية أخفاه وستره. وهي في الاصطلاح: أن يتكلم المتكلم بكلام له معنى ظاهر متبادر للسامع، وله معنى آخر خفي. ومقصود المتكلم هو هذا المعنى الخفي، إلا أنه ورّاه وأخفاه بذلك المعنى الظاهر المتبادر. ويلجأ المتكلم عادة لهذا الأسلوب إذا كان لا يريد الإخبار بالحقيقة لسبب ما، ولا يرضى بالوقوع في الكذب.

من أمثلة ذلك" ما رأيت زيداً " فهذه الجملة تدل على معنى ظاهر متبادر وهو نفي رؤيتك لزيد، وتحمل معنى آخر خفياً وهو نفي أن تكون قد أصبت رِئة زيد، سألك أحد هل رأيت زيداً؟ وكنت قد رأيته إلا أنك لا تريد أن تخبر بذلك إما لخوفك على زيد من ذلك الشخص، وإما لسبب آخر، ولا ترضى لنفسك الوقوع في الكذب فتوري قائلاً " ما رأيته " **فيفهم السامع** المعنى المتبادر، وأنت تقصد المعنى الخفي.

والتورية في الأصل غير مذمومة من الناحية الشرعية إلا إذا توصل بها إلى إحقاق باطل أو إبطال حق أو نحو ذلك.

أما الكذب فهو الإخبار بالشيء على خلاف الواقع.

وهو في الأصل محرم مذموم شرعاً وعادة، ولا يجوز الإقدام عليه إلا لضرورة لا يمكن دفعها بغيره.

وبهذا التعريف لكل من التورية والكذب، ومعرفة الحكم الشرعي لكل واحد منهما تعرف الفرق بينهما.

والله أعلم

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

فتاوى ذات صلة

مدار التفضيل بين الناس بالإيمان والتقوى

مصاحبة أهل الصلاح تبعدك عن المعاصي واستماع الأغاني

انتشار مغازلة البنات نذير خطر وأسبابها كثيرة

المزيد

مقالات ذات صلة

الكبر

الأمانة

اللّين والرِّفق

المزيد

٤٥١٢٠

حكم الكتابة في المصحف

الفهرس » القرآن الكريم » مقدمات في القرآن » فضل وآداب تلاوة القرآن وتعلمه (٥١٣)". [1]

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة ١٩٦٣/٢

٤٥-"رقم الفتوى ٥١٨٥ الوقف على آخر الكلمة

تاريخ الفتوى : ١٦ صفر ١٤٢٠

السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على أفضل النبيين وعلى آله وصحبه أجميعن الى يوم الدين.. أما بعد: السلام عليكم أيها الأخوة الكرام في الإيمان والإسلام.. السؤال: كيف تقرأ حركة الكسرة في أواخر الآيات؟ علما بأنه إذا لم تقرأ هذه الحركة فالمعنى يختلف ! مثال (فاتقون)

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالأصل في الوقف على أواخر الكلام أن يوقف عليها بالسكون كما أنه لا يبتدأ الكلام إلا بحرف متحرك.

وقد يحذف الحرف وتقوم الحركة مقامه وتدل عليه، كما حذفت الياء في الكلمة المذكورة في السؤال (فاتقون) وبقيت الكسرة دالة عليها.

ولا يختلف المعنى بحذف الياء وبقاء الكسرة دالة عليها ومن ثم تسكين الحرف عند الوقف عليه. إذ يدل على الضمير المحذوف سياق الكلام، ومنه **يفهم السامع** والتالي المعنى المراد، ومثال ذلك قوله تعالى: (وإياي فاتقون) [البقرة: ٤١] وقوله :(لكم دينكم ولي دينِ) [الكافرون: ٦] وهكذا.

وإذا وقفت على الكلمة المكسور آخرها فلك أن تقف عليها بالسكون كما سبق . لأن السكون أصل الوقف - وهذا في حال قصر الكلمة وتوسطها وإشباعها أي في حال مدها حركتين أو أربع أو ست.

ولك كذلك أن تقف عليها بالروم في حال القصر فقط، والروم هو الإتيان ببعض حركة الكسر بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد. والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

فتاوى ذات صلة

تجويد القرآن واجب على المستطيع في الصلاة وخارجها

حكم البسملة في بداية القراءة.

تتميز الحروف في القرآن عن بعضها بمخارجها وصفاتها

المزيد

٥١٨٥٠

شروط رجوع البائنة بينونة صغرى لزوجها

الفهرس » فقه الأسرة المسلمة » الفرقة بين الزوجين » الطلاق » الرجعة (٧٣)". [١]

٤٦-"رقم الفتوى ٣٦٦٨٤ الكذب على الأطفال.. مباح أم حرام

تاريخ الفتوى : ٠٢ رجب ١٤٢٤

السؤال

هل يجوز الكذب على الأطفال حتى لا ألبي بعض مطالبهم؟

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالكذب على الأطفال محرم كالكذب على الكبار، ففي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال صبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة ، وصححه الأرناؤوط وقال: على شرط الشيخين.

وفي الكذب على الأطفال من المضار ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك:

- تعويد الأطفال على الكذب إن هم علموا بذلك.

- فقد ثقة الطفل في أبويه حينما يجرب عليهما الكذب.

وغير ذلك من المضار، لكن بوجه عام إذا اضطر المرء إلى الكذب، وكان في كذبه مصلحة محققة مع عدم الإضرار بالغير، فقد أباح العلماء له ذلك، وقد بيناه في الفتوى رقم: ٢٥٦٢٩ .

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب المعاريض مندوحة عن الكذب. ا.هـ

ومعنى المعاريض: أن يتكلم بكلام يقصد منه شيئاً، وظاهر لفظه يدل على غير ما قصد، كما كان يقول أبو بكر حينما سئل وهو مهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هذا معك؟ فكان يقول: هادٍ يهديني رواه أحمد وغيره، وهو صحيح.

فيفهم السامع أنه يقصد بالهادي الدليل الذي يدل على الطريق، وهو يقصد الهادي الذي يهدي إلى الله تعالى، وذلك لئلا يعلموا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذوه.

فما كان من باب تحصيل المصلحة دون الإضرار بأحد جاز فيه الكذب على الأطفال وغيرهم، والمعاريض في هذه الحالة أفضل، وما لم تكن فيه مصلحة فلا يجوز الكذب فيه بحال، وراجع الفتوى رقم: ٢٦٣٩١ ، والفتوى رقم: ٣٥٣٠٨ .

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

فتاوى ذات صلة

مدار التفضيل بين الناس بالإيمان والتقوى

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة ٢١٩١/٢

مصاحبة أهل الصلاح تبعدك عن المعاصي واستماع الأغاني

انتشار مغازلة البنات نذير خطر وأسبابها كثيرة

المزيد

مقالات ذات صلة

الكبر

الأمانة

اللِّين والرِّفق

المزيد

٣٦٦٨٥

ليس ضرورياً كون اختيار الزوجة على أساس المحبة

الفهرس » فقه الأسرة المسلمة » النكاح » مقدماته » اختيار الزوجين (٥٩٧)". (١)

٤٧-"رقم الفتوى ٧٥٢٤١ تفسير الآيتين الكريمتين ٢٣٤-٢٣٥ من سورة البقرة

تاريخ الفتوى : ١٥ جمادي الأولى ١٤٢٧

السؤال

الرجاء تفسير الآيتين الكريمتين ٢٣٤-٢٣٥ من سورة البقرة ؟

وهل يجوز للشاب التحدث مع الفتاة التي يريد خطبتها دون وجود محرم ولكن في مكان عام ؟

وجزاكم الله عنا كل خير .

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالآية الأولى من الآيتين المطلوب تفسيرهما هي قول الله تعالى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴿البقرة: ٢٣٤﴾ قال أهل التفسير (والذين يتوفون منكم) أي يموتون (ويذرون أزواجا) أي يتركون أزواجا (يتربصن) ينتظرن (بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) أي يعتددن عدة الوفاة على فراق أزواجهن بترك الزينة والطيب المدة المذكورة، إلا إذا كن حوامل فتكون عدتهن وضع حملهن كما قال تعالى: وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿الطلاق: ٤﴾ وكانت عدة الوفاة قبل نزول هذه الآية سنة كما قال تعالى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴿البقرة: ٢٤٠﴾ فنسخت بهذه الآية، (فإذا بلغن أجلهن) انقضت مدة عدتهن (فلا جناح عليكم) أي لا حرج عليكم (فيما فعلن في أنفسهن) من اختيار الأزواج لأنفسهن دون العقد، فإن العقد أمره إلى الولي ، وقيل

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة ٥/٦٣٦٣

(فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) من التزين للخطاب زينة لا ينكرها الشرع (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شيء من أمركم يعلم السر وأخفى .

وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى : وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴿البقرة: ٢٣٥ ﴾ أي المعتدات عدة الوفاة، والتعريض هو التلويح بالشيء وبالكلام بحيث يفهم السامع المراد من غير تصريح مثل أن يقول: إنك لصالحة ومثلك يُرغَب فيه ، أو يهدي لها أو ما أشبه ذلك ، ولا تجوز الخطبة في العدة مطلقا ولا يجوز التعريض بها؛ إلا في عدة الوفاة، أو ممن حرمت على زوجها ولا يمكن له الرجوع إليها ، (أو أكننتم في أنفسكم) أي لا حرج عليكم فيما أخفيتم وأسررتم في قلوبكم ، (علم الله أنكم ستذكرونهن) بقلوبكم (ولكن لا تواعدوهن سرا) أي لا تأخذوا منهن عهدا وميثاقا سرا ألا ينكحن غيركم ، وقيل غير ذلك (إلا أن تقولوا قولا معروفا) وهو ما ذكر من التعريض بالخطبة (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح حتى تنقضي العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي خافوا غضبه وعقابه (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة .

والآيتان الكريمتان من أهم آيات الأحكام الواردة في تنظيم الأحوال الشخصية، وفيهما أبحاث مطولة يرجع إليها في كتب التفسير وفي كتب آيات الأحكام بصفة خاصة ، ونلاحظ أن في ختام كلا الآيتين تعقيبا مناسبا لما ورد فيهما من الأحكام؛ كما هو شأن القرآن الكريم عندما يأمر بأمر أو ينهى عنه أو يبين حكما فيأتي التعقيب على ذلك باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته تناسب المقام أو التنبيه على مراقبته تعالى وترغيب المسلم في امتثال أوامره أو ترهيبه من تعدي حدوده ليكون ضمير المسلم حارسا لهذه الأحكام من تلقاء نفسه دون التفات إلى حاكم ، وبذلك تختلف الأحكام الشرعية والأوامر الربانية عن غيرها من قوانين البشر التي لا بد للبشر أن يحرسوها بأنفسهم، فإذا غاب الراعي عن أعينهم نبذوا تلك التعليمات والأحكام وداسوا عليها الأقدام . ملخصا من مجموعة من كتب التفسير .

أما الشق الثاني من السؤال فيراجع الجواب عليه في الفتاوى التالية: ٤٩٨٤٦ ، ٢١٢٤٣ ، ٩٧٨٦ .

والله أعلم .

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

فتاوى ذات صلة

لا تعارض بين إحياء الله الموتى بعد موتهم وقوله تعالى:(أنهم إليهم لا يرجعون)

معنى كلمة: (آلاء)

الفرق بين العدل والقسط

المزيد

مقالات ذات صلة

في رحاب قوله تعالى: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾

سورة النور ودورها في بناء الأسرة المسلمة

منهج الحوار في القرآن الكريم

المزيد

٧٥٢٤٢

التوفيق بين قوله تعالى (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) وعذاب القبر

الفهرس » العقيدة الإسلامية » أركان الإيمان » الإيمان باليوم الآخر » البرزخ (فتنة القبر وعذابه ونعيمه) (٩٤)". (١)

٤٨-"لذلك ذهب الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنهم ـ إلى أن الخطبة في حالة العجز عن العربية (أي من الخطيب والسامعين) تكون بلغة أخرى وهي التي يَفْهَمها السامعون. بخلاف حالة القدرة على العربية، فإنه يشترط أن تكون الخطبة بها. ولا شك أن فيما ذَهَبَا إليه تيسيرًا على الناس، وتوفيقًا حَسَنًا ورعاية لسائر الشعوب الإسلامية على اختلاف لغاتها، وتحقيقًا لحكمة الشارع في تشريع خطبة الجمعة لجماعة السلمين.

ومن أجل هذا حَمَلْنا عبارات النووي وابن قُدَامَة وأضرابهما على ما إذا كانت الجماعة والخطيب من الشعوب التي تَعْرِف العربية، وصَرَفْناهَا عن عُمُومِها تفاديًا من إلقاء الخطبة بالعربية لمن لا يَعْرِفها وهو العَبَث الصريح.

بَقِيَ بعد هذا مذهب المالكية ومذهب الإمام أبي حنفية.

أَمَّا المالكية فقد شَرَطُوا في خُطْبَة الجمعة أن تكون بالعربية، وعَمَّمَه بعض فقهائهم فقال: ولو كان السامعون لا يعرفون العربية، فإذا لم يَكُنْ فيهم من يُحْسن الإتيان بالعربية لم تَلزمهم خطبة الجمعة والعيدين اهـ من الشرح الكبير وحواشيه.

وفي ذلك نظر ظاهر في حالة جهل السامعين بالعربية، فإن الأولى أن يَخطُبَهم الخطيب بلغتهم وألاّ يَدَعَ الخطبة رأسًا.

وأما أبو حنيفة فقد أجاز للخطيب أن يَخطُبَ بغير العربية ولو كان قادرًا عليها.

وفيه نظر أيضًا، فإنه لا موجِبَ للإعراض عن لغة القرآن وإلقاء الخطبة بغيرها في حالة القدرة على الخطابة بالعربية **وفَهْم السامعين** لها.

وظاهر أنه متى أُطْلِقت كلمة (العربية) في هذا المَقَامِ فالمراد بها اللغة الفصحى دون اللهجة العامية للعرب.". (٢)

٤٩-"الثاني: أن يحكم بالخطأ على العالم غير العالم فيبني الشخص تخطئته للعالم على جهل، فيقول على الله -عز وجل- وخلقه بلا علم، ومرد زلات العلماء أو ما يظن أنه خطأ من العالم ليس إلى العوام وأنصاف المتعلمين، بل إلى العلماء أنفسهم فذلك كما يقول الإمام الشاطبي: (من وظائف المجتهدين فهم العارفون بما وافق أو خالف وأما غيرهم فلا تمييز لهم في هذا المقام) الموافقات (١٧٣/٤) .

٣- اختيار أحسن العبارات وأجمل الكلمات لإيصال ذلك النصح أو النقد.

٤- التماس العذر للعلماء فإنهم -كما تقدم- خير أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-، وإذا كانت تلك الخيرية أصلاً فيهم،

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة ٤٥١٤/١٠

(٢) فتاوى حسنين مخلوف ص/٣١٣

فإن من الواجب التماس العذر لهم وإحسان الظن بهم.

٥- احذري من تصيد زلات العلماء، فقد تقرر أنهم غير معصومين وأنهم عرضة للخطأ والسهو والغفلة والتقصير، فتقع منهم الزلات والأخطاء، والواجب حين ذلك أمران:

- عدم اعتبار تلك الزلة والأخذ بها ، لأنها جاءت على خلاف الشريعة .

- العدل في الحكم على صاحبها فلا ينسب إلى التقصير، ولا يشنع عليه من أجلها ولا ترد بقية أقواله وآرائه وفتاويه بسببها.

٦- يجب أن يكون نصحك له سراً بينك وبينه ليحصل المقصود من ذلك، وإذا تعذَّر لقاؤه فيمكن مراسلته وإيصال تلك الملاحظات له.

٧- اتهمي رأيك واتركي المبادرة إلى الاعتراض على العلماء فإن ذلك محمود، وذلك أن اتهام الإنسان رأيه عند رأي الأجلة من العلماء من حسن الظن بهم، فينبغي عدم المبادرة بالاعتراض قبل التوثق ، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله :(إن العالم المعلوم بالأمانة والصدق والجري على سنن أهل الورع إذا سئل عن نازلة فأجاب، أو عرضت له حالة يبعد العهد بمثلها ، أولا تقع من فهم السامع موقعها ألا يواجه بالاعتراض والنقد فإن عرض إشكال فالتوقف أولى بالنجاح وأحرى بادراك البغية إن شاء الله تعالى) الموافقات (٣٢٤/٤) .

٨- إن أكثر الناس استحقاقاً للثقة هم العلماء، فعلى المسلم أن يضع ثقته في أهل العلم، ويواليهم ويحبهم، فإن محبة العلماء المشهود لهم في الأمة بالأهلية والورع والتقوى عنوان رشد وسلامة في المعتقد والمنهج .

وأخيراً أختم بكلمة نيرة مضيئة قالها الحافظ ابن عساكر يرحمه الله (اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

تلك بعض المعالم في التعامل، مع العلماء ولم استقص في ذلك، وأنصح الأخت الفاضلة بالاستفادة من كتاب (قواعد في التعامل مع العلماء) للشيخ الفاضل عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

والله أسأل لي ولك التوفيق والسداد والعلم النافع والعمل الصالح . والسلام عليكم.". [١]

٥٠-"الفصل الثاني:

اعلم أن الكلام من حيث هو على ضربين: مجمل ، ومبين مفضل ، والضربان متفاوتان في المراتب ، فبعض المجمل أشد إجمالا من بعض ، وبعض المبين أشد بيانا من بعض ، حتى ينتهي المجمل إلى غاية الإجمال ، والمبين إلى غاية البيان ، وسبب الإجمال تارة قصور المتكلم عن البيان ، وتارة قوة إدراك السامع بحيث يفهم بأدنى إشارة ، فيتكل المتكلم على ذلك ، فيقتصر على الإجمال . وتارة الأمران: قصور المتكلم وقوة السامع ، فلا يبالي المتكلم- كان قاصرا عن البيان أو قادرا عليه ، وتارة يعلق المصلحة بالإجمال من إخفاء سر أو امتحان سامع بإدراك معنى خفي ، وغير ذلك من الأسباب .

---

(١) فتاوى واستشارات الإسلام اليوم ١٩٨/٢٠

وسبب البيان تارة فصاحة المتكلم وبلاغته ، وتارة ضعف فهم السامع ، فيحرص المتكلم على إفهامه ، وتارة الأمران جميعا ، وتارة اهتمام المتكلم بمعنى". (١)

٥١-"معنى قوله تعالى " أثرن به نقعاً "

ƒ.[ما هو معنى الآية " فأثرن به نقعاً " ؟ وهل الكلمات (ارتفع، غبار، في، سُحُب) موجودة في هذه الآية ؟].

^الحمد لله

١ . الكلمات " ارتفع " و " غبار " موجودتان بالمعنى في الآية ، و " في " غير موجودة إلا أن المعنى دلَّ عليها لأنه الغبار لا يرتفع إلا " في " الهواء ، و " سحب " غير موجودة لا لفظاً ولا معنى .

٢ . " ارتفع " جاء لها مرادفات كثيرة في القرآن ، ومنها :

أ . النشء ، ومنه قوله تعالى ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الرعد/١٢ ، وقوله ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمل/٦ .

أ .الحدب ، ومنه قوله تعالى ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون﴾ الأنبياء/٩٦ ، قال الفرَّاء : من كل أكَمة ، ومن كل موضعٍ مرتفعٍ .

ب . العروج ، ومنه قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ المعارج/٤ ، ومعناه : الصعود والارتفاع .

ت . الموج ، ومنه ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ هود/٤٢ ، والموج : هو ارتفاع الماء فوق الماء .

ث . الربوة ، ومنه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ المؤمنون/٥٠ ، والربوة : المكان المرتفع .

ج . النشز ، ومنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ المجادلة/١١ ، النشوز : الارتفاع .

ح . وأما لفظ " غبار " : فقد جاء لفظ آخر هو في القرآن بمعناه وهو " هباء " ، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ الفرقان/٢٣ .

وأما لفظ " سحاب " فجاءت له ألفاظ مرادفة في القرآن ومنها :

أ . المعصرات ، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾ النبأ/١٤ .

ب . المزن ، ومنه قوله تعالى ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ الواقعة/٦٩ .

٣ . إن من أفضل التفاسير بشكل عام من ناحية الشمولية في أنواع التفسير من ناحية وسلامة المعتقد من ناحية أخرى هما : تفسير الطبري من المتقدمين وتفسير ابن كثير من المتأخرين.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ٣٦/٣٤٥

و قال الطبري في تفسير آية ﴿فأثرن به نقعاً﴾ :

وَقَوْله ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يَقُول تَعَالَى ذِكْره : فَرَفَعْنَ بِالْوَادِي غُبَارًا ؛ وَالنَّقْع : الْغُبَار ، وَيُقَال : إِنَّهُ التُّرَاب .

وَالْهَاء فِي قَوْله ﴿بِهِ﴾ كِنَايَة اِسْم الْمَوْضِع ، وَكَنَّى عَنْهُ ، وَلَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْر ، لِأَنَّهُ مَعْلُوم أَنَّ الْغُبَار لا يُثَار إِلا مِنْ مَوْضِع ، فَاسْتَغْنَى بِفَهْمِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَاهُ مِنْ ذِكْره .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْل التَّأْوِيل .

" تفسير الطبري " (٣٠ / ٢٧٥ ، ٢٧٦) .

وأما ابن كثير فقال في تفسير آية ﴿فأثرن به نقعاً﴾ :

يَعْنِي غُبَارًا فِي مَكَان مُعْتَرَك الْخُيُول .

" تفسير ابن كثير " (٤ / ٥٤٢) .

عليه الصلاة والسلام الشيخ محمد صالح المنجد". (١)

٥٢-"إذا سألها زوجها عن ماضيها فهل لها أن تحلف كذباً أو تورية

ƒ.[أريد أن أسأل إذا كان لإحدى الفتيات ماض من الخوض في المعاصي ثم تابت ورجعت إلى الله عز وجل وجاءها من يتقدم لخطبتها بعد أن التزمت فهل تخبره عن هذا الماضي؟ ولو سألها هو فهل تكذب ؟ وإن كان عليها أن تكذب فهل يجوز أن تحلف كذبا إذا اضطرت لهذا؟].

^الحمد لله

أولا :

من ابتلي بشيء من المعاصي ثم تاب ، تاب الله عليه ، وبدل سيئاته حسنات ، مهما كان ذنبه ، ومهما عظم جرمه ، كما قال سبحانه : (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الفرقان/٦٨– ٧٠

والمهم أن تكون التوبة صادقة نصوحا خالصة لله تعالى .

ثانيا :

من إحسان الله تعالى على عبده أن يستره ، ولا يكشف أمره ، ولهذا كان من القبيح أن يفضح الإنسان نفسه وقد ستره الله ، بل أن ينبغي أن يستتر بستر الله تعالى ، والنصوص الشرعية مؤكدة لذلك ، حاثة عليه في غير ما موضع . فمن ذلك :

قوله صلى الله عليه وسلم : (اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عز وجل عنها ، فمن ألمّ فليستتر بستر الله عز وجل) والحديث

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب ٣/٢٢٢

رواه البيهقي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٦٣)
وروى مسلم (٢٥٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وهذا من البشارة للتائب الذي ستره الله تعالى في الدنيا ، أن الله سيستره في الآخرة ، وقد حلف النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى تأكيدا له ، فقد روى أحمد (٢٣٩٦٨) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (ثَلَاثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فَأَسْهُمُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُمْ وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لَا آثَمَ لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٣٨٧)
وقال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ) رواه البخاري (٦٠٦٩) ومسلم (٢٩٩٠) .
وبهذا يُعلم أن المرأة لا تخبر خاطبها أو زوجها بشيء من معاصيها ، ولو سألها فإنها لا تخبره ، وتستعمل المعاريض والتورية ، وهي الكلام الذي يفهم منه السامع معنى ، خلاف ما يريد المتكلم ، كأن تقول : لم يكن لي علاقة بأحد ، وتقصد لم يكن لي علاقة بأحد قبل يوم أو يومين ، ونحو هذا .
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التعليق على قصة ماعز رضي الله عنه :
" ويؤخذ من قضيته : أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد كما أشار به أبو بكر وعمر على ماعز . وأن مَن اطلع على ذلك يستر عليه بما ذكرنا ، ولا يفضحه ، ولا يرفعه إلى الإمام كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه القصة " لو سترته بثوبك لكان خيراً لك " ، وبهذا جزم الشافعي رضي الله عنه ، فقال : أُحبُّ لَمن أصاب ذنباً فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر .
وفيه : أنه يستحب لمن وقع في معصية وندم أن يبادر إلى التوبة منها ، ولا يخبر بها أحداً ويستتر بستر الله ، وإن اتفق أنه أخبر أحداً : فيستحب أن يأمره بالتوبة وستر ذلك عن الناس كما جرى لماعز مع أبي بكر ثم عمر " انتهى من "فتح الباري" (١٢٤/١٢) .
ثالثا :

ينبغي للزوج أن يختار صاحبة الدين والخلق ، فإذا وُفق لذلك فلا يفتِّش في ماضيها ، ولا يسألها عن معاصيها ، فإن ذلك مخالف لما يحبه الله تعالى من الستر ، مع ما فيه من إثارة الشك ، وتكدير الخاطر ، وتشويش البال ، والإنسان في غنى عن ذلك كله ، فحسبه أن يرى زوجته مستقيمة على طاعة الله ، ملتزمة بأمره . وهكذا الزوجة لا تسأل زوجها عن أموره الماضية ، هل أحب غيرها ، أو تعلق بسواها ، أو زل في معصية ، فإن هذا لا خير فيه ، ويفتح بابا من الشر قد لا يمكن تلافيه ، وهو مخالف لمراد الشارع كما سبق .

رابعا :

إذا ألح الزوج في سؤال زوجته ، أو بلغه كلام أراد التحقق منه ، ولم تجد وسيلة لستر نفسها إلا أن تحلف له ، فيجوز لها أن تحلف وأن تُورّي في حلفها كما سبق ، فتقول : والله ما كان شيء من ذلك ، أو لم أفعل ذلك ، وتقصد : لم أفعله بالأمس مثلا .

وقد فصّل أهل العلم في مسألة الحلف وما يجوز فيه من التأويل والتورية ، وما لا يجوز ، وحاصل كلامهم أن الإنسان ليس له أن يوري في حلفه عند القاضي ، إلا إذا كان مظلوما . أما عند غير القاضي ، فله التورية إن كان مظلوما – لا ظالما – ، أو يخاف أن يترتب على صدقه مضرة له أو لغيره ، أو كان هناك مصلحة في توريته .

قال ابن قدامة رحمه الله : " مسألة : قال : وإذا حلف ، فتأول في يمينه ، فله تأويله إذا كان مظلوما .

ومعنى التأويل : أن يقصد بكلامه محتَمَلا يخالف ظاهره ، نحو أن يحلف : إنه أخي ، يقصد أخوة الإسلام ، أو المشابهة ، أو يعني بالسقف والبناء السماء ... ، أو يقول : والله ما أكلت من هذا شيئا ، ولا أخذت منه . يعني : الباقي بعد أخذه وأكله .

فهذا وأشباهه مما يسبق إلى فهم السامع خلافه ، إذا عناه بيمينه ، فهو تأويل ؛ لأنه خلاف الظاهر .

ولا يخلو حال الحالف المتأول ، من ثلاثة أحوال :

أحدها : أن يكون مظلوما ، مثل من يستحلفه ظالم على شيء ، لو صدَقه لظلمه ، أو ظلم غيره ، أو نال مسلما منه ضرر . فهذا له تأويله .

وقد روى أبو داود ، بإسناده عن سويد بن حنظلة ، قال : خرجنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا وائل بن حجر ، فأخذه عدو له ، فتحرج القوم أن يحلفوا ، فحلفت أنه أخي ، فخلى سبيله ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : (أنت أبرُّهم وأصدقُهم ، المسلم أخو المسلم) صححه الألباني في صحيح أبي داود

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) [ضعيف ، وصح موقوفا عن عمر. ينظر : صحيح الأدب المفرد ٨٥٧] . يعني سعة المعاريض التي يوهم بها السامع غيرَ ما عناه .

قال محمد بن سيرين : الكلام أوسع من أن يكذب ظريف يعني لا يحتاج أن يكذب ؛ لكثرة المعاريض ، وخص الظريف بذلك ؛ يعني به الكيس الفطن ، فإنه يفطن للتأويل ، فلا حاجة به إلى الكذب .

الحال الثاني : أن يكون الحالف ظالما ، كالذي يستحلفه الحاكم على حق عنده ، فهذا ينصرف يمينه إلى ظاهر اللفظ الذي عناه المستحلف ، ولا ينفع الحالف تأويله . وبهذا قال الشافعي . ولا نعلم فيه مخالفا ؛ فإن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) رواه مسلم وأبو داود .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اليمين على نية المستحلف﴾ . رواه مسلم .

وقالت عائشة : اليمين على ما وقع للمحلوف له .

ولأنه لو ساغ التأويل ، لبطل المعنى المبتغى باليمين ؛ إذ مقصودها تخويف الحالف ليرتدع عن الجحود ، خوفا من عاقبة

اليمين الكاذبة ، فمتى ساغ التأويل له ، انتفى ذلك ، وصار التأويل وسيلة إلى جحد الحقوق ، ولا نعلم في هذا خلافا .
الحال الثالث : لم يكن ظالما ولا مظلوما ، فظاهر كلام أحمد ، أن له تأويله ، فروي أن مَهَنّا كان عنده ، هو والمروذي وجماعة ، فجاء رجل يطلب المروذي ، ولم يرد المروذي أن يكلمه ، فوضع مهنا أصبعه في كفه ، وقال : ليس المروذي هاهنا ، وما يصنع المروذي هاهنا ؟ يريد : ليس هو في كفه ، ولم ينكر ذلك أبو عبد الله .
... وقال أنس : إن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، احملني . فقال رسول الله : (إنا حاملوك على ولد الناقة . قال : وما أصنع بولد الناقة ؟ قال : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟) . رواه أبو داود .
وقال لرجل احتضنه من ورائه : (من يشتري هذا العبد ؟ فقال : يا رسول الله ، تجدني إذا كاسدا . قال : لكنك عند الله لست بكاسد) .
وهذا كله من التأويل والمعاريض ، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم حقا ، فقال (لا أقول إلا حقا) ..." انتهى . باختصار . من "المغني" (٩/٤٢٠) .
وقال شيخ الإسلام رحمه الله فيمن اغتاب إنسانا ثم تاب وأحسن :
" وعلى الصحيح من الروايتين لا يجب له الاعتراف لو سأله ، فيعرّض ولو مع استحلافه ؛ لأنه مظلوم ، لصحة توبته ، وفي تجويز التصريح بالكذب المباح ههنا نظر . ومع عدم توبةٍ وإحسانٍ تعريضُه كذب ، ويمينه غموس ، واختيار أصحابنا : لا يُعلمه ؛ بل يدعو له في مقابلة مظلمته " انتهى من "الاختيارات الفقهية" (٥/٥٠٧) مطبوع مع الفتاوى الكبرى ، ونقله ابن مفلح في الفروع (٧/٩٧) .
وينظر تفصيل مسألة التأويل في الحلف في "الموسوعة الفقهية" (٧/٣٠٦) .
خامسا :
جاءت الرخصة في الكذب في ثلاثة مواضع ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي (١٩٣٩) وأبو داود (٤٩٢١) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ) . والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي .
وهو محمول عند جماعة من أهل العلم على الكذب الصريح ، لا التورية ، وقد ألحقوا به ما دعت إليه الضرورة أو المصلحة الراجحة ، فيجوز الكذب فيه . وإن احتاج إلى الحلف ، حلف ولا شيء عليه ، والأولى أن يستعمل المعاريض كما سبق .
قال النووي رحمه الله في شرح مسلم : " قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْحَرْب خُدْعَة) ... وَقَدْ صَحَّ فِي الْحَدِيث جَوَاز الْكَذِب فِي ثَلَاثَة أَشْيَاء : أَحَدهَا فِي الْحَرْب . قَالَ الطَّبَرِيُّ : إِنَّمَا يَجُوز مِنْ الْكَذِب فِي الْحَرْب الْمَعَارِيض دُون حَقِيقَة الْكَذِب ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلّ ، هَذَا كَلَامه ، وَالظَّاهِر إِبَاحَة حَقِيقَة نَفْس الْكَذِب لَكِنْ الِاقْتِصَار عَلَى التَّعْرِيض أَفْضَل . وَاَللَّه أَعْلَم " انتهى .
وقال السفاريني رحمه الله : " فهذا ما ورد فيه النص ، ويقاس عليه ما في معناه ، ككذبه لستر مال غيره عن ظالم ، وإنكاره المعصية للستر عليه ، أو على غيره ما لم يجاهر الغير بها ، بل يلزمه الستر على نفسه وإلا كان مجاهرا ، اللهم إلا أن يريد إقامة الحد على نفسه كقصة ماعز ، ومع ذلك فالستر أولى ويتوب بينه وبين الله تعالى .
ثم قال السفاريني : " والحاصل أن المعتمد في المذهب أن الكذب يجوز حيث كان لمصلحة راجحة كما قدمناه عن الإمام

ابن الجوزي ، وإن كان لا يتوصل إلى مقصود واجب إلا به وجب . وحيث جاز فالأولى استعمال المعاريض " انتهى من "غذاء الألباب" (١/١٤١) .

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

" ..فالمشروع للمؤمن أن يقلل من الأيمان ولو كان صادقا ؛ لأن الإكثار منها قد يوقعه في الكذب ، ومعلوم أن الكذب حرام ، وإذا كان مع اليمين صار أشد تحريماً ، لكن لو دعت الضرورة أو المصلحة الراجحة إلى الحلف الكاذب فلا حرج في ذلك ؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا ويقول خيراً . قالت : ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إنه كذب إلا في ثلاث : الإصلاح بين الناس ، والحرب ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها) رواه مسلم في الصحيح . فإذا قال في إصلاحٍ بين الناس : والله إن أصحابك يحبون الصلح ، ويحبون أن تتفق الكلمة ، ويريدون كذا وكذا ، ثم أتى الآخرين وقال لهم مثل ذلك ، ومقصده الخير والإصلاح : فلا بأس بذلك للحديث المذكور .

وهكذا لو رأى إنساناً يريد أن يقتل شخصاً ظلماً أو يظلمه في شيء آخر ، فقال له : والله إنه أخي ، حتى يخلصه من هذا الظالم إذا كان يريد قتله بغير حق أو ضربه بغير حق ، وهو يعلم أنه إذا قال : أخي تركه احتراما له : وجب عليه مثل هذا لمصلحة تخليص أخيه من الظلم .

والمقصود : أن الأصل في الأيمان الكاذبة المنع والتحريم ، إلا إذا ترتب عليها مصلحة كبرى أعظم من الكذب ، كما في الثلاث المذكورة في الحديث السابق " انتهى من "مجموع فتاوى الشيخ ابن باز" (١ /٥٤) .

والله أعلم .

عليه الصلاة والسلام الإسلام سؤال وجواب". (١)

٥٣-"مريض وورّى في معاملة التوظيف أنه معافى فهل يترك وظيفته؟

[رجل يعمل الآن في وظيفة ، ولم يصدق في سؤال : "هل يعاني من مرض مزمن" ؟ عندما تقدم لهذا العمل ، بل ورّى بقوله " لم يعاني " ؛ لأنه حقيقة لم يعاني ، هو مصاب بفيروس التهاب الكبد فقط ، وهو مرض مزمن ، ولم يجد منه أية معاناة ، فهل تنصحه بترك العمل ، خاصة وأن صاحب العمل لو يعلم بمرضه ربما لا يسمح له بالبقاء في عمله ؟ وهل تنفعه التورية أم أنه يعتبر غير صادق في بياناته ؟ وهل يلزمه شيء في المدة السابقة ؟].

الحمد لله

أولاً:

جاءت الشريعة المطهرة بالأمر بكل خلُق قويم ، وحذَّرت من كل خلق ذميم .

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب ٤٤٥٢/٥

ومن الأخلاق القويمة التي أمر بها ربنا تعالى : الصدق ، وحذرنا من ضده وهو الكذب .

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة/ ١١٩ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنّ الصِدقَ يَهدي إلى البِّر ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجَنّةِ ، وإنّ الرجُلَ لَيَصدُقُ حتّى يُكتَبَ عِندَ الله صِدّيقا ، وإنّ الكَذِبَ يهدي إلى الفُجورِ ، وإنّ الفُجورَ يَهدي إلى النّار ، وإنّ الرَجُلَ لَيَكذِبُ حتى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذابا) رواه البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢٦٠٧) .

ولعلَّك رأيت الكذب نافعاً لك ، ورأيت الصدق مضرّاً لك ، لذا فعلت ما فعلت من كتم المرض أن تدونه في معاملة التوظيف ، وهو ما حذَّر منه سلف الأمة .

قال بعض الصالحين : عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرك ، فإنه ينفعك ، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك ، فإنه يضرك .

فعلى المؤمن أن يزيّن حياته بالصدق ، والصادق لن تجده إلا متصفاً بصفات الكمال الأخرى .

قال ابن القيم رحمه الله :

"فالصدق بريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ، بل هو لبه وروحه ، والكذب بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه ، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد ، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرد أحدهما صاحبه ويستقر موضعه" انتهى .

" زاد المعاد " (٣ / ٥٩٠) .

ثانياً :

التورية هي أن يُفهم المتكلمُ سامعَه شيئاً غير الذي في نفسه ، ويكون الكلام محتملاً .

ولا يجوز للمسلم استعمال التورية إلا لتحقيق مصلحة شرعية ، أو دفع مفسدة ، أو لحاجة ماسة ، ولا يحل له استعمالها في كل حين ، ولا لأخذ ما ليس من حقه .

وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : ما هي التورية ؟ وما الفرق بينها وبين الكذب ؟ .

فأجاب :

"التورية : أن يريد بلفظه ما يخالف ظاهره ، والكذب : صريح في أنه تكلم بخلاف الواقع . السائل : السامع ربما يفهم شيئاً آخر .

الشيخ : لا يهم ، هذا هو بُعد التورية ، أن يفهم السامع من خطابك خلاف ما تريد ، التورية قد يحتاج الإنسان إليها .

أما الظالم : فلا تصح توريته ، ولا تحل ، والحكم فيها أنها على حسب ما يعتقده خصمه ، ولهذا جاء في الحديث : (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) فإذا قال الظالم بهذا التأويل ، لم ينفعه ، والمظلوم ينفعه .

ومَن ليس بظالم ولا مظلوم : من العلماء من قال : إن التورية جائزة ، ومنهم من قال : إنها غير جائزة ، والراجح : أنها غير جائزة ، وأن الإنسان يجب أن يكون صريحاً ؛ لأن الإنسان إذا اعتاد التورية ثم ظهر الأمر على خلاف ما ظهر من كلامه

: اتهمه الناس بالكذب ، وأساءوا فيه الظن ، لكن إذا كان مظلوماً : فهذه حاجة ، والظلم قليل بالنسبة للحوادث .
والخلاصة : التورية للمظلوم : جائزة ، وللظالم : غير جائزة ، ولمن ليس ظالماً ولا مظلوماً : على خلافٍ بين العلماء ، والراجح : أنها حرام" انتهى .
" لقاءات الباب المفتوح " (١٦١ /السؤال رقم ٩) باختصار .
وانظر جوابي السؤالين : (٢٧٢٦١) و (٤٥٨٦٥) .
ثالثاً :
الظاهر أن صاحب العمل يسأل هذا السؤال حتى لا يكون الموظف مصاباً بمرض يُقعده عن وظيفته ، أو يكثر من تأخره وغيابه ، أو يؤثر في حسن أدائه للعمل .
وبما أنك تعلم أن صاحب العمل لو علم بإصابتك بهذا المرض فإنه لا يسمح لك بالبقاء فيه ، فالذي ننصحك به هو مصارحة صاحب العمل بهذا المرض ، ثم يقرر بعد ذلك ما يراه .
عليه الصلاة والسلام الإسلام سؤال وجواب". (١)

٥٤-"إذا سألها زوجها عن ماضيها فهل لها أن تحلف كذباً أو تورية
ƒ.[أريد أن أسأل إذا كان لإحدى الفتيات ماض من الخوض في المعاصي ثم تابت ورجعت إلى الله عز وجل وجاءها من يتقدم لخطبتها بعد أن التزمت فهل تخبره عن هذا الماضي؟ ولو سألها هو فهل تكذب ؟ وإن كان عليها أن تكذب فهل يجوز أن تحلف كذبا إذا اضطرت لهذا؟].
^الحمد لله
أولا :
من ابتلي بشيء من المعاصي ثم تاب ، تاب الله عليه ، وبدل سيئاته حسنات ، مهما كان ذنبه ، ومهما عظم جرمه ، كما قال سبحانه : (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الفرقان/٦٨– ٧٠
والمهم أن تكون التوبة صادقة نصوحا خالصة لله تعالى .
ثانيا :
من إحسان الله تعالى على عبده أن يستره ، ولا يكشف أمره ، ولهذا كان من القبيح أن يفضح الإنسان نفسه وقد ستره الله ، بل أن ينبغي أن يستتر بستر الله تعالى ، والنصوص الشرعية مؤكدة لذلك ، حاثة عليه في غير ما موضع . فمن ذلك :

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب ٦٥٢٢/٥

قوله صلى الله عليه وسلم : (اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عز وجل عنها ، فمن ألمّ فليستتر بستر الله عز وجل) والحديث رواه البيهقي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٦٣)

وروى مسلم (٢٥٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وهذا من البشارة للتائب الذي ستره الله تعالى في الدنيا ، أن الله سيستره في الآخرة ، وقد حلف النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى تأكيدا له ، فقد روى أحمد (٢٣٩٦٨) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (ثَلَاثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فَأَسْهُمُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُمْ وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لَا آثَمَ لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وصححه الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٣٨٧)

وقال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ) رواه البخاري (٦٠٦٩) ومسلم (٢٩٩٠) .

وبهذا يُعلم أن المرأة لا تخبر خاطبها أو زوجها بشيء من معاصيها ، ولو سألها فإنها لا تخبره ، وتستعمل المعاريض والتورية ، وهي الكلام الذي يفهم منه السامع معنى ، خلاف ما يريد المتكلم ، كأن تقول : لم يكن لي علاقة بأحد ، وتقصد لم يكن لي علاقة بأحد قبل يوم أو يومين ، ونحو هذا .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التعليق على قصة ماعز رضي الله عنه :

" ويؤخذ من قضيته : أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد كما أشار به أبو بكر وعمر على ماعز . وأن مَن اطلع على ذلك يستر عليه بما ذكرنا ، ولا يفضحه ، ولا يرفعه إلى الإمام كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه القصة " لو سترته بثوبك لكان خيراً لك " ، وبهذا جزم الشافعي رضي الله عنه ، فقال : أُحبُّ لَمن أصاب ذنباً فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر .

وفيه : أنه يستحب لمن وقع في معصية وندم أن يبادر إلى التوبة منها ، ولا يخبر بها أحداً ويستتر بستر الله ، وإن اتفق أنه أخبر أحداً : فيستحب أن يأمره بالتوبة وستر ذلك عن الناس كما جرى لماعز مع أبي بكر ثم عمر " انتهى من "فتح الباري" (١٢/١٢٤) .

ثالثا :

ينبغي للزوج أن يختار صاحبة الدين والخلق ، فإذا وُفق لذلك فلا يفتّش في ماضيها ، ولا يسألها عن معاصيها ، فإن ذلك مخالف لما يحبه الله تعالى من الستر ، مع ما فيه من إثارة الشك ، وتكدير الخاطر ، وتشويش البال ، والإنسان في غنى عن ذلك كله ، فحسبه أن يرى زوجته مستقيمة على طاعة الله ، ملتزمة بأمره . وهكذا الزوجة لا تسأل زوجها عن أموره الماضية ، هل أحب غيرها ، أو تعلق بسواها ، أو زل في معصية ، فإن هذا لا خير فيه ، ويفتح بابا من الشر قد لا يمكن تلافيه

، وهو مخالف لمراد الشارع كما سبق .

رابعا :

إذا ألح الزوج في سؤال زوجته ، أو بلغه كلام أراد التحقق منه ، ولم تجد وسيلة لستر نفسها إلا أن تحلف له ، فيجوز لها أن تحلف وأن تُورّي في حلفها كما سبق ، فتقول : والله ما كان شيء من ذلك ، أو لم أفعل ذلك ، وتقصد : لم أفعله بالأمس مثلا .

وقد فصّل أهل العلم في مسألة الحلف وما يجوز فيه من التأويل والتورية ، وما لا يجوز ، وحاصل كلامهم أن الإنسان ليس له أن يوري في حلفه عند القاضي ، إلا إذا كان مظلوما . أما عند غير القاضي ، فله التورية إن كان مظلوما – لا ظالما – ، أو يخاف أن يترتب على صدقه مضرة له أو لغيره ، أو كان هناك مصلحة في توريته .

قال ابن قدامة رحمه الله : " مسألة : قال : وإذا حلف ، فتأول في يمينه ، فله تأويله إذا كان مظلوما .

ومعنى التأويل : أن يقصد بكلامه محتَمَلا يخالف ظاهره ، نحو أن يحلف : إنه أخي ، يقصد أخوة الإسلام ، أو المشابهة ، أو يعني بالسقف والبناء السماء ... ، أو يقول : والله ما أكلت من هذا شيئا ، ولا أخذت منه . يعني : الباقي بعد أخذه وأكله .

فهذا وأشباهه مما يسبق إلى فهم السامع خلافه ، إذا عناه بيمينه ، فهو تأويل ؛ لأنه خلاف الظاهر .

ولا يخلو حال الحالف المتأول ، من ثلاثة أحوال :

أحدها : أن يكون مظلوما ، مثل من يستحلفه ظالم على شيء ، لو صدَقه لظلمه ، أو ظلم غيره ، أو نال مسلما منه ضرر . فهذا له تأويله .

وقد روى أبو داود ، بإسناده عن سويد بن حنظلة ، قال : خرجنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا وائل بن حجر ، فأخذه عدو له ، فتحرج القوم أن يحلفوا ، فحلفت أنه أخي ، فخلى سبيله ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : (أنت أبرُّهم وأصدقُهم ، المسلم أخو المسلم) صححه الألباني في صحيح أبي داود

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) [ضعيف ، وصح موقوفا عن عمر. ينظر : صحيح الأدب المفرد ٨٥٧] . يعني سعة المعاريض التي يوهم بها السامع غيرَ ما عناه .

قال محمد بن سيرين : الكلام أوسع من أن يكذب ظريف يعني لا يحتاج أن يكذب ؛ لكثرة المعاريض ، وخص الظريف بذلك ؛ يعني به الكيس الفطن ، فإنه يفطن للتأويل ، فلا حاجة به إلى الكذب .

الحال الثاني : أن يكون الحالف ظالما ، كالذي يستحلفه الحاكم على حق عنده ، فهذا ينصرف يمينه إلى ظاهر اللفظ الذي عناه المستحلف ، ولا ينفع الحالف تأويله . وبهذا قال الشافعي . ولا نعلم فيه مخالفا ؛ فإن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) رواه مسلم وأبو داود .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اليمين على نية المستحلف﴾ . رواه مسلم .

وقالت عائشة : اليمين على ما وقع للمحلوف له .

ولأنه لو ساغ التأويل ، لبطل المعنى المبتغى باليمين ؛ إذ مقصودها تخويف الحالف ليرتدع عن الجحود ، خوفا من عاقبة اليمين الكاذبة ، فمتى ساغ التأويل له ، انتفى ذلك ، وصار التأويل وسيلة إلى جحد الحقوق ، ولا نعلم في هذا خلافا .
الحال الثالث : لم يكن ظالما ولا مظلوما ، فظاهر كلام أحمد ، أن له تأويله ، فروي أن مَهَنّا كان عنده ، هو والمروذي وجماعة ، فجاء رجل يطلب المروذي ، ولم يرد المروذي أن يكلمه ، فوضع مهنا أصبعه في كفه ، وقال : ليس المروذي هاهنا ، وما يصنع المروذي هاهنا ؟ يريد : ليس هو في كفه ، ولم ينكر ذلك أبو عبد الله .
... وقال أنس : إن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، احملني . فقال رسول الله : (إنا حاملوك على ولد الناقة . قال : وما أصنع بولد الناقة ؟ قال : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟) . رواه أبو داود .
وقال لرجل احتضنه من ورائه : (من يشتري هذا العبد ؟ فقال : يا رسول الله ، تجدني إذا كاسدا . قال : لكنك عند الله لست بكاسد) .
وهذا كله من التأويل والمعاريض ، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم حقا ، فقال (لا أقول إلا حقا) ..." انتهى . باختصار . من "المغني" (٩/٤٢٠) .
وقال شيخ الإسلام رحمه الله فيمن اغتاب إنسانا ثم تاب وأحسن :
" وعلى الصحيح من الروايتين لا يجب له الاعتراف لو سأله ، فيعرّض ولو مع استحلافه ؛ لأنه مظلوم ، لصحة توبته ، وفي تجويز التصريح بالكذب المباح ههنا نظر . ومع عدم توبةٍ وإحسانٍ تعريضُه كذب ، ويمينه غموس ، واختيار أصحابنا : لا يُعلمه ؛ بل يدعو له في مقابلة مظلمته " انتهى من "الاختيارات الفقهية" (٥/٥٠٧) مطبوع مع الفتاوى الكبرى ، ونقله ابن مفلح في الفروع (٧/٩٧) .
وينظر تفصيل مسألة التأويل في الحلف في "الموسوعة الفقهية" (٧/٣٠٦) .
خامسا :
جاءت الرخصة في الكذب في ثلاثة مواضع ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي (١٩٣٩) وأبو داود (٤٩٢١) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ) . والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي .
وهو محمول عند جماعة من أهل العلم على الكذب الصريح ، لا التورية ، وقد ألحقوا به ما دعت إليه الضرورة أو المصلحة الراجحة ، فيجوز الكذب فيه . وإن احتاج إلى الحلف ، حلف ولا شيء عليه ، والأولى أن يستعمل المعاريض كما سبق .
قال النووي رحمه الله في شرح مسلم : " قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْحَرْب خُدْعَة) ... وَقَدْ صَحَّ فِي الْحَدِيث جَوَاز الْكَذِب فِي ثَلَاثَة أَشْيَاء : أَحَدهَا فِي الْحَرْب . قَالَ الطَّبَرِيُّ : إِنَّمَا يَجُوز مِنْ الْكَذِب فِي الْحَرْب الْمَعَارِيض دُون حَقِيقَة الْكَذِب ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلّ ، هَذَا كَلَامه ، وَالظَّاهِر إِبَاحَة حَقِيقَة نَفْس الْكَذِب لَكِنْ الِاقْتِصَار عَلَى التَّعْرِيض أَفْضَل . وَاَللَّه أَعْلَم " انتهى .
وقال السفاريني رحمه الله : " فهذا ما ورد فيه النص ، ويقاس عليه ما في معناه ، ككذبه لستر مال غيره عن ظالم ، وإنكاره المعصية للستر عليه ، أو على غيره ما لم يجاهر الغير بها ، بل يلزمه الستر على نفسه وإلا كان مجاهرا ، اللهم إلا أن يريد إقامة الحد على نفسه كقصة ماعز ، ومع ذلك فالستر أولى ويتوب بينه وبين الله تعالى .

ثم قال السفاريني : " والحاصل أن المعتمد في المذهب أن الكذب يجوز حيث كان لمصلحة راجحة كما قدمناه عن الإمام ابن الجوزي ، وإن كان لا يتوصل إلى مقصود واجب إلا به وجب . وحيث جاز فالأولى استعمال المعاريض " انتهى من "غذاء الألباب" (١/١٤١) .

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

" ..فالمشروع للمؤمن أن يقلل من الأيمان ولو كان صادقا ؛ لأن الإكثار منها قد يوقعه في الكذب ، ومعلوم أن الكذب حرام ، وإذا كان مع اليمين صار أشد تحريماً ، لكن لو دعت الضرورة أو المصلحة الراجحة إلى الحلف الكاذب فلا حرج في ذلك ؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا ويقول خيراً . قالت : ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إنه كذب إلا في ثلاث : الإصلاح بين الناس ، والحرب ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها) رواه مسلم في الصحيح . فإذا قال في إصلاحٍ بين الناس : والله إن أصحابك يحبون الصلح ، ويحبون أن تتفق الكلمة ، ويريدون كذا وكذا ، ثم أتى الآخرين وقال لهم مثل ذلك ، ومقصده الخير والإصلاح : فلا بأس بذلك للحديث المذكور .

وهكذا لو رأى إنساناً يريد أن يقتل شخصاً ظلماً أو يظلمه في شيء آخر ، فقال له : والله إنه أخي ، حتى يخلصه من هذا الظالم إذا كان يريد قتله بغير حق أو ضربه بغير حق ، وهو يعلم أنه إذا قال : أخي تركه احتراما له : وجب عليه مثل هذا لمصلحة تخليص أخيه من الظلم .

والمقصود : أن الأصل في الأيمان الكاذبة المنع والتحريم ، إلا إذا ترتب عليها مصلحة كبرى أعظم من الكذب ، كما في الثلاث المذكورة في الحديث السابق " انتهى من "مجموع فتاوى الشيخ ابن باز" (١ /٥٤) .

والله أعلم .

عليه الصلاة والسلام الإسلام سؤال وجواب". (١)

٥٥-"مريض ووَرّى في معاملة التوظيف أنه معافى فهل يترك وظيفته؟

.[رجل يعمل الآن في وظيفة ، ولم يصدق في سؤال : "هل يعاني من مرض مزمن" ؟ عندما تقدم لهذا العمل ، بل ورّى بقوله " لم يعاني " ؛ لأنه حقيقة لم يعاني ، هو مصاب بفيروس التهاب الكبد فقط ، وهو مرض مزمن ، ولم يجد منه أية معاناة ، فهل تنصحه بترك العمل ، خاصة وأن صاحب العمل لو يعلم بمرضه ربما لا يسمح له بالبقاء في عمله ؟ وهل تنفعه التورية أم أنه يعتبر غير صادق في بياناته ؟ وهل يلزمه شيء في المدة السابقة ؟].

الحمد لله

أولاً:

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب ٣٥٨/٦

جاءت الشريعة المطهرة بالأمر بكل خلُق قويم ، وحذَّرت من كل خلق ذميم .

ومن الأخلاق القويمة التي أمر بها ربنا تعالى : الصدق ، وحذرنا من ضده وهو الكذب .

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة/ ١١٩ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنّ الصِدقَ يَهدي إلى البّر ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجَنّةِ ، وإنّ الرجُلَ لَيَصدُقُ حتّى يُكتَبَ عِندَ الله صِدّيقا ، وإنّ الكَذِبَ يهدي إلى الفُجورِ ، وإنّ الفُجورَ يَهدي إلى النّار ، وإنّ الرَجُلَ لَيَكذِبُ حتى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذابا) رواه البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢٦٠٧) .

ولعلَّك رأيت الكذب نافعاً لك ، ورأيت الصدق مضراً لك ، لذا فعلت ما فعلت من كتم المرض أن تدونه في معاملة التوظيف ، وهو ما حذَّر منه سلف الأمة .

قال بعض الصالحين : عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرك ، فإنه ينفعك ، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك ، فإنه يضرك .

فعلى المؤمن أن يزيّن حياته بالصدق ، والصادق لن تجده إلا متصفاً بصفات الكمال الأخرى .

قال ابن القيم رحمه الله :

"فالصدق بريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ، بل هو لبه وروحه ، والكذب بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه ، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد ، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرد أحدهما صاحبه ويستقر موضعه" انتهى .

" زاد المعاد " (٣ / ٥٩٠) .

ثانياً :

التورية هي أن يُفهم المتكلمُ سامعَه شيئاً غير الذي في نفسه ، ويكون الكلام محتملاً .

ولا يجوز للمسلم استعمال التورية إلا لتحقيق مصلحة شرعية ، أو دفع مفسدة ، أو لحاجة ماسة ، ولا يحل له استعمالها في كل حين ، ولا لأخذ ما ليس من حقه .

وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : ما هي التورية ؟ وما الفرق بينها وبين الكذب ؟ .

فأجاب :

"التورية : أن يريد بلفظه ما يخالف ظاهره ، والكذب : صريح في أنه تكلم بخلاف الواقع . السائل : السامع ربما يفهم شيئاً آخر .

الشيخ : لا يهم ، هذا هو بُعد التورية ، أن يفهم السامع من خطابك خلاف ما تريد ، التورية قد يحتاج الإنسان إليها . أما الظالم : فلا تصح توريته ، ولا تحل ، والحكم فيها أنها على حسب ما يعتقده خصمه ، ولهذا جاء في الحديث : (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) فإذا قال الظالم بهذا التأويل ، لم ينفعه ، والمظلوم ينفعه .

ومَن ليس بظالم ولا مظلوم : من العلماء من قال : إن التورية جائزة ، ومنهم من قال : إنها غير جائزة ، والراجح : أنها غير

جائزة ، وأن الإنسان يجب أن يكون صريحاً ؛ لأن الإنسان إذا اعتاد التورية ثم ظهر الأمر على خلاف ما ظهر من كلامه : اتهمه الناس بالكذب ، وأساءوا فيه الظن ، لكن إذا كان مظلوماً : فهذه حاجة ، والظلم قليل بالنسبة للحوادث .

والخلاصة : التورية للمظلوم : جائزة ، وللظالم : غير جائزة ، ولمن ليس ظالماً ولا مظلوماً : على خلافٍ بين العلماء ، والراجح : أنها حرام" انتهى .

" لقاءات الباب المفتوح " (١٦١ /السؤال رقم ٩) باختصار .

وانظر جوابي السؤالين : (٢٧٢٦١) و (٤٥٨٦٥) .

ثالثاً :

الظاهر أن صاحب العمل يسأل هذا السؤال حتى لا يكون الموظف مصاباً بمرض يُقعده عن وظيفته ، أو يكثر من تأخره وغيابه ، أو يؤثر في حسن أدائه للعمل .

وبما أنك تعلم أن صاحب العمل لو علم بإصابتك بهذا المرض فإنه لا يسمح لك بالبقاء فيه ، فالذي ننصحك به هو مصارحة صاحب العمل بهذا المرض ، ثم يقرر بعد ذلك ما يراه .

عليه الصلاة والسلام الإسلام سؤال وجواب". (١)

٥٦-"مريض وورّى في معاملة التوظيف أنه معافى فهل يترك وظيفته؟

ƒ.[رجل يعمل الآن في وظيفة ، ولم يصدق في سؤال : "هل يعاني من مرض مزمن" ؟ عندما تقدم لهذا العمل ، بل ورَّى بقوله " لم يعاني " ؛ لأنه حقيقة لم يعاني ، هو مصاب بفيروس التهاب الكبد فقط ، وهو مرض مزمن ، ولم يجد منه أية معاناة ، فهل تنصحه بترك العمل ، خاصة وأن صاحب العمل لو يعلم بمرضه ربما لا يسمح له بالبقاء في عمله ؟ وهل تنفعه التورية أم أنه يعتبر غير صادق في بياناته ؟ وهل يلزمه شيء في المدة السابقة ؟].

^الحمد لله

أولاً:

جاءت الشريعة المطهرة بالأمر بكل خلُق قويم ، وحذَّرت من كل خلق ذميم .

ومن الأخلاق القويمة التي أمر بها ربنا تعالى : الصدق ، وحذرنا من ضده وهو الكذب .

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة/ ١١٩ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنّ الصِدقَ يَهدي إلى البّر ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجَنّةِ ، وإنّ الرجُلَ ليَصدُقُ حتّى يُكتَبَ عِندَ الله صِدّيقا ، وإنّ الكَذِبَ يهدي إلى الفُجورِ ، وإنّ الفُجورَ يَهدي إلى النّار ، وإنّ الرَجُلَ ليَكذِبُ حتى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذابا) رواه البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢٦٠٧) .

ولعلّك رأيت الكذب نافعاً لك ، ورأيت الصدق مضرّاً لك ، لذا فعلت ما فعلت من كتم المرض أن تدونه في معاملة

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب ١٥٨٦/٧

التوظيف ، وهو ما حذَّر منه سلف الأمة .

قال بعض الصالحين : عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرك ، فإنه ينفعك ، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك ، فإنه يضرك .

فعلى المؤمن أن يزيّن حياته بالصدق ، والصادق لن تجده إلا متصفاً بصفات الكمال الأخرى .

قال ابن القيم رحمه الله :

"فالصدق بريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ، بل هو لبه وروحه ، والكذب بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه ، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد ، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرد أحدهما صاحبه ويستقر موضعه" انتهى .

" زاد المعاد " (٣ / ٥٩٠) .

ثانياً :

التورية هي أن يُفهِم المتكلمُ سامعَه شيئاً غير الذي في نفسه ، ويكون الكلام محتملاً .

ولا يجوز للمسلم استعمال التورية إلا لتحقيق مصلحة شرعية ، أو دفع مفسدة ، أو لحاجة ماسة ، ولا يحل له استعمالها في كل حين ، ولا لأخذ ما ليس من حقه .

وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : ما هي التورية ؟ وما الفرق بينها وبين الكذب ؟ .

فأجاب :

"التورية : أن يريد بلفظه ما يخالف ظاهره ، والكذب : صريح في أنه تكلم بخلاف الواقع . السائل : السامع ربما يفهم شيئاً آخر .

الشيخ : لا يهم ، هذا هو بُعد التورية ، أن **يفهم السامع** من خطابك خلاف ما تريد ، التورية قد يحتاج الإنسان إليها . أما الظالم : فلا تصح توريته ، ولا تحل ، والحكم فيها أنها على حسب ما يعتقده خصمه ، ولهذا جاء في الحديث : (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) فإذا قال الظالم بهذا التأويل ، لم ينفعه ، والمظلوم ينفعه .

ومَن ليس بظالم ولا مظلوم : من العلماء من قال : إن التورية جائزة ، ومنهم من قال : إنها غير جائزة ، والراجح : أنها غير جائزة ، وأن الإنسان يجب أن يكون صريحاً ؛ لأن الإنسان إذا اعتاد التورية ثم ظهر الأمر على خلاف ما ظهر من كلامه : اتهمه الناس بالكذب ، وأساءوا فيه الظن ، لكن إذا كان مظلوماً : فهذه حاجة ، والظلم قليل بالنسبة للحوادث .

والخلاصة : التورية للمظلوم : جائزة ، وللظالم : غير جائزة ، ولمن ليس ظالماً ولا مظلوماً : على خلافٍ بين العلماء ، والراجح : أنها حرام" انتهى .

" لقاءات الباب المفتوح " (١٦١ /السؤال رقم ٩) باختصار .

وانظر جوابي السؤالين : (٢٧٢٦١) و (٤٥٨٦٥) .

ثالثاً :

الظاهر أن صاحب العمل يسأل هذا السؤال حتى لا يكون الموظف مصاباً بمرض يُقعده عن وظيفته ، أو يكثر من تأخره وغيابه ، أو يؤثر في حسن أدائه للعمل .

وبما أنك تعلم أن صاحب العمل لو علم بإصابتك بهذا المرض فإنه لا يسمح لك بالبقاء فيه ، فالذي ننصحك به هو مصارحة صاحب العمل بهذا المرض ، ثم يقرر بعد ذلك ما يراه .

عليه الصلاة والسلام الإسلام سؤال وجواب". (١)

٥٧-"قيل لك: نعم! ولكن مع كل ما مرّ لأجل وُسعة روح الانسان وتبسط عقله وانبساط استعداده وكثرة وانتشار استفادته من الكائنات.. وايضاً لأجل عدم المزاحمة والتجزي والمدافعة في جهة الاستفادة كنسبة الكلي الى جزئياته - اذ الكلي بتمامه موجود في كل من جزئياته لامزاحمة ولا تجزء - جعل القرآن الكريم جهة استفادة البشر التي هي غاية فذة من الوف الوف غايات السماء والأرض في منزلة العلة الغائية كأنها هي العلة بالنظر الى الانسان. اي ان الانسان يستفيد من الأرض عرصةً لبيته والسماء سقفا له والنجوم قناديل والنباتات ذخائر، فحقّ لكل فرد ان يقول: شمسي وسمائي وأرضي. فتأمل وعقلك معك!

اما كيفيات (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) فاعلم! ان نسبة انزل الى الضمير اشارة الى ان القطرات انما تُنزَل بميزان قصد وتُرسل بحكمة، حتى ان كل قطرة محفوفة بنظام مخصوص بأمارة عدم مصادمتها لأخواتها في تلك المسافة البعيدة مع تلعب الهواء بها. فيؤذن ان ليست غواربها على اعناقها ١، بل زمام كل في يد ملَك ممثِّل لنظام ومعكس له.

أما (من السماء) فاشارة باقامة الظاهر مقام الضمير الى ان الغرض من هذه السماء جهتها لا جِرمها المخصوص. ٢

اما (ماء) مع ان المنزل ثلج وبَرَد ومطر، فاشارة الى المنشأ القريب للاستفادة (وجعلنا من الماء كل شئ حي) ٣. أما تنكيره فاشارة الى انه ماء عجيب شأنه، غريب نظامه، مجهول لكم امتزاجاته الكميوية.

أما فاء (فاخرج) الموضوعة للتعقيب بلا مهلة مع المهلة بين نزول الماء وخروج الثمر فتلويح الى فـ"اهتزت الأرض وربت واخضرت وانبتت من كل زوج بهيج فاخرج". أما نسبة "اخرج" الى الضمير فاشارة الى ان خروج الثمار ليس بتولد وتركب فقط، بل الصانع الحكيم ينشؤها ويرتبها بصفات وخواص لاتوجد في مادتها.

أما (به) فبسبب تشرب المعنى الحقيقي - وهو الالصاق - للسببية رمز الى لطافة طراوة الثمار، فيعلو اليها الماء - خلاف طبيعته - بوساطة "الآثار الشعرية" فيملأ أقداح الثمرات ملصقاً بها.

أما (من الثمرات) فلعدم خلوها من معنى الابتداء عند (سيبويه) يشير الى مفعول يتنوع بتعين **فهم السامع**، أي ان من الثمرات أنواعاً كما تشتهون.

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب ٧/١٦٨٠

أما تنوين (رزقاً) فاشارة الى انه رزق مجهول لكم أسباب حصوله فيجئ من حيث لا يحتسب.

---

١ الصحيح: "حبلها على غاربها".. راجع الكتب الفقهية في بحث كنايات الطلاق والمعاجم اللغوية في مادة "غرب" (ب)
٢ لأن المقام مقام الضمير، فاذا عدل عنه الى الظاهر يكون المراد به غير الاول... (ب)
٣ سورة الانبياء: ٣٠.". (١)

٥٨-"أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾١، وبين فعليتين؛ كقوله٢: [البسيط]
٤١٨- فقلت أهي سرت أم عادني حلم٣

---

١ ٢١ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٩.
موطن الشاهد: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾.
وجه الاستشهاد: السؤال في هذه الآية عن الخبر؛ وهو قريب وبعيد؛ والمسئول عنه متأخر؛ وهو ما توعدون؛ وذلك؛ لأن شرط الهمزة المعادلة لـ"أم" أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما، ويلي "أم" المعادل الآخر؛ **ليفهم السامع** من أول الأمر ما يطلب تعيينه؛ ويرى سيبويه: أن إيلاء المسئول عنه الهمزة أولى، لا واجب. انظر التصريح: ٢/ ١٤٣.
٢ قيل هو: زيادة بن حمل، وقيل: زياد بن منقذ العدوي؛ المعروف بالمرار الحنظلي، وقد مرت ترجمته.
٣ تخريج الشاهد: هذا عجز بيت، وصدره قوله: فقمت للطيف مرتاعا فأرقني
وهو من كلمة يحن فيها الشاعر إلى وطنه؛ وقبله قوله: زارت رقية شعثا بعد ما هجعوا لدى نواحل في أرساغها الخدم
والشاهد من شواهد: التصريح: ٢/ ١٤٣، والأشموني: ٨٢٣/ ٢/ ٤٢١، والخصائص: ١/ ٣٠٥، ٢/ ٣٣٠، والخزانة: ٢/ ٣٩١، وشرح المفصل: ٧/ ١٧٩، والهمع: ١/ ٦١، ٢/ ١٣٢، والدرر: ١/ ٣٧، ٢/ ١٧٥، ومجالس العلماء للزجاجي: ١٣٩٦ وشرح شواهد الشافعية للبغدادي: ١٩٠، والمغني: ٥٦/ ٦٢، ٧٠٥/ ٤٩٥، والسيوطي: ٤٩ وشرح التبريزي على ديوان الحماسة: ٣/ ٣٢٤.
المفردات الغريبة: الطيف: المراد به خيال المحبوبة الذي يراه في النوم. مرتاعا: خائفا، يقال: راعه فارتا ع؛ أي: أفزعه ففزع، ولا ترع: أي لا تخف. أرقني: أسهرني. أهي "بسكون الهاء": إجراء لهمزة الاستفهام مجرى واو العطف وفائه. سرت: من السرى؛ وهو السير ليلا. عادني: زارني وأتاني بعد إعراض.
المعنى: استيقظت من النوم فزعا خائفا؛ لما رأيت في نومي خيال المحبوبة وقلت في نفسي -وقد أطار ذلك النوم من عيني: أهي المحبوبة جاءت إلي ليلا؟ أم ذلك حلم ومنام؟!

---

(١) إشارات الإعجاز ص/١٧٤

الإعراب: فقلت: الفاء عاطفة، قلت: فعل ماضٍ مبني على السكون؛ لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل. أهي: الهمزة حرف استفهام. هي: فاعل لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده "سرت". سرت: ="." (١)

٥٩-" بين الأصل والفرع وذلك لا يجوز لأن الفروع أبدا تنحط عن درجة الأصول فقلنا إنه إذا جرى على غير من هو له يجب إبراز الضمير ليقع الفرق بين الأصل والفرع

ومنهم من تمسك بأن قال إنما قلنا يجب إبراز الضمير فيه إذا جرى على غير من هو له لأنا لو لم نبرزه لأدى ذلك إلى الالتباس ألا ترى أنك لو قلت زيد أخوه ضارب وجعلت الفعل لزيد ولم تبرز الضمير لأدى ذلك إلى أن يسبق إلى **فهم السامع** أن الفعل للأخ دون زيد ويلتبس عليه ذلك ولو أبرزت الضمير لزال هذا الالتباس فوجب إبرازه لأنه به يحصل إفهام السامع ورفع الالتباس ويخرج على هذا إذا جرى على من هو له فإنه إنما لم يلزمه إبراز الضمير لأنه لا التباس فيه ألا ترى أنك لو قلت زيد ضارب غلامه لم يسبق إلى **فهم السامع** إلا أن الفعل لزيد إذ كان واقعا بعده فلا شئ أولى به منه فبان بما ذكرنا صحة ما صرنا إليه

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين أما البيت الأول وهو قوله

(لمحقوقة أن تستجيبي دعاءه ...)

فلا حجة لهم فيه لأنه محمول عندنا على الاتساع والحذف والتقدير فيه لمحقوقة بك أن تستجيبي دعاءه وإذا جاز أن يحمل البيت على وجه سائغ في العربية فقد سقط الاحتجاج به ". (٢)

٦٠-" تكون خافضة وتكون عاطفة وكذلك قلتم إن إلا تكون ناصبة وتكون عاطفة وكذلك حاشى وخلا تكونان ناصبين وخافضين واللفظ فيها كلها واحد والعمل مختلف فكذلك هاهنا

وأما قولهم إن مه في موضع نصب قلنا هذا باطل لأنها لو كانت ما في موضع نصب لكان ينبغي أن لا يحذف الألف من ما لأنها لا يحذف الألف منها إلا إذ كانت في موضع جر بخلاف ما إذا كانت في موضع نصب أو رفع فإنه لا يجوز أن يحذف الألف منها ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول م تفعل في قولك ما تفعل وم عندك في قولك ما عندك فلما حذفت الألف هاهنا دل على أنها ليست في موضع نصب وإنما هي في موضع جر

ثم هذا الحذف في موضع الجر إنما يكون في ما الاستفهامية دون ما الموصلة إلا في قولهم ادع بم شئت أى بالذي شئت فإن العرب تحذف الألف من ما الموصولة هاهنا خاصة كما تحذفها منها إذا أردت بها الاستفهامية

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك /

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٦٠

وقولهم إنها تقال عند ذكر كلام لم يفهم إلى آخر ما قرروا قلنا فكان يجب أن يجوز أن يقال أن مه ولن مه وإذن مه كما يقال كيمه إذا لم **يفهم السامع** ما بعد هذه الأحرف من الفعل لأنه إنما يسأل عن مصدر والمصدر في الأفعال بعد هذه الأحرف التي هي أن ولن وإذن وبعد كي واحد فلما لم يقل ذلك واختصت به كي دونها دل على بطلان ما ذهبوا إليه والله أعلم ". (١)

٦١-"... فالآية الكريمة تضمنت حذف (الكاف) من قوله (وما قلى) والتقدير (وما قلاك) وفي تعليل هذا الحذف ودلالته اختلفت الآراء وتشعبت بين العلماء والدارسين قديماً وحديثاً، فهذا الزمخشري يعلله فيقول : " اختصار لفظي لظهور المحذوف" (١) وإلى معنى الاختصار نفسه ذهب أبو حيان (٢) من القدامى والدكتور محمد محمد أبو موسى من المحدثين (٣) . أما الفخر الرازي فقد أعطى عدة وجوه لحذف الكاف منها : الإكتفاء بالكاف الأولى في (ودعك) ، أو إتفاق الفواصل ومراعاتها أوجب حذف الكاف، أو أنّ الحذف أفاد معنى الإطلاق، أي أنّه ماقلاك ولا أحداً من أصحابك ولا أحداً ممن أحبك الى قيام القيامة تقريرا لقوله (المرء مع من أحب) (٤) . فالرازي " أدرك عدم كفاية الفاصلة كظاهرة أسلوبية يختص الإعجاز الصوتي بها فقط فحاول اثبات كونها وجها من الوجوه الأسلوبية المختصة بهذا النوع من الإعجاز، من خلال إعطائها إمكانات أسلوبية تحكم بجانب ضوابط أو وجوه تساعد على فهم خصائص بنية النص القرآني الصوتية " (٥) . غير أنّه " يحمّل النص أكثر مما يحتمل في ذكره الوجه الثالث (الإطلاق)، لأن الأطلاق ليس تفسيرا يأتينا بما لانتوقع، كالسياق شاهد على أنّ الخطاب لمحمد - صلى الله عليه وسلم - على وجه التخصيص ومانراه أنَّ إتفاق فواصل السورة اوجب حذف الكاف، هو الذي جعل الآية مكتفية **بفهم السامع** لمعناها " (٦) ،

---

(١) ... الكشاف٤/٢٦٣،وينظر:مدارك التنزيل٣/٧٠١، البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف/٢٢٧.
(٢) ... ينظر: البحر المحيط ٨/٤٨٥.
(٣) ... ينظر: خصائص التراكيب /٢٨٧.
(٤) ... التفسير الكبير ٣١/٢١٠، وينظر : البرهان للزركشي :٣/١٠٧، ٣/١٦٧، التفسير البياني للقرآن ، بنت الشاطي ١/٣٤ .
(٥) ... الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري /١٠٤.
(٦) ... نفسه /١٠٥..". (٢)

٦٢-" الفاء كما يقال أعطيته فشكر ومنعته فصبر وعطفه بالواو إشعارا بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما العلم كأنه قال فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٥٧٤
(٢) الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - دراسة بلاغية وأسلوبية ص/٢٩

وقال السكاكي يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالا كأنه قال نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتمادا على **فهم السامع** كقولك قم يدعوك بدل قم فإنه يدعوك

واعلم أن الحذف على وجهين أحدهما أن لا يقام شيء مقام المحذوف كما سبق والثاني أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى (فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم والتقدير فإن تولوا فلا لوم علي لأني قد أبلغتكم أو فلا عذر لكم عند ربكم لأني قد أبلغتكم وقوله (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أي فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك وقوله (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) أي فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين

وأدلة الحذف كثيرة منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية وقوله (حرمت عليكم أمهاتكم) الآية فإن ". (١)

٦٣-"كما سيأتي١ وقولنا واف احتراز عن الإخلال. وهو أن يكون اللفظ قاصرًا عن أداء المعنى٢ كقول عروة بن الورد٣:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فإنه أراد إذ يقتلون نفوسهم في السلم.

وقول الحارث بن حلزة:

والعيش خير في ظلا ل النوك ممن عاش كدا٤

فإنه أراده٥ العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل. الحل كما ترى.

وقولنا "الفائدة" احتراز عن شيئين:

---

١ والمراد بالإيجاز أن يكون اللفظ ناقصًا عن أصل المراد وافيًا به. والمراد بالإطناب أن يكون زائدًا عليه لفائدة.

٢ بأن يكون ناقصًا عن أصل المراد غير واف به لخفاء الدلالة بحيث يحتاج فيها إلى تكلف وتعسف. فالمراد بالوفاء أن تكون الدلالة على ذلك المراد مع نقصان اللفظ واضحة ظاهرة لا خفاء فيها.

٣ العبسي. والبيت في الصناعتين ص١٨٢. والعقد الفريد ص٣١٩ جـ٢. وتاريخ الكامل لابن الأثير ص٢٧١ جـ١.

٤ البيت في الصناعتين ص٢٧ وص١٧١ وص١٨٢. النوك: الحمق والجهالة وإضافة الظلال إليه من إضافة المشبه به إلى المشبه. الكد: المشقة والتعب.

٥ يعني أن أصل المراد أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ولفظه غير واف بذلك؛ لأن

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- دار إحياء العلوم ص/١٨٤

اعتبار المحذوف لا دليل عليه إذ كل منهما لا يعلم من الكلام ولا يدل عليه دلالة واضحة إذ لا **يفهم السامع** هذا المراد من البيت حتى تتأمل في ظاهر الكلام فتجده غير صحيح فيقدر المحذوف لأجل صحة هذا الكلام بعد مزيد نظر وتأمل. وذكر السيوطي أنه لا إخلال فيه بل فيه نوع بديعي هو الاحتباك حيث حذف من كل ما أثبت مقابله في الآخر فما ذكر في كل محل قرينة معينة للمحذوف من المحل الآخر.". (١)

٦٤-"اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أي: فأتياهم، فأبلغاهم الرسالة، فكذبوهما، فدمرناهم، وقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾، أي: فأتياه أبلغاه ذلك، فلما سمعه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾، ويجوز أن يكون التقدير فأتياه فأبلغاه ذلك ثم يقدر: فماذا قال؟ فيقع قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ استئنافا، ونحوه قوله: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾، أي: ففعل ذلك، فأخذت الكتاب، فقرأته، ثم كأن سائلا قال: فماذا قالت؟ فقيل: قالت: يا أيها الملأ. وأما قوله تعالى٢: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقال الزمخشري في تفسيره: هذا موضع الفاء كما يقال: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر، وعطفه بالواو إشعارًا بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما العلم، كأنه قال: فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا: الحمد لله، وقال السكاكي٢: يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالا، كأنه قال: نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتمادا على **فهم السامع** كقولك: قم يدعوك، بدل: قم فإنه يدعوك. واعلم أن الحذف على وجهين: أحدهما أن لا يقام شيء مقام المحذوف٣ كما سبق ٤. والثاني أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُم﴾ ليس إلا بلاغ هو الجواب؛ لتقدمه على توليهم٥، والتقدير فإن تولوا فلا لوم علي لأني قد أبلغتكم، أو فلا عذر لكم عند ربكم، وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَد

---

١ راجع ١٢١ من المفتاح.

٢ راجع ١٢١ من المفتاح.

٣ فيكتفى فيه بالقرينة اللفظية أو الحالية كما سبق في الأمثلة.

٤ أي في الأمثلة السابقة لحذف جزء الجملة.

٥ وجزاء الشرط يجب أن يكون مضمونه مترتبا على مضمون الشرط.". (٢)

٦٥-"وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الأذهان١" وذلك تقرير لبلاغة الألفاظ والنظم ولتنافر الحروف والكلمات سبق إليه الجاحظ عبد القاهر وشيعته والسكاكي ومدرسته بقرون.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- دار الجيل- تحقيق خفاجي /

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة- دار الجيل- تحقيق خفاجي /

ويرى بليغ أن بلاغة الكلام في أن يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك، والجاحظ يثني على هذا الرأي ويجتبيه٢.

ويرى ابن المقفع أنه يجب أن يكون في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته "٩١/ ١ بيان"، فيشرح ذلك الجاحظ ويدلي برأيه فيه ٣، مقررًا بلاغة الاستهلال تقريرًا ليس بعده من غرابة.

والجاحظ جد معجب ببلاغة الكتاب، يتجلى ذلك في نقده لمذهبهم الأدبي في الكتابة والبيان٤، وهو يرى أن حديث الأعراب الفصحاء بالغ الغاية في الامتاع، وليس أفتق للسان ولا أجود تقويمًا للبيان "٥" منه، كما يعجب ببلاغة المتكلمين والنظارين ويراهم فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء٦.

وذكر الجاحظ رأي إبراهيم بن محمد في البلاغة وأنه يكفي من حظها ألا يؤتي السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع، ثم أشاد به وأثنى عليه "٧٥/ ١".

واختلف علماء البيان في الخطابة وهل يستجاد فيها الإشارة والحركة؟ فذهب النظام إلى استجادتها، وجعلها رجل كأبي شمر

---

١ ٦٢/ ١.

٢ ٩١/ ١.

٣ ٩٢/ ١.

٤ ١٠٥/ ١ و٢٢٥/ ٣.

٥ ١١٠/ ١.

٦ ١٠٦/ ١." (١)

٦٦-"والثالث: رجوع الضمير إلى معلوم، قام قوة العلم به، وارتفاع اللبس فيه . بدليل لفظى أو معنوى . مقام تقدم الذكر له ، فأضمروه اختصارا، أوثقه بفهم السامع، كقوله تعالى: ٤س»Lym ôNu'#uqs ة>$ötدyf:$$خ/ ( ) أضمر الشمس لدلالة ذكر "العشى" عليها، من حيث كان ابتداء العشى بعد زوال الشمس .

والرابع : إضمار غائب لا يعود على مذكور، ولا معلوم، وهو الضمير المجهول الذى يلزمه التفسير إما بالجملة، وإما بالمفرد المنصوب، فالمفسر بالجملة ضمير الشأن والقصة فى نحو : هو زيد منطلق، و uqèd هـ!$# &î%ymr ( )، وإنه أنا ذاهب، و ےإ¤R¯çm خ) $tRr& هـ!$# ( )، فهذا ضمير الشأن ، وهى هند جالسة ، فهى ضمير القصة.

والمفسر بالمفرد، الإضمار فى "نعم" و"بئس" و"رب" نحو: نعم غلاما زيد، وربه رجلا عالما أدركت." ( )

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- دار الجيل- تحقيق خفاجي ١٦٦/١

وقد حاول الإمام السيوطى بيان مرجع الضمير فى القرآن الكريم، فقال:" لا بد له من مرجع يعود إليه ويكون ملفوظا به سابقا مطابقا به، نحو: ٣"yڤ$Y¼çmo R$çyî rurtR¸/$#( ).

. أو متضمنا له نحو: (#qنO٩د عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ôp$# uqèd .>t چ٪r&( )، فإنه عائد على العدل المتضمن له "اعدلوا"

.

. أو دالا عليه بالالتزام ، نحو: !$¯Rخ) Yo"mçRr9t"&( ) أى : القرآن ، لأن الإنزال يدل عليه التزاما.

. أو متأخرا لفظا، لا رتبة مطابقا نحو: ﴿ﷺsù'rr÷_y 'ûخ ۣدmإsےZpx Rtےlb4 سzBoq› y( ).

. أو رتبة أيضا فى باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع.

. أو متأخرا دالا بالالتزام نحو: #sŒIw ùsن=qn(دtMôtç=ùu)àqPt /t=n¨ôsŒ# .xxH .( ) #$:خ(دuôMt /t=n'ح'#ûjقu«#$9I ( ) أضمر الروح أو النفس لدلالة "الحلقوم" و"التراقى" عليها.

. وقد يدل عليه السياق، فيضمر ثقة بفهم السامع نحو: 'ن@. kp$ Bt`ôٍtژ=nو ٥ ( ) ùs$b، Bt$,ژ چt s 4n'tn $dyجچgsôكٍ( ) أى الأرض ، أو الدنيا .

." (١)

٦٧-"والثالث: رجوع الضمير إلى معلوم، قام قوة العلم به، وارتفاع اللبس فيه . بدليل لفظى أو معنوى . مقام تقدم الذكر له ، فأضمروه اختصارا، أوثقه بفهم السامع، كقوله تعالى: ٤س»qsu#'uNôn myL ة>$fyدt:$$:خ/ ( ) أضمر الشمس لدلالة ذكر "العشى" عليها، من حيث كان ابتداء العشى بعد زوال الشمس .

والرابع : إضمار غائب لا يعود على مذكور، ولا معلوم، وهو الضمير المجهول الذى يلزمه التفسير إما بالجملة، وإما بالمفرد المنصوب، فالمفسر بالجملة ضمير الشأن والقصة فى نحو : هو زيد منطلق، و uqèd ھ!$# rmy‰î&( )، وإنه أنا ذاهب، و ےۣR¯mçخ) $rRt&( ) #$!ھ)، فهذا ضمير الشأن ، وهى هند جالسة ، فهى ضمير القصة.

والمفسر بالمفرد، الإضمار فى "نعم" و"بئس" و"رب" نحو: نعم غلاما زيد، وربه رجلا عالما أدركت." ( )

وقد حاول الإمام السيوطى بيان مرجع الضمير فى القرآن الكريم، فقال:" لا بد له من مرجع يعود إليه ويكون ملفوظا به سابقا مطابقا به، نحو: ٣"yڤ$Y¼çmo R$çyî rurtR¸/$#( ).

. أو متضمنا له نحو: (#qنO٩د عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ôp$# uqèd .>t چ٪r&( )، فإنه عائد على العدل المتضمن له "اعدلوا"

.

. أو دالا عليه بالالتزام ، نحو: !$¯Rخ) Yo"mçRr9t"&( ) أى : القرآن ، لأن الإنزال يدل عليه التزاما.

. أو متأخرا لفظا، لا رتبة مطابقا نحو: ﴿ﷺsù'rr÷_y 'ûخ ۣدmإsےZpx Rtےlb4 سzBoq› y( ).

. أو رتبة أيضا فى باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع.

---

(١) الاعتراضات النحوية فى كتاب: "منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا /

. أو متأخرا دالا بالالتزام نحو: #sŒIw (خqn=sù دtPqà)ù=çtöMt/ #sŒön=t/ Hxx. ( ). #$:خ)
دuöMt/ n=t'ح'#u»ژ#$I9 ( ) أضمر الروح أو النفس لدلالة "الحلقوم" و"التراقى" عليها.

. وقد يدل عليه السياق، فيضمر ثقة **بفهم السامع** نحو: '@ن. $pk tB`ôژtj=n9 ٥ ( ) b$sù، $tB ژ,tچ s
$m4'nt yd$جحsgôكd( ) أى الأرض ، أو الدنيا .
". [1]

٦٨-"هذا الأسلوب كثير في القرآن الكريم، ومن أمثلته قوله تعالى " إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر ". الآيتان (١) و(٢) من سورة الكوثر، وخطاب القرآن جاء هنا بأسلوب التكلم فقال (أعطيناك) ثم انتقل إلى الغيبة فقال (لربك) ولم يقل (لنا)، والالتفات هنا في (أعطيناك) وفي (لربك).

ووجهه أن **يفهم السامع** قصد المتكلم من كلامه حضر أو غاب، والسر البلاغي هو التحريض على فعل الصلاة لحق الربوبية؛ لأن من يربيك يستحق العبادة. (٢٩)

ومن هذا الأسلوب في الالتفات قوله تعالى " يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ... فآمنوا بالله ورسوله. " الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.

الالتفات في الآية انتقل من قوله تعالى (إني رسول الله) إلى قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله)، وهو ما يقتضيه السياق القرآني المعجز، وفي هذا سران بلاغيان :

جراء تلك الصفات على الرسول صلى الله عليه وسلم التي هي أكبر دليل على صدقه.

أن يدفع عنه تهمة التعصب لنفسه، بل للخصائص التي وردت في الآية الكريمة (٣٠)

٣ – الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

ومن أمثلته قوله تعالى : " قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون". الآية (٢١) من سورة يونس.

وقد جاء الالتفات في أول الآية بأسلوب الخطاب وهو (قل الله) ثم التفت إلى التكلم (إن رسلنا) على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب.

والسر البلاغي هنا هو تهديد من الله للمشركين على مكرهم؛ لأنه أسرع مكراً من مكرهم، ومن ذلك قوله تعالى : " واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ". الآية (٩٠) من سورة هود.

والالتفات في الآية جاء في أولها بأسلوب الخطاب وهو (واستغفروا ربكم)، ثم انتقل في آخرها لأُسلوب التكلم، (إن ربي رحيم ودود)، وكان الظاهر أن يقول: (إن ربكم) والسر البلاغي هنا هو الإشارة إلى أن ربكم وربي واحد.

٤ – الالتفات من الخطاب إلى الغائب.". [2]

---

(١) الاعتراضات النحوية فى كتاب: "منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا /

(٢) الالتفات في البلاغة العربية – قحطان ص/١٠

٦٩-"وبهذا يظهر انه قد سببت حرية الوضع والاستعمال كثرة الاحتمال في النصوص والعبارات، مما يدعو لبحث كيفية فهم الخطاب، وتحديد المعنى في ضوء هذا الاشكال. وهذا ما بحثه الاصوليون وغيرهم في العناصر السياقية والمقامية التي لها اكبر الاثر في الكشف عن المعنى ذلك ان هدف الاصوليين (معرفة كيفية اقتباس الاحكام من الادلة) (١) .

وبحث السياق مكمل لما بحثه الاصوليون من حقيقة الخطاب واقسامه ومضمونه وموضوعه وعناصره اللغوية في الوضع والاستعمال والنظم والوضوح والخفاء، او يقال: إن ذلك يشمل ما بحثوه (من اول وضع الواضع الى آخر فهم السامع) (٢) ، ومن الدلالة المفردة والتركيبية للكلمات، ذلك ان لوضع الكلمة دلالة هي الاساسية او دلالة مادتها، ما عدا دلالة صوتها وصيغتها. وكذلك لها دلالة اخرى ثانوية، هي الدلالة الاجتماعية او السياقية المتأتية من الاستعمال المتداول (٣) .

السياق عند المحْدَثِين :

تبدو نظرية السياق من نتائج البحث الدلالي الحديث، لكن جذورها ممتدة الى علمائنا ولغويينا القدماء ، مما يبدو واضحاً من اهتمامهم بالنص وتحليله .

---

(١) المستصفى ٢/١٥ .

(٢) المرآة ٣٤.

(٣) ينظر: دلالة الالفاظ ٤٨، وعلم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق: د . فايز الداية ، ص٢٢ ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨م ، والبحث الدلالي عن الراغب الاصفهاني: محمود مصطفى احمد القويدر ١٦٨، رسالة ماجستير، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.". [١]

٧٠-"... وفي الفصل الثالث تناولت اللغة من حيث استعمال المتكلم لها في الكلام؛ لغرض التخاطب والتفاهم ، فدرست الحقيقة والمجاز ومميزاتهما وأسباب المجاز، وما اعتنى به الأصوليون، مما يتصل بهما من التغير الدلالي بأنواعه وأسبابه . وما تفيده مصطلحاتهم التي استعملوها فيه ، من شيوع الاستعمال ، وهو أهم ما يوجه الدلالة عندهم. وكذلك تناولنا فيه ما يتصل بذلك من أحكام الدلالة ، من حمل اللفظ أو التركيب إذا دار بين معنيين أو أكثر، من: وضع، وعرف، ومجاز، ومشترك . وقد استقصينا في المجاز جزئياته أكثر مما استقصينا في غيره ؛ لأنه أكثر صلة بالبحث البلاغي من صيغتي المشترك ، والمترادف الذي أقصيناه — مثلا – .

... وفي الفصل الرابع تناولت قضية فهم السامع الخطاب ، وما يصاحب ذلك من وضوح الخطاب وخفائه بالنسبة للسامع، الأمر الذي لا نكاد نجده عند دارسي المعنى قديماً وحديثاً في غير الدراسات الأصولية ، على الرغم من تصدر هذه المسألة مسائل المعنى ، لمن أراد استيضاح المعنى من أي نص، وتميزت دراستهم هنا بالمصطلحات الدقيقة لمراتب الوضوح والخفاء ، ووسائل توضيح الخفاء، مما له صلة بالدلالة على الحكم، من حيث القطعية أو الظنية، وإنها تعتبر عند التعارض بين الأدلة

---

(١) البحث البلاغي عند الأصوليين. ص/٢

. (١)

(١) ينظر : م . س ٥ ، الخطاب الشرعي ١٠- ١١ .". [١]

٧١-"والمقصود بالعقلية هنا ان للعقل مدخلاً بها ، لا انها عقلية بحتة .

(والحاصل ان من اراد بالوضعية: ما تتوقف على الوضع – سواء كفى فيها أوْ لا- جعل التضمنية والالتزامية وضعيتين، ومن أراد بالوضعية : ما كان الوضع كافياً فيها جعلهما عقليتين ، ومن أراد بالوضعية : ما كان المدلول فيها موضوعاً له اللفظ أو داخلاً فيما وضع له اللفظ جعل التضمنية وضعية والالتزامية عقلية) (١) .

اما تقسيم الدلالة اللفظية الوضعية باعتبار إفراد اللفظ وتركيبه ، فقد قسموا اللفظ على قسمين :

أ- المفرد : وهو الذي لم يقصد بجزئه دلالة على جزء معناه المطابقي، كـ (زيد) في اصل وضعه، وقد يطلق على ما يقابل: الجمع، والمثنى، والمضاف، والجملة(أو المركب)، وهذا الاخير هو المراد .

ب- المركب : وهو الذي يدل جزؤه على جزء معناه المطابقي، كـ (حامل المسك)، فهو مركب اضافي (٢) ، واذا كان الالتزام في دلالة الالفاظ المفردة على هذا النحو، فإن التراكيب أو العبارات قد تحتمل دلالات التزامية، أي: تدل بما يستلزمه المعنى لا بصريح اللفظ، ومنه دلالة الاشارة؛ فاختلفت فيها الافهام (٣) .

وإذا جئنا إلى الدلالة من حيث الحقيقية والاضافية ، وجدناها انقسمت بوصفين : ما يقصده المتكلم ، وما يفهمه السامع . فالحقيقية (تابعة لقصد المتكلم وارادته ، وهذه الدلالة لا تختلف ، والاضافية تابعة لـ : **فهم السامع** وادراكه ، وجودة فكره وقريحته ، وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها. وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك) (٤) .

(١) حاشية الصبان على شرح السلم ٥٨ .

(٢) ينظر : البرهان للكلنبوي ٢٠ .

(٣) ينظر : اصول الفقه : الشيخ محمد الخضري ، ص١٢٠، مط السعادة القاهرة ، ١٩٦٢م .

(٤) إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين : إبن قيم الجوزية ، ج١/٣٥٠- ٣٥١ ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٧٣م .". [٢]

٧٢-"في حين هو عند الاصوليين : مادة الدليل الموصل إلى الحكم الشرعي (١) ، إذ يرى الاصولي أن معرفة عناصر الخطاب اللغوية تنسجم مع الغاية الاصولية؛ لان افادة الخطاب للحكم الشرعي (موقوفة على افادته المعنى، فلابد من البحث في افادته المعنى، فيبحث في هذا الباب عن الخاص والعام والمشترك والحقيقة والمجاز وغيرها، من حيث إنها تفيد

(١) البحث البلاغي عند الأصوليين. ص/١٥

(٢) البحث البلاغي عند الأصوليين. ص/٤٠

المعنى) (٢) . ومن ثم تتبعها الاصوليون من حيث (وضع اللفظ للمعنى، ثم استعماله فيه، ثم ظهور المعنى وخفاؤه من اللفظ المستعمل فيه) (٣) ، أي : الاحوال والاعتبارات الطارئة كافة على اللفظ في أدائه للمعنى حسب قانون الوضع ، (من اول وضع الواضع إلى آخر فهم السامع) (٤) .

اما من حيث ضرورة العناصر اللغوية في فهم الكلام المنشأ ف(إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به اعجاز نظم القرآن– فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب– انما مداره على معرفة مقتضيات الاحوال حال الخطاب، من جهة: نفس الخطاب أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع، اذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك) (٥) . فالاستفهام– مثلاً– لفظ واحد ، ويدخله معاني أُخَر من تقرير وتوبيخ وغيرها، وكذلك غير الاستفهام (٦) . وفي اللسانيات الحديثة قالوا: إن فهم الخطاب لا يتم الا في اطار عوامل رئيسة ثلاثة، ينتظمها الموقف وهي: المتكلم، والمستمع، والاشياء التي هي موضوع الكلام . ويقوم الرمز اللغوي على التلاؤم وهذه العوامل ، فإن اختلف احدها اختلف الرمز ايضا مُشَكِّلاً وظيفة اللغة .

---

(١) ينظر: التصور اللغوي ١٢٨–١٢٩ .

(٢) التوضيح ١/٢٩ .

(٣) التلويح ١/٣١ .

(٤) مرآة الاصول ٣٤.

(٥) الموافقات ٣/٣٤٧.

(٦) ينظر: المقتضَب : المبرد محمد بن يزيد(٢٨٥هـ)، ج٢/٤٤، ١٣٢، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .". (١)

٧٣–"واحتج النافون بحجج ضعيفة تعكس اعتبارات خاصة ناتجة عن تصورات جزئية، واجاب عليها الجمهور، فنحيل عليها خشية الاطالة.

ونشير الى ان المثبتين يضيفون الحكم الى اللفظ ؛ لان (دلالة المفهوم من باب دلالة الالتزام . وانها من دلالة اللفظ لا من باب الدلالة باللفظ) (١) ، فاذا افاد اللفظ معنى وكان للمعنى لازم فحضور اللازم في الذهن من دلالة اللفظ عليه بالالتزام، وهي دلالة فهم السامع التي تحصل مطابقة او تضمنا او التزاماً . اما الدلالة باللفظ فهي استعمال اللفظ : اما في الحقيقة او في المجاز ، وهي صفة المتكلم (٢) ، وأحد هذين الأمرين لا يعرض للآخر .

في حين يضيف النافون المفاهيمَ الى العدم الاصلي، بحكم الاستصحاب في الصفة والشرط ، ويضيفون حكم ما بعد الغاية وما وراء العدد الى ما قرره الشرع من العمومات وغيرها ، كقوله تعالى : ((وأُحِلَّ لكم ما وراء ذلكم)) (٣) ، في نكاح

---

(١) البحث البلاغي عند الأصوليين. ص/٤٤

الزوج الثاني، وكعموم المنع في الاذى الدال على حرمة الضرب بعد الثمانين في حد القذف . حيث ان النصوص بحسب الاستقراء تشمل كل مفاهيم العدد والغاية ، دون صفة أو شرط ، فأضيف مفهوم المخالفة في الأخيرين الى الاستصحاب .

والأولون يعلقون الامر على القيد حصراً ، بينما الاخرون يعلقون عليه وعلى الاستصحاب في حالة ثبوت الحكم (المعنى) الذي افاده المفهوم المخالف ، وهو ما يحصل في أغلب الاحكام (٤) .

---

(١) م . س ٥٣ – ٥٦ .

(٢) ينظر : م . س ٢٥ .

(٣) سورة النساء : ٢٤ .

(٤) ينظر : المعتمد ١/١٦٤ ، والتيسير ١/١٠١ ، والخطاب الشرعي ٢٧٠ ، وتفسير النصوص ١ / ٦٦٥ – ٦٦٩ .". (١)

٧٤-"وأضافوا : ان احتمال العام المطلق للتخصيص اجماعاً، لا يؤثر في قطعية دلالته ؛ اذ هو تصور عقلي، والذي يؤثر فيها فعلاً هو الاحتمال الناشئ عن دليل . ولهذا اشترط الحنفية للقطعية ان لا يدخله التخصيص؛ لانه يضعف دلالته على الباقي، اذ هو غالباً ما يكون مبنياً على علة قد تكون موجودة في الباقي ، وحيث ان الاحتمال الناشئ عن دليل يجعله من العام المخصوص قطعاً (١) .

وأنَّه (لو جاز ارادة بعض مسميات العام من غير قرينة- عند الحنفية- لارتفع الامان عن اللغة؛ لان كل ما وقع في كلام العرب من الالفاظ العامة يحتمل الخصوص، فلا يستقيم ما **يفهم السامعون** من العموم ومن الشارع؛ لان عامة خطابات الشرع عامة، فلو جوزنا ارادة البعض من غير قرينة لما صح منّا فهم الاحكام بصيغة العموم) (٢) . ورأوا ان ارادة البعض منه بقرينة لا ينفي القطع فيه، وانما تدل القرينة على اخراج ذلك البعض من الحكم العام، ولا تدل على ارادة البعض به (٣) .

---

(١) ينظر: شرح المنار لابن ملك ٣٨٧ ، ومجامع الحقائق والقواعد وجوامع الرقائق والفوائد : الخادمي محمد بن مصطفى(ت١١٧٦هـ)، ص ٣٥ – ٣٦ ، مطبوع مع منافع الدقائق ، دار الطباعة العامرة ، إستنبول ، ١٣٠٨هـ ، وأصول الاحكام : د . حمد الكبيسي ٢٨٩ ، والخطاب الشرعي ٨٧ .

(٢) التلويح ١/ ٤٠ ، وينظر: حاشية الرهاوي على ابن ملك ٣٨٨ ، ومنافع الدقائق ٣٦ . علماً بأن التفتازاني يورد – هنا – نظرة الحنفية ، بينما يتفق هو مع رأي الجمهور . ينظر : التلويح ١ / ٤ .

---

(١) البحث البلاغي عند الأصوليين. ص/٦٩

(٣) ينظر : منافع الدقائق ٣٦ .". [١]

٧٥-"قال في القاعدة الأولى : " ومن هذا القبيل أي من قبيل الكلمات الأعجمية التي نفضل استعمالها أحياناً على استعمال الكلمات العربية أو المعربة قديماً، كلمة (داء المفاصل) فإننا قد نستعمل كلمة (روماتزم) بدلاً منها، وكلمة (توتياء) فإننا قد نستعمل كلمة (زنك) بدلاً منها. وكلمة (نشادر) فإننا قد نستعمل كلمة (آمونيا) بدلاً منها، مراعين في ذلك كله مقامات الكلام من التخصيص والتعميم، وما نتوقعه من فهم السامع أوالقارئ. مثال ذلك أنك تجد في الأخبار العلمية في الجزء الثاني من (المقتطف) كلمة روماتزم بدل داء المفاصل، لأن المفهوم من داء المفاصل أنه يقع في مفاصل اليدين أو الرجلين، وقلما يخطر على بال غير الأطباء أنه يصيب الظهر، وقد صارت مألوفة عند الجمهور.
وقال في القاعدة الثانية : الكلمة التي لا نعرف لها مرادفاً في العربية، ولكننا نرجح أو نظن أن لها فيها مرادفاً، نفتش عن مرادفاتها فيما عندنا من المظان ونسأل عنه ونبحث حتى إذا ظفرنا به، ووجدنا أنه يؤدي المعنى المراد تماماً استعملناه دون غيره. من ذلك كلمة mercemaries فإن معناها الجنود المستأجرة من بلاد أخرى، على ما كانت جارية العادة به في الأزمنة القديمة، فلما أردنا تعريب هذه الكلمة قلنا لابد من أن يكون العرب استعملوا كلمة تدل على هذا المعنى. فوجدنا في بعض المظان كلمة (مسترزقة) مستعملة للجنود المستأجرين. ومعناها الاشتقاقي يدل على معناها الاستعاري فاعتمدناها (١)
القاعدة الثالثة : تتعلق في كيفية كتابة الأعلام الأعجمية وكيفية لفظها، والتي لها أصل عربي والتي ليس لها أصل عربي. فما كان له أصل عربي رده إلى أصله إذا أمن اللبس – كما يقول – وإذا لم يكن له أصل حاول أن ينطقه كما ينطق به أهله.... إلخ ولم أر حاجة إلى ادراج هذه القاعدة مع أخواتها لأنه يبدو لي أنه لا علاقة لها بالبحث.

---

(١) صروف ، يعقوب / أسلوبنا في التعريب / المقتطف مج ٣٣ ج٧ ، ٥٥٩ / ١٩٠٨". [٢]

٧٦-"لقد أثبتوا وكما فعل سوسير بعد ذلك أن المعنى – أو الدلالة – لا تظهر إلا بعد التركيب وقد رأيت أقوالهم في الأبحاث السابقة. إذن فما يسبق إلى (فهم السامعين) حسب فكرتهم هو الدلالة التي تظهر خلال الجملة. فاللفظ نفسه عديم القيمة قبل التركيب، ومعلوم أن السامعين يسبق إلى فهمهم المعنيين أو المعاني الكثيرة باطراد كلما تغير نسق التركيب، وسوف تظهر المعاني جميعاً بالنسبة لهم خلال التراكيب. فكيف يتمكّن السامعون من الحكم على أحدها فقط على أنه هو الإستعمال الحقيقي دون غيره؟.
ومن الواضح أن هذا الإشكال على الطريقة التي تسمى (الإستدلال) هو إشكال حقيقي لا يمكن لأحد تفنيده أو الإجابة عليه بما يطابق أطروحات النظرية الإعتباطية.

---

(١) البحث البلاغي عند الأصوليين. ص/٧٢
(٢) الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث ص/٨٣

أما الطريق الآخر للإستدلال فقد قال:

(وأما ثانيهما فإنّ أهل اللغة إذا أرادوا إفهام غيرهم اقتصروا على عبارات مخصوصة)

في حين أنهم على رأيه إذا لم يقصدوا الإفهام عبَّروا بعبارات أخرى، فنعلم من الفرق أن الأول حقيقة.

أما النص فلم يذكر الأمر على هذا النحو تخلصاً من مشكلة أن يتكلم المرء بكلام لا يقصد منه الإفهام فقال:

(وإذا قصدوا بالتعبير الحسن بعد الفهم عبروا عبارات أخرى)

وهذه واحدة من طرائقهم الملتوية التي لا حصر لها.

وفي هذا الطريق الإستدلالي الغريب نطرح أسئلة لا حلّ لها في الإعتباطية:

السؤال الأول: إن البحث هو عن تمييز دلالة المفردة بين الحقيقة والمجاز فما علاقة العبارات التي تتضمن مفردات عدّة؟.

السؤال الثاني: من هم أهل اللغة؟ وكيف نحدّدهم؟.

السؤال الثالث: كيف يعبرون أولاً لغرض (الإفهام) ويعبرون ثانياً لمجرد الكلام الحسن (بعد الفهم)؟ ولماذا يكرّرون كلامهم بعد الفهم؟ ومن منهم كان يقوم بذلك وأين ومتى؟

السؤال الرابع: كيف يعلم السامع أن العبارات الأولى (للإفهام) والتي بعدها هي الكلام الحسن؟ وهل عبارات (الإفهام) تختلف في الحسن عن العبارات الأخرى؟ ولماذا لا يكون العكس متوقعاً؟.". [(١)]

٧٧-"وهذا مجرّد ادعاء لا يستند إلى أيّة معطيات لغوية. ويفترض هنا أن يأتوا بمئات إن لم نقل بآلافٍ من الشواهد لأجل إيضاح لفظ المعنى الحقيقي والذي هو متنافر التركيب أو ثقيل الأجزاء ويضعوه بدلاً عن اللفظ المجازي المزعوم ويبرهنوا على نحو واضح على أن اللفظ المعدول عنه هو الحقيقي من خلال استعمالات أخرى مشهود لها أنها قيلت بصورة عفوية - لا إنشائية لأغراض البحث -.

ولكن ذلك لم يحدث لا بهذه الشروط العلمية القاسية للبحث ولا بغيرها ولا بدون شروط. علماً أنّك أدركت أن المجاز وفق الأصناف المذكورة سابقاً قد طال أغلب الإستعمالات اللغوية حسب اعتقادهم.

الثاني: أن يكون لأجل المعنى إذا قصد التعظيم لما هو ليس كذلك أو إذا قصد التحقير وهو كائن في الحقيقة. مثال الأول قول القائل: (سلام على المجلس السامي) ومثال الثاني التعبير عن قضاء الحاجة بالغائط.

في هذا الداعي لا تتمكّن الإعتباطية من حلّ الإشكال الهام حول ظهور (التحقير) من خلال المجاز. وهو إشكال منطقي نوضّحه كالآتي:

إذا أراد المتكلم تحقير المجلس من خلال إطلاق لفظ (السامي) فكيف **يفهم السامع**، أو اللغوي، أن اللفظ للتحقير وليس للحقيقة إذا لم يكن لفظ (سامي) بالمعنى الحقيقي؟ لأننا إذا اعتبرناه مجازاً وفق التعريف انصرف المعنى - معنى هذا اللفظ - إلى معنى آخر فلا يظهر التحقير...!! فتأمل في لا منطقية الإعتباط اللغوي.

---

(١) الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية لعالم سبيط النيلي ص/٥٠

ومعنى ذلك أن الإستعمال لا علاقة له بانطباق أو عدم انطباق الدلالة على الموضوع الخارجي لأن لديك دلالة لهذا اللفظ (سامي) فالدلالة لم تتغير وعدم مطابقتها لصفة المجلس هو قصد المتكلم من التحقير فلو كانت مطابقة لصفة المجلس لم يكن ثمة تحقير – بل لكان مدحاً يمجّد المجلس! ومثل هذا الذهول في الإعتباطية هو صفة دائمة فيها.". (١)

٧٨-"الثانية: إن الترتيب التنازلي هذا يقتضي أن تكون صفاته تعإلى متفاوتة وهي مشكلة كلامية لا تقدِر الإعتباطية على حلّها إذا افترضنا أنها لم تكن تنوي أصلاً أثارتها.

الثالثة: في أيِّ موضع بلاغي يكون الترتيب تنازلياً في مسألة خصائص وصفات للمتكلم؟ فهذا خلاف البلاغة إذ يجب أن تتصاعد الصفات ليسمع المتلقي ما هو أعلى لا ما هو أدنى.

فلاحظ أن المتنبي لو قال: (القلم والقرطاس يعرفني) قبل الخيل والليل والسيف والرمح لكان هناك خلل لا ينجبر. ذلك لأن الشجاعة في الحرب أكبر من الخروج في الظلمة وهي عامة غير مخصوصة بعالم أو جاهل فلما ضمَّ إليها المعرفة بالقلم والقرطاس وهي صفة أكبر زادت من خصائص الشجاعة – إذ **فهم السامع** أن الرجل ليس متهوراً أو شجاعته شجاعة الجاهل بل شجاعة معها معرفة وعلم وهذا يندر حصوله. ويبقى الحل القصدي سائراً في نظام القرآن خاصة ونظام اللغة: (فالسميع) صيغة تفيد أنه سامع لكل ما يقال ويفهم جيداً ما يسمعه ولكن لما كان المركب بخصوص الرحمة وعصمة المؤمنين من مصائب الإعتباطية وقولها الزور فيحتاج إلى (علم) بالذوات ونواياهم – وهذا هو السبب في استخدامهِ مع الرسل والأولياء لأنه سميع للدعاء ولكل كلام سراً وجهراً وعليم بنوايا ومصادر وموارد هذا الكلام.

وحينما لا يتعلق الأمر بالذوات ونواياهم يقترن مع السميع لفظ البصير حيث موارده الخاصة تحتاج إلى رؤية الحوادث والوقائع والحركات فيجتمع هنا (الفعل الإنساني) بكامله لأن فعل الإنسان الخارجي هو عبارة عن (قول وحركة) فالصفات متعلقة بالمخاطبين وترتيبها هو للمخاطبين. لاحظ الموارد:

أ. (لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير) / الإسراء ١

فالنية لم تذكر – لأنه يعلمها ولا ضرورة لذكرها تشريفاً للنبي (ص) وبقى الفعل الخارجي فجمعه في مركب (السميع البصير)، على أن النية ظاهرة في أول الآية أيضا.

ب. (إن الله نعمّا يعضكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) / النساء – ٥٨". (٢)

٧٩-"فإن قال: فقد سمعناكم تقولون إن العرب فعلت كذا وَلَمْ تفعل كذا، مِن أنها لا تجمع بَيْنَ ساكنين، ولا تبتدئ بساكن، ولا تقف عَلَى متحرك، وأنها تسمي الشخص الواحد الأسماء الكثيرة، وتجمع الأشياء الكثيرة تَحْتَ الاسم الواحد، قلنا: نحن نقول إن العرب تفعل كذا بعدما وطأناه أن ذَلِكَ توقيف حَتَّى ينتهي الأمر إِلَى الموقّف الأول.

ومن الدليل عَلَى عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف عَلَى الَّذِي يعلله النحويُّون فِي ذوات الواو

---

(١) الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية لعالم سبيط النيلي ص/٥٢

(٢) الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية لعالم سبيط النيلي ص/١٣٤

والياء والهمز والمدّ والقصر فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو وَلَمْ يصوّروا الهمزة إِذَا كَانَ مَا قبلها ساكناً فِي مثل " الخبء " و " الدفء " و " الملء " فصار ذَلِكَ كلّه حجة، وحتى كَرِهَ من العلماء ترك اتباع المصحف من كَرِهَ.

فحدثني عبد الرحمن بن حمدان عن محمد بن الجهم السّمرَّيّ عن الفرَّاء قال: " اتباعُ المصحف - إِذَا وجدت لَهُ وجهاً من كلام العرب - وقراءةُ القراء أحبّ إليَّ من خلافه " قال وَقَدْ كَانَ أبو عمرو بن العلاء يقرأ " إن هذين لساحران " ولست أجترئ عَلَى ذَلِكَ. وقرأ " فأصَّدَّقَ وأكون " فزاد واواً فِي الكتاب وَلَمْ أستحبّ ذَلِكَ.

والذي قاله الفرّاء حَسَن، وَمَا يَحْسَن قول ابن قتيبة فِي أحرُف ذكرها، وَقَدْ خالف الكُتَّابُ المصحفُ فِي هَذَا.

باب القول فِي أن لغة العرب

أفضلُ اللغات وأوسعُها

قال جلّ ثناؤه: " وإنه لتنزيلُ ربّ العالمين، نَزَل بِهِ الرُّوح المبينُ عَلَى قلبك، لِتكُون من الْمُنذِرين، بلسان عربيٍّ مبين " فوصَفه جلّ ثناؤه بأبلغ مَا يوصَف بِهِ الكلام، وهو البيان.

قال جلّ ثناؤه: " خَلَق الإنسان، علَّمه البيان " فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان عَلَى جميع مَا توحَّد بخلقه وتفرَّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغيرِ ذَلِكَ من الخلائق المحْكمة والنشايا الْمُتْقَنة. فلمّا خصَّ جلَّ ثناؤه اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلم أن سائر اللغات قاصِرَةٌ عنه وواقعة دونه.

فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كلَّ مَن أفْهَم بكلامه عَلَى شرط لغته فقد بَيَّن. قيل لَهُ: إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قَدْ يُعرِبُ عن نفسه حَتَّى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قَدْ يدلُّ بإشارات وحركات لَهُ عَلَى أكثر مراده ثُمَّ لا يسمّى متكلماً، فضلا عن أن يُسمَّى بَيِّناً أَوْ بليغاً. وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبِّر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إِلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة. فأين هَذَا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب؟ هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذي نُهْيَة.

وَقَدْ قال بعضُ علمائنا حين ذكر مَا للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب فِي القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم عَلَى أن ينقله إِلَى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السريانية إِلَى الحَبشية والرُّومية وترجمت التوراة والزَّبور وسائرُ كتب الله عزّ وجلّ بالعربية، لأن العجم لَمْ تتَّسع فِي المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقُل قوله جلّ ثناؤه: " وإما تخافَنَّ مِن قوم خِيانةً فانْبذْ إليهم عَلَى سواء " لَمْ تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدِّية عن المعنى الَّذِي أَوْدِعَتْه حَتَّى تبسُط مجموعها وتصِل مقطوعها وتُظهر مستورها فتقول: " إن كَانَ بَيْنَك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنّك قَدْ نقضت مَا شرطته لهم وآذِنْهم بالحرب لتكون أنت وهم فِي العلم بالنقض عَلَى استواء " وكذلك قوله جلّ ثناؤه: " فضربنا عَلَى آذانهم فِي الكهف " ." (١)

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص/٤

٨٠-"[البقرة: ١- ٢] فلما كانت هذه الجملة واردة على جهة الإيضاح بأن هذا القرآن قد بلغ أعلى مراتب الكمال، و سيقت على المبالغة بإعظامه، و أنه لا رتبة فوقه، حيث صدّر السورة بالأحرف المقطعة، إشعارا ببلاغته، و جى ء باسم الإشارة مع اللام تنبيها على ما تضمنته من البعد، على صفة الإغراق فى و صفه، فلما كان الأمر فيه هكذا، سبق إلى **فهم السامع** أن ما يرقى به من هذه السمات البالغة، إنما هى على جهة الخرف و السهو و الذهول، و أنه لا حقيقة لها، أراد رفع الوهم بما عقبه من الجمل المرادفة، فلهذا وردت من غير واو، إشعارا بما ذكرناه، فقال لا رَيْبَ فِيهِ

[البقرة: ٢] أى ليس أهلا لأن يكون مرتابا فيه، و أن يكون محطا للريبة و محلّا لها، ثم أردفه بقوله تعالى: هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢)

[البقرة: ٢] أى إنه هاد لأهل التقوى معطيا لهم حظ الهداية به، و من هذا قوله تعالى: ما هذا بَشَراً

[يوسف: ٣١] ثم قال إِنْ هذا إِلَّا

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج ٣، ص: ١٧١

مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)

[يوسف: ٣١] فقوله: إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)

سيق من أجل رفع الوهم بالجملة الأولى، غير أن تكون على ظاهرها من الدلالة على الإغراق فى مدحه، و منه قوله تعالى: كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً

[لقمان: ٧] فقوله كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً

إنما ورد على جهة الاتصال من غير واو، تقريرا لما سبق من الجملة الأولى من عدم السماع، و إيضاحا لها. و خامسها أن تكون الجملة الثانية واردة على إرادة قطع الوهم على ما قبلها من الجمل السابقة، و مثاله قوله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ". (١)

٨١-"فذهلية منسوبة إلى ذهل اسم رجل، وذاهل فاعل ذهل عن الأمر يذهل. ويطل الطلول كذلك؛ لأن يطل مضارع أطل دمه أي أهدره، والطلول جمع طلل وهو ما شخص من آثار الديار. وكذلك الربيع وهو العشب والربوع جمع ربع وهو المنزل، فهذه كلها تتضمن التجنيس، وليست من المشتركات؛ لأنها ليست متماثلتين دالتين على مسميين مختلفين، كلفظة العين.

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا، ولا يستعمل فيه التجنيس بالمشترك إلا في النادر أيضا، فلو كان كل تجنيس في الذهن بالمشترك فقط لم يكن ذلك من المقصودات الأصلية التي تقتضي وضع المشترك مع ما فيه من تردد **فهم السامع** وعدم معرفته، فإن محذور ذلك أعظم من تزويق اللفظ بالمشتركات، خصوصا ويمكن استدراك غير اللفظ بغير التجنيس، كالمطابقة والمقابلة وغيرهما من أنواع البديع.

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وحقائق علوم الإعجاز ٢/٢٤٤

والعجب من قول هذا الرجل إن عدم التجنيس يذهب حسن الكلام، وقوله إن واضع اللغة نظر إلى ما تحتاج إليه الفصاحة والبلاغة، فوجد من مهمات ذلك التجنيس الذي لا يقوم إلا بالأسماء المشتركة، وهو يرى القرآن عاريا عن التجنيس، وهو أحسن الكلام وأفصحه وأبلغه، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيث﴾١.

وليت شعري كيف تحتاج البلاغة إلى التجنيس؟ أتراه يعلم ما البلاغة؟

---

١ الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. سورة الزمر: ٢٣.". (١)

٨٢-"أقول: ليس مراد أبي الفتح -رحمه الله- ما ظنه، فكيف يذهب إلى أن يقول المجازية متوقفة على اجتماع هذه الأمور الثلاثة؟ وقدحصرت ضرب أمثلة كثيرة للمجاز في كتابه هذا، وكل موضع منها مختص بواحد من هذه الثلاثة فقط، وإنما ذكر هذه الآية ليبين بها أنه قد وجد موضعا اجتمع فيه الشروط الثلاثة التي يتوقف المجاز عليها لمعان ثلاثة، مثل قوله في كتاب اللمع: والكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف، فإنه لا يريد أن كل لفظة من الكلام يجتمع لها أن تكون اسما وفعلا وحرفا، إنما مراده أن كل لفظة من الكلام فإنها لا تخلو عن هذه الأنواع الثلاثة، بل تكون واحدا منها أيها كان، ولكنه يتسامح في اللفظ اعتمادا على فهم السامع، وثقة بأن مثل هذا الكلام لا يزال الناس يستعلمونه في محاوراتهم.

فأما قوله: "فإذا عدمت هذه الثلاثة كانت الحقيقة البتة لا غير" جيدا لا اعتراض عليه، لأنه لو عدم أحدها فقط لم تأت الحقيقة متعينة البتة، لأن أحد القسمين الباقيين يكفي في حسن المجاز، وإنما تتعين الحقيقة البتة إذا عدمت الثلاثة كلها.

ومن هذا الموضع يجب أن يفهم معنى قوله: "لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعان ثلاثة" لأنه لو كان أراد اجتماع معان ثلاثة لما قال: "فإذا عدمت هذه

= أوجه. الأول أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز، بل وجود واحد منها سببا لوجوده. ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا، وإذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا. ثم إن كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا لعدمه، ألا ترى أنا إذ قلنا: لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيوانا ناطقا، فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان، وإذا عدم واحد منهما بطل أن يكون إنسانا، وكذلك كل صفات تكون مقدمة لوجود الشيء فإن وجودها بوجوده، وعدم واحد منها يوجب عدمه.". (٢)

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ص/٥٠

(٢) الفلك الدائر على المثل السائر ص/١٩٤

٨٣-"... وابن سنان عند شرطه الوضوح(١)فإنه لا يقصد أن يكون الكلام سطحيًا ساذجًا وإنما أراد أن نتجنب تعقيد الكلام والتواء نظمه .

---

(١) تحدث البلاغيون القدامى عن الوضوح والغموض فى البلاغة ، فقد ذهب الرّمانى ومن بعده الخطّابى والعسكرى إلى أن الغرض من الاستعارة هو الإبانة ، وقد رفض العسكرى المعنى الدقيق ؛ لأنه سبيل إلى التعمية ، وتعمية المعنى لُكْنَة ، وابن رشيق يحصر التشبيه فى تقريب المشبه من فهم السامع ، وإيضاحه له ، ولا يتم ذلك عنده إلا عن طريق إخراج الأغمض إلى الأوضح ، والنفس عند القاضى الجرجانى تألف ما جانسها وتتقبل الأقرب فالأقرب إليها ، ويرى عبد القاهر بأن أحق أصناف التعقيد بالذم ما يتعبك ثم لا يجدى عليك ... (النكت للرّمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٩٦ ، وبيان إعجاز القرآن للخطّابى ص ٤٤ ، والصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٢٧٤ ، والعمدة لابن رشيق جـ١ ص ٢٩٢ ، والوساطة للقاضى الجرجانى ص ٢٩ ، وأسرار البلاغة لعبد القاهر ص ١٢٠)." [١]

٨٤-"٣- التورية :

... تحدث عنها البحرانى وسماها "الإيهام"(١)، قال عنه : " وهو أن يكون للفظ ظاهر وتأويل ، فيسبق إلى فهم السامع الظاهر مع أن المراد هو التأويل "كقوله تعالى: ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾(٢)، وقوله . صلى الله عليه وسلم . : " اَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالماً أوْ مَظْلُوماً "(٣).

٤- الاستتباع :

... سماه البحرانى "المدح الموجه" وعرفه بقوله : " هو أن يمدح بشيئ يقتضى المدح بشئ آخر"(٤)، وأورد له شاهداً واحداً هو قول المتنبى :

... نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ(٥)

... يقول البحرانى :" فأوله مدح بالشجاعة وآخره مدح بعلو الدرجة "(٦)والشيخ البحرانى تتبع فى حديثه عن الاستتباع أثر الرازى والسكاكى(٧).

... وقد عرّف القزوينى الاستتباع بقوله : " هو المدح بشيئ على وجه يستتبع المدح بشيئ آخر "(٨)

... والمعنى يكاد يكون واحداً مع اختلاف الألفاظ قليلاً ، فليس للبحرانى سوى التسمية(٩).

٥- التوجيه :

... سماه البحرانى "المحتمل للضدين" وهو " أن يكون الكلام محتملاً للمدح والذم على السواء"(١٠)، كقوله بشار :

---

(١) المسائل البلاغية بين ميثم البحرانى وابن سنان الخفاجى ص/١٨

(١) فى كتابه الآخر الموسوم بـ "مقدمة شرح نهج البلاغة" (الإبهام) بالباء وهو ظاهر التصحيف . ص١٣٨ ، ومفتاح العلوم ص ٤٢٧ ، ونهاية الإيجاز ص ٢٠٥ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٦٧ .

(٣) راجع الحديث فى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى "كتاب المظالم والغضب " الحديث رقم ٢٤٤٣ حـ ٥ ص ١١٧ – دار الريان .

(٤) أصول البلاغة ص ٨٨ .

(٥) فى نهاية الإيجاز "جمعت" بدل "نهبت" ، والنهب : أخذ الشئ قهراً ، (ديوان المتنبى ص٣٢١ ، والتبيان ص ٤٩٧).

(٦) أصول البلاغة ص ٨٨ .

(٧) نهاية الإيجاز ص ٢٠٦ ، ومفتاح العلوم ص ٤٢٨ .

(٨) الإيضاح ت د/ خفاجى ٦/٧٨ .

(٩) سماه الرازى "الموجَّه" . (نهاية الايجاز ٢٠٦)

(١٠) أصول البلاغة ص ٨٩ ." [1]

٨٥–"إن من أهم مصادر اللبس إذن " العدول عن أصل الوضع" ، بواسطة الحذف أو الإضمار أو الفصل أو تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير أو التوسع في الإعراب، وهذا العدول إما أن يكون مطرداً إذا أمن اللبس – وذلك بوجود دليل على المحذوف وضرورة التفسير عند الإضمار وما يفرض من شروط على الفصل بين المتلازمين وعلى التقديم والتأخير وهلم جرا (١)، وإما أن يكون غير مطرد إذا خيف اللبس– فللبس دور أساسي في تصريف أحوال العدول والتصرف فيها. أمن اللبس والترخص في الإعراب.

يقول الجاحظ: " يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ... ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع " (٢) .

" لهذا صاغ النحويون العرب قواعد من مثل : " الأصل في الكلام أن يوضع للفائدة" ، و" لا يجوز الابتداء بالنكرة ؛ لأنها لا تفيد"... ومتى زالت الفائدة أو التبست صار الكلام عبارة عن ركام من الألفاظ" (٣).

فالمتكلم حين يقصد إفهام المخاطب رسالته اللغوية فإنه يرتبها على منوال لا يدع معه للبس مجالاً حتى يدرك مقاصده ذلك الإدراك الذي يتوخاه، فالالتباس ممنوع أبداً لمنافاته القصد من وضع اللغة.

(١) ... انظر: الأصول، تمام حسان صـ ١٣٩.

(١) المسائل البلاغية بين ميثم البحراني وابن سنان الخفاجي ص/٥٢

(٢) ... البيان والتبيين ١/٨٧. ، و راجع : سر الفصاحة ١/ ٦١ .

(٣) ... أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي . د. رشيد بلحبيب ، بحث منشور بمجلة اللسان العربي.". [١]

٨٦-"إن " شروط الرخصة في أي قرينة ألا يتوقف عليها المعنى ، وأن يؤمن اللبس مع الترخص في الإعراب" (١) .
وقد سبق في دراسة مسألة الخفض على الجوار أن بعض المعاصرين ينظر إليها باعتبارها شاهداً له على جواز تخلف العلامة الإعرابية عند أمن اللبس ، قال في قول العرب (هذ ا جحر ضب خرب): " فسر النحاة ذلك على إعراب الجوار (أي : المناسبة الصوتية بين الكلمة وجارتها) وقد أمن اللبس بالمناسبة المعجمية بين الصفة وموصوفها ، وبالمفارقة المعجمية بين الكلمة و شريكتها في الإعراب ؛ لأن (الضب) لا يوصف بالخراب ،. وإنما يوصف به (الجحر) " (٢) .
لقد عقد السيوطي في الأشباه والنظائر فصلاً تحت عنوان" اللبس محذور " (٣) وهذا " يدل على فهم اللغويين العرب لهذه الظاهرة فهماً دقيقاً ومراعاتها في التحليل، فقد استقر عندهم أن الالتباس لا يسوغ بوجه من الوجوه لمخالفته الغاية من وضع اللغة ؛إذ يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق... ولا يؤتى الناطق من سوء **فهم السامع** فإن ذلك من شروط نجاح أي عملية تواصلية أو فشلها" (٤).

الفصل الثاني

في حروف الزيادة ، و يشتمل على :

(١) زيادة الهمزة وأصالتها فى (الأَيْهُقان) (٥) .

---

(١) ... البيان في روائع القرآن . د/تمام حسان ١/٢٥٥ .

(٢) ... السابق نفسه ١/٢٥٥ .

(٣) ... انظر : الأشباه والنظائر ١/١٣٧ .

(٤) ... أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي . د. رشيد بلحبيب ، بحث منشور بمجلة االلسان العربي.

---

(١) المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة ص/٢٩

(٥) ... (الأيهقان) الجرجير البرى كما فى النهاية ١/٨٨، و اللسان ، مادة (أهق) .". [١]

٨٧-"أما خصوم ابن حزم، فقد ذهبوا إلى أن الأصل في النصوص التعليل بكل وصف صالح لإضافة الحكم إليه، حتى يوجد مانع؛ لأن الأدلة الشرعية دلت على حجية القياس عندهم، من غير تفرقة بين نص وآخر، ويختار الشافعية وبعض الحنفية موقفا ثالثاً، مبدؤه التعليل في النصوص بوصف، ولا بد في ذلك من دليل يميز الوصف، الذي هو علة من بين سائر الأوصاف، في كونه متعلق الحكم، بخلاف الموقف السابق الذي لا يفرق بين الأوصاف، ويعدّ كل واحد منها أصلاً للتعليل (١).

ويحسن بنا في هذا المقام التوقف قليلاً مع منهج القرآن الكريم، في تعليل النصوص من الناحية الأسلوبية، في سياق دفع المفاسد وجلب المنافع للناس، أو ما يعبر عنه بلغة الأصوليين مقاصد الشريعة الإسلامية، وهذه بعض الصور(٢).

أ – قد يفهم السامع حين يذكر القرآن وصفاً يترتب عنه حكم أن هذا الحكم يدور مع ذلك الوصف أينما وجد، كقوله تعالى : ﴿ سورةٌ أنزَلْناها وفَرَضناها وأَنْزَلْنا آيات بَيْناتٍ لَعَلّكُم تَذَكَّرُون ﴾ (النور / ٠١) .

ب – وفي سياقات يظهر الحكم وسببه معاً، كقوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ (النساء / ١٦٠) .

ج – كما يذكر معللاً إياه بحرف من حروف التعليل، كقوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلواتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (التوبة / ١٠٣) .

د – كما يقرن الحكم بالمصلحة التي لأجلها كان الأمر، أو المفسدة التي لأجلها كان النهي، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّما الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونْ ﴾ (المائدة / ٩٠).

---

(١) – السرخسي، أصوله، ٠٢ / ١٤٤ .

(٢) – مصطفى شلبي، تعليل الأحكام، ص ١٤ وما بعدها .". [٢]

٨٨-"ويفهم من المعنى المعجمي أنك تسمع الصوت، ولكن تخفي فيه مقاطع الحروف وبيان أجزائها، وتميز كلماتها، لسرعة النطق، ولهذا يقال لأصوات الأبطال والثيران عند الذعر: غماغم (شرح الدرة ٢٣٥) .

والمعنى الجامع لما سبق هو: الاختلاط وعدم التميز والإفصاح في نطق الكلام فلا يفهم السامع المراد، وحينئذ تكون أشبه شيء: باللفف، وهو: إدخال حرف في حرف (العقد الفريد: ٢٩٦/٢ وانظر التذكرة الحمدونية).

وهذا الخفاء في النطق سببه الحيف على الصوت ، وظاهرة الحيف والحذف معروفة في بعض اللغات السامية التي عاشت في منطقة الشمال الغربي في عصور قديمة.

---

(١) المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة ص/٣٠

(٢) النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي ص/١٤٢

وقبيلة قضاعة لها صلة بالسامية الشمالية؛ إذ كانت تعيش في المنطقة التي وجدت فيها النقوش: اللحيانية والثمودية والصفوية والتي يُطلق عليها (العربية الأولى) أو (الطفولة العربية Proto Arabic) .

فظاهرة الغمغمة نقلتها قضاعة عن بقايا اللغات السامية القديمة، يؤكد ذلك أن اسم الغمغمة نفسه ورد في العبرية .

١- (المشنا) ومعناها : قرأ بسرعة دون إيضاح للأصوات .

٢- وقد اختلف العلماء في نسبة هذه الظاهرة فالأكثرون على أنها لقضاعة (الكامل للمبرد ٣٧٠/١، الفائق للزمخشري ٤٥٨/٢، المفصل ٣٣٣، وشرحه ٤٨/٩، والدرة ١١٤، وشرح السيرافي ٤٦٨/٥ مخطوط بالتيمورية). وينفرد تاج العروس بنسبتها إلى قريش لا قضاعة (٦/٩) وهي رواية ضعيفة في زعمنا؛ لأن قريشًا كانت تجتبي أفضل لغات العرب، وأنها أعرب القبائل لسانًا، وأصفاها لغة.

والعجيب أن العلماء بعد الاستقصاء والبحث لم يذكروا شاهدًا يوضح هذا، وربما يرجع سبب ذلك إلى أن الغمغمة من الصفات التي لم تستحسنها الفصحى، بل خلعت عليها صفات تنطوي على الذم؛ لأن أصحابها عاشوا على أطراف شبه الجزيرة فلم يأخذوا بها في الاحتجاج .

٣- أما آثار الغمغمة في لهجاتنا المعاصرة فيظهر في :". [(١)]

٨٩-"وقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾١، وقول بعض العرب "الرجز":

فغنها وهي لك الفداء إن غناء الإبل الحداء٢

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض؛ روي عن الأصمعي أنه قال: كان أبو عمرو بن العلاء٣ وخلف الأحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما، ويكتبان عنه متواضعيْنِ له، حتى يأتي وقت الزوال، ثم ينصرفان. فأتياه يوما، فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكما، قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب!! قال: نعم، إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب؛ فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف، قالا: فأنشدناها يا أبا معاذ، فأنشدهما "الخفيف":

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير٤

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان "إن ذاك النجاح":

---

١ آية ٥٣ سورة يوسف، فإن قوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ يلوّح بقبح نفسها "امرأة العزيز". ولا يخفى أن هنا توكيدين، وهذا يفيد جواز تعدد التوكيد في المتردد وما ينزل منزلته، فيكون الفرق بينه وبين المنكر في الوجوب والاستحسان فقط. وقيل: إن أحد التوكيدين لاستبعاد الخبر في ذاته.

---

(١) بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٥/٥٢

٢ لا يعلم قائله. والضمير في قوله: "فغنها" للإبل أي: فغن لها، والحداء بضم الحاء وكسرها مصدر: "حدا الإبل" إذا ساقها وغنّى لها. والشاهد في أنه حين يقول: "غنها" ليشتد سيرها **يفهم السامع** أن غناءها هو الحداء الذي تساق به، فتستشرف له نفسه، ومن هذا قول أبي نواس "من بحر السريع":

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك في الياس

٣ رواية الأغاني: "كان خلف بن عمرو بن العلاء وخلف الأحمر..." وقد ساق القصة كما هنا.

٤ هو لبشار بن برد. والهجين: من الزوال إلى العصر.. أو شدة الحر. والشاهد في أن الشطر الأول يلوح بالثاني؛ ولهذا أتى به مؤكدا.". (١)

٩٠-"الحمد لله. وقال السكاكي١: يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالا؛ كأنه قال: نحن فعلنا إيتاء العلم، وهما فعلا الحمد، من غير بيان ترتّبه عليه؛ اعتمادا على **فهم السامع**٢ كقولك: "قم يدعوك" بدل: قم، فإنه يدعوك.

واعلم أن الحذف على وجهين:

أحدهما: ألا يقام شيء مقام المحذوف كما سبق٣.

والثاني: أن يقام مقامه ما يدل عليه؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ [هود: ٥٧] ليس الإبلاغ هو الجواب؛ لتقدمه على توليهم، والتقدير: "فإن تولوا فلا لوم علي لأني قد أبلغتكم"، أو: فلا عذر لكم عند ربكم لأني قد أبلغتكم. وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] أي: فلا تحزن واصبر؛ فإنه قد كذبت رسل من قبلك، وقوله: ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] أي: فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين٤.

وأدلة الحذف٥ كثيرة: منها أن يدل العقل على الحذف، والمقصود الأظهر٦ على تعيين المحذوف؛ كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...﴾ الآية [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ الآية [النساء: ٢٣]؛ فإن العقل يدل على الحذف لما مر٧، والمقصود الأظهر يرشدك إلى أن التقدير: حرم

---

١ المفتاح ص١٥١.

٢ على هذا لا يكون فيه حذف.

٣ فيكفي فيه القرينة الدالة عليه، والأمثلة السابقة كلها على هذا الوجه.

٤ أي: فإنه قد قضت سنتهم، كما صنع في الآيتين السابقتين.

٥ يعني الحذف الذي لا يقام فيه شيء مقام المحذوف؛ لأنه هو الذي يحتاج إلى ذلك، بخلاف الحذف الذي يقام فيه شيء

---

(١) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٤٤/١

مقام المحذوف؛ فإن ما يقام مقامه يدل عليه.
٦ أي: بحسب العرف المقرر في استعمال الكلام.
٧ من أن التحريم يتعلق بالأفعال، لا بالذوات.". (١)

٩١-"للشاعر وتقديره للشعر في آن معاً، وإذا كانت المعاصرة تتحمل الوجه الثاني، فإن التدقيق في هذه العبارات قد ينفي القول بأن كلام أبي حيان تعميمي، لأن كل حكم يرسله يدل على تعمق في الدراسة، مع انتحاء الناحية التصويرية أحياناً في هذه الأحكام. وحسبك أن تقرأ قوله مثلاً " وأما أبن جلبات فمجنون الشعر " حتى تحس أن جملة مثل هذه تستوعب كثيراً مما لو أخذ بالتحليل لأفردت له دراسة كاملة، ولكن هل كانت هذه الأحكام تنطبق على هؤلاء الشعراء تماماً؟ ذلك أمر يعز اليوم القطع به، وحسبنا أن أبا حيان فذ في هذه " الطريقة التصويرية " في النقد؛ تلك الطريقة التي استخدمها أيضاً في الحديث عن الناثرين فقال في الصابي مثلاً: " لا يثب ولا يرسب، ولا يكل ولا يكهم، ولا يلتفت وهو متوجه، ولا يتوجه وهو ملتفت " (١) . وقد حاول من كتبوا " المقامات النقدية " من بعد - كما سنوضح ذلك في موضعه - أن يحتذوا هذه الطريقة، فلم يكن لهم ذكاء أبي حيان ولا جمال تصوره وتصويره.
(ب) تقرير أصول البلاغة وتطبيقها عملياً:
تقرير مفهوم البلاغة
أورد أبو حيان قول إبراهيم الإمام " يكفي من خط البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع " ثم علق عليه بقوله: " وهذا الحكم من إبراهيم مبتور لان الإفهام قد يقع من الناطق ولا يكون بما أفهم بليغاً، والفهم قد يقع للسامع ممن ليس ببليغ ولا يكون بليغاً، وليس اشتراكهما في التفاهم بلاغة " (٢) . وذهب التوحيدي يحدد البلاغة بأنها تعتمد على الطبع أو على الصناعة أو على الاثنين معاً، وعلى هذا تجيء البلاغة في ثلاثة مستويات؛ بلاغة المطبوع ولا يخلو

---

(١) الإمتاع ١: ٦٧.
(٢) البصائر ١: ٣٦٢ - ٣٦٣ وقول إبراهيم في البيان ١: ٨٧.". (٢)

٩٢-"قال السيخ: جعل الباء هاهنا مع اسم بمنزلة الكلمة الواحدة الثلاثية نحو رجل وجذع، ولعل هذه الكلمة ما استعملت على هذه السجية إلا في هذا البيت، لأنه جعلها بمنزلة كلمة واحدة. وأدخل عليها التنوين. ولو أنها بسم الله لحسن أن تحكى على ما هي عليه، فيقال: كتبت في صحائف المجد بسم الله، فأما قول القائل:)إن لوا وإن ليتا عناء(. فليس هو هذا الجنس، لأنه أخرج)لو(من بابها، وجعلها كلمة معربة، ولا من نحو قولهم: مررت ببرق نحره، لأن الجمل إذا

---

(١) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ١/١٨٥
(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص/٢٣٠

سمي بها فهي محكية في النصب والرفع والخفض.

ومن التي أولها:

ألا لا أُرِي الأَحْدَاثَ حَمْداً ولا ذَمَّا ... فَما بَطْشُها جَهْلاً ولا كَفُّها حِلمَا

قال ابن جني: يقول لا ذنب للمصائب فأذمها، ولا إحسان فأحمدها، لأنها غير ناطقة في الحقيقة، وإنما تنسب إليها الأفعال استعارة ومجازا وقال الشيخ أبو العلاء:)أري(في البيت بمعنى أعلم، وهي تستعمل كثيرا على هذا الوجه، وأصل الرؤية في العين، ثم استعملت في العلم والاعتقاد والمشورة ونحو ذلك، تقول: المسلم يرى أن الصلاة فرض، أي يعتقد وفلان يرى أن تفعل كذا، أي يشير عليك.

إلى مِثْلِ ما كانَ الفَتى مرْجعُ الفتى ... يَعُودُ كما أبدَى ويُكْري كما أرمْى

قال الشيخ: يقال بدأ الشيء بالهمز وهي اللغة الجيدة، ويقال أبدى في معنى بدا، وهي قليلة، ويقال أكرى الشيء إذا نقص، وأكرى إذا زاد، وهي من الأضداد، وكرى الزاد إذا نقص، وأكرى الرجل إذا نقص زاده، قال الشاعر:

كذِي زادٍ مَتى ما يُكْرِمَنهُ ... فليس وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بزّادِ

وأرمى على الشيء إذا زاد عليه، والاسم منه الرما، وفي الحديث " إني أخاف عليكم الرماء " أي الربا، والمعنى أن الفتى كان معدوما، وإلى مثل ذلك يعود.

بَكَيْتُ عليها خِيفَةً في حياتِها ... وذَاقَ كِلانا ثُكْلَ صاحِبِهِ قِدْما

قال الشيخ: يقول كنت أعلم أنني لا بدلي من فراقك، فكنت أبكي عليها والفراق لم يكن، وكانت هي من لإشفاقها علي كأنها ثكلة وهذا نحو قوله: مَنْ رآها بِعَيْنه شاقَهُ القُطَّان فيها كَما تَشُوقُ الحُمُولُ

مَنافِعُها ما ضَرَّ في نَفْعِ غَيرها ... تَغَذَّى وتَرْوَى أنْ تجوَع وأَنْ تَظما

قال الشيخ: يقول هذه المرأة كانت ترى أنها تنتفع بنفع غيرها، وإن كان نفعها إياه يضرها، والمراد أنها تطعم المساكين، وتجوع وتظمأ وظمؤها في نفسها ري وكأن هذا مأخوذ من قوله تعالى)ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة(.

ومن قول الهذلي:

أقسّمُ جِيمي في جسُومٍ كثيرَةٍ ... وَأوثِرُ غَيري مِن عِيالِكِ بالطُّعمِ

وقال ابن فورجة: هذا أحد الأبيات التي زل فيها الشيخ أبو الفتح بن جني فقال أي منافع الأحداث أن تجوع وأن تظمأ، وهذا ضار لغيرها، ومعنى جوعها وظمئها أن تهلك الناس، فتخلى منهم الدنيا وهذه كقوله أيضا: كالمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ ولا شبعُ فرحم الله أبا الفتح أليس قد قال)في نفع غيرها(فأي نفع للناس في أن يهلكوا، وإنما الهاء في)منافعها(راجعة إلى الجدة المرثية، يريد أن منافع هذه المرأة لصلاحها وتقواها، وإيثارها على نفسها، وكثرة صيامها وعبادتها، ما جرت العادة به أن يضر، وذاك أنها تؤثر الجوع والظمأ على الري والشبع، فإذا جاعت وظمئت كأنها تغذت ورويت، وقوله)في نفع غيرها(موضعه الرفع لأنه خبر ثان لمنافعها، والخبر الأول)ما ضر(ويجوز أن يكون في بمعنى مع، يريد ما ضرها مع نفع غيرها، كما تقول أردت شتمك في إكرام زيد، أي مع إكرام زيد.

إذا فَلَّ عَزْمي عَم مدىً خوْفَ بُعْدِهِ ... فأبْعَدُ شَيْ ممكِنٌ لم يجَدْ عَزْما

قال ابن جني: يقول: وجود الممكن مع عدم العزم، أبعد عن الوقوع من وجود عزم مع بعد لمطلب أي إذا لم يكن عزم لم يوصل إلى شيء البتة.

وَإني لَمنْ قَوْمٍ كأنَّ نُفُوسَنا ... بها أنَفٌ أنْ تَسكُنَ اللَّحْمَ والعَظْما

قال الشيخ: كان أبو الطيب له مذهب في أن يحمل الضمير على المعنى كقوله في هذا البيت)كأن نفوسنا(، ولو قال كأن نفوسهم لرجع الضمير إلى)قوم(وكان أقرب إلى **فهم السامع**، وكأنه أراد بهذا القول: إنا نؤثر القتل لأن نفوسنا تأنف من سكناها اللحم والعظم.

ومن التي أولها:". (١)

٩٣-"تلخيص البيان ، متن ، ص : ١١

و إن الله ذاق حلوم قيس فلما ذاق خفتها قلاها

رآها لا تطيع لها أميرا فخلّاها تردد فى خلاها

فزعم أن الله عز وجل يذوق .... وللعرب إقدام على الكلام ، ثقة بفهم أصحابهم عنهم ، وهذه أيضا فضيلة أخرى.

وكما جوزوا لقولهم أكل وإنما عضّ ، وأكل وإنما أفنى ، وأكل وإنما أحاله ، وأكل وإنما أبطل عينه - جوزوا أيضا أن يقولوا : ذقت ما ليس بطعم ، ثم قالوا : طعمت لغير الطعام. وقال العرجى :

وإن شئت حرّمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

و قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي يريد : لم يذق طعمه] «١».

فالمجاز عند الجاحظ هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له ، على سبيل التوسع من أهل اللغة ، ثقة من القائل **بفهم السامع**.

وقد حلت هذه النظرة الجاحظية البيانية كثيرا من المشكلات التي قامت بسبب التعبيرات القديمة. فقد أنكر المنكرون وعلى رأسهم الحسن قول القائل : طلع سهيل ، أو برد الليل ، وقالوا فى إنكارهم : إن سهيلا لم يأت بحر ولا ببرد. وكره مالك بن أنس أن يقول الرجل عن الغيم والسحاب : ما أخلقها للمطر! ولكن الجاحظ يرى أن إخراج الكلام على وجه المجاز يحلّ المشكلة ويقيم الكلام على وجه سليم ، فهو يقول عن التعبير الأول :

ولهذا الكلام مجاز ومذهب. وهو يقول عن التعبير الثاني : وهذا كلام مجازه قائم ، ويقول عن مثال آخر مما ينكره المنكرون : وهذا الكلام مجازه عند الناس سهل.

والحق أن الجاحظ قاس هذه العبارات على نظائرها فى كلام العرب فوجد لها دعامة من

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي ص/٩٣

(١) المصدر نفسه ص ٣١ ، ٣٢.". [١]

٩٤-"(الفعل وأقسامه) ضمن العنوان (الفعل اللازم)

الفعلُ اللازمُ هو ما لا يتعدى أثرُهُ فاعلَهُ، ولا يتجاوزُه إلى المفعول به، بل يبقى في نفسِ فاعله، مثل "ذهب سعيدٌ، وسافر خالدٌ".

وهو يحتاجُ إلى الفاعل، ولا يحتاجُ إلى المفعول به، لأنه لا يخرج من نفس فاعلِه فيحتاجُ إلى مفعول به يَقعُ عليه.

ويُسمى أيضاً. (الفعلَ القاصرَ) - لقُصوره عن المفعول به، واقتصاره على الفاعل - و (الفعلَ غيرَ الواقع) - لأنه لا يقع على المفعول به - و (الفعل غيرَ المُجاوِزِ) لأنه لا يجَاوِزُ فاعلهُ.

متى يكون الفعل لازما؟

يكونُ الفعل لازماً

إذا كان من أفعال السجايا والغرائز، أَي الطبائع، وهي ما دَلّت على معنى قائم بالفاعل لازمٍ له - وذلك، مثل "شَجع وجَبُنَ وحَسنُ وقَبحَ".

أو دلَّ على هيئة، مثل طال وقصرَ وما أَشبه ذلك".

أو على نظافةٍ كَطهر الثوبُ ونظُف.

أو على دنسٍ كوسِخ الجسمُ ودنسَ وقذِر.

أو على عرضٍ غير لازمٍ ولا هو حركةٌ كمرِض وكسِل ونشِط وفرح وحزن وشَبع وعطِش.

أو على لون كاحمرَّ واخضرَّ وأدم.

أو على عيبٍ كعَمش وعور.

أو على حلية كنَجيل ودعج وكحل.

أو كان مُطاوعاً لفعلٍ مُتعدٍّ إلى واحد كمددت الحبل فامتدَّ.

أو كان على وزن (فَعُل) - المضموم العينِ - كحسُن وشرُف وجمُل وكرُم.

أو على وزن (انفعل) كانكسر وانحطم وانطلق.

أو على وزن (افعلَّ) كاغبرَّ وازورَّ.

أو على وزن (افعالَّ) كاهامَّ وازوارَّ.

أو على وزن (افعلَلَّ) كاقشعرَّ واطمأنَّ.

أو على وزن (افعنلل) كاحرنجم واقعنسس.

---

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن ١١/٢

متى يصير اللازم متعديا

يصيرُ الفعلُ مُتعدياً بأحدِ ثلاثة أشياء

إما بنقله إلى باب (افعل) مثل "أكرمتُ المجتهد".

وإما بنقله إلى باب (فعَل) – المَضعّف العين – مثل "عظّمتُ العلماء".

وإما بواسطة حرف الجرِّ، مثل "أعرِضْ عن الرذيلة، وتَمسَّكْ بالفضيلة".

سقوط حرف الجر من المتعدي بواسطة

إذا سقط حرفُ الجرِّ بعد المتعدي بواسطة، نصبت المجرورَ، قال تعالى "واختار موسى قَومهُ سبعين رجلا"، أي من قومه، وقال الشاعر

*تَمرُّون الدِّيارَ ولم تَعُوجُوا *كلامُكُم عَلَيّ إذاً حَرام*

والأصلُ تَمرّونَ بالديار. فانتصب المجرورُ بعد سُقوط الجارّ.

وسُقوطُ الجار بعد الفعل اللازم سماعيٌّ لا يُقاسُ عليه، إلا في "أَنْ وأَنَّ"، فهو جائزٌ قياساً إذا منَ اللَّبْسُ، كقوله تعالى ﴿أَوَعَجِبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربّكم على رجل منكم؟﴾ أي من أن جاءكم، وقولِه سُبحانهُ ﴿شهِدَ اللهُ أنهُ لا إله إلا هُو﴾، أي بأنه.

فإن لم يُؤمن اللبْسُ لم يَجُزْ حذفهُ قبلها، فلا يجوز أن تقول "رغِبت أَن أَفعل" لإشكال المُرادِ بعد الحذف، فلا يفهم السامعُ ماذا أَدرتَ أَرغبتك في الفعل، أَو رغبتك عنه فيجبُ ذكرُ الحرف ليتعيَّن المُرادُ، إلا إذا كان الابهامُ مقصوداً لتعمية المعنى المرادِ على السامع.". (١)

٩٥-"والاكثرُ أن تُكفّهما "ما" عن العملِ، فيدخلانش حينئذٍ على الجُمَلِ الاسميّة والفعليّة كقول الشاعر

*أَخٌ ماجِدٌ لَمْ يُخْزِني يَومَ مَشْهَدٍ *كمَا سَيْفُ عَمْرٍ ولَمْ تَخُنْهُ مَضارِبُهْ*

وقولِ الآخر

*رُبَّما أَوْفيتُ في عَلَمٍ * تَرْفَعَنْ ثَوْبي شَمَالاتُ*

والغالب على "رُبَّ" المكفوفةِ أَن تدخلَ على فعلٍ ماضٍ، كهذا البيت. وقد تدخلُ على فعلٍ مضارع، بشرط أن يكونَ مُتَحققَ الوقوع، فيُنزّلُ منزلة الماضي للقطع بحصولهِ، كقولهِ تعالى ﴿رُبَما يَودُّ الذينَ كفروا لو كانوا مُسلمينَ﴾. ونَدَرَ دخولها على الجملة الاسميّة، كقول الشاعر

*رُبَّما الْجَامِلُ الْمُؤَبَّلُ فيهِمْ * وعَناجيجُ بَيْنَهُنَّ المِهارُ*

٣- واوُ رُبَّ وفاؤُها

---

(١) جامع الدروس العربية ١/٩

قد تُحذَف "ربَّ"، ويبقى عملُها بعد الواو كثيراً، وبعد الفاء قليلاً، كقول الشاعر

*وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، أَرْخى سُدُولَهُ * عَلَيَّ. بِأَنْواعِ الهُمومِ، لِيَبتَلي*

وقولِهِ

*فَمِثْلِكِ حُبْلى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ * فَأَلْهَيْتُها عَنْ ذي تَمائِمَ مُحْوِلِ*

٤- حَذْفُ حَرْفِ الجَرّ قِياساً

يُحذَفُ حرفُ الجَرّ قِياساً في ستَّة مواضع

١- قبلَ أنْ، كقوله تعالى ﴿وعَجِبوا أن جاءَهم مُنذرٌ منهم﴾، أي لأنْ جاءهم، وقولِهِ ﴿أوَ عَجِبتُمْ أنْ جاءكم ذِكرٌ من ربكم على رجلٍ منكم﴾، وقولِ الشاعر

*اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا لا نُحِبُّكُمُ * وَلا نَلومُكُمُ أَن لا تُحِبُّونا*

أي على أن لا تُحبُّونا.

٢- قبلَ أنَّ، كقولهِ تعالى ﴿شهِدَ اللهُ انهُ لا إله إلا هو﴾، أي شَهِدَ بأنهُ.

واعلم أنهُ إنما يجوزُ حذفُ الجارّ قبلَ "أن وأنَّ"، إن يُؤمَنِ اللَّبسُ بحذفِهِ. فإن لم يُؤمَن لم يَجز حذفهُ، فلا يقالُ "رغِبتُ أن أفعلَ"، لإشكالِ المراد بعدَ الحذفِ، فلا يَفهمُ السامعُ ماذا أردتَ أرَغبَتك في الفعلِ، أم رغبَتَكَ عنه؟ فيجبُ ذكرُ الحرف ليتعيَّن المرادُ، إلا إذا كان الإبهامُ مقصوداً من السامع.

٣- قبلَ "كي" الناصبةِ للمضارع، كقولِهِ تعالى ﴿فرَددناهُ إلى أمهِ كي تَقرَّ عينُها﴾، أي لكي تَقرَّ.

واعلم أن المصدرَ المؤوَّل بعد "أنْ وأنَّ وكيْ" في موضع جرَّ بالحرف المحذوف، على الأصحَّ. وقال بعض العلماءِ هو في موضعِ النصب بنزعِ الخافض.

٤- قبلَ لفظِ الجلالة في القسم، نحو "اللهِ لأخدمنَّ الأمةَ خدمةً صادقةً"، أي واللهِ.

٥- قبلَ مُميِّز "كم" الاستفهامية، إذا دخل عليها حرفُ الجرِّ، نحو "بكم درهم اشتريتَ هذا الكتابَ؟" أي بكم من درهم؟ والفصيحُ نصبُهُ، كما تقدَّم في باب التمييز، نحو "بكم درهماً اشتريته؟".

٦- بعدَ كلامٍ مُشتملٍ على حرف جرّ مثله، وذلك في خمس صُوَر

الأولى بعد جوابِ استفهامٍ، تقول "مِمَّنْ أخذتَ الكتاب؟"، فيقالُ لك "خالدٍ"، أي من خالد.

الثانية بعد همزةِ الاستفهام، تقولُ "مررتُ بخالدٍ"، فيقالُ "أخالدِ ابنِ سعيدٍ؟" أي أبخالدِ بنِ سعيد؟.

الثالثة بعدَ "إن" الشرطيّةِ، تقولُ "إذهبْ بِمنْ شئتَ، إنْ خليلٍ، وإنْ حسَنٍ" أي إن بخليلٍ، وإن بحسنٍ.

الرابعةُ بعدَ "هَلاَ"، تقولُ "تصدَّقتُ بدرهمٍ"، فيقالُ "هَلاّ دينار"، أي هلاّ تَصدَّقت بدينار.

الخامسة بعد حرف عطفٍ مَتْلُوٍّ بما يصحُّ أن يكونَ جملةً، لو ذُكرَ الحرفُ المحذوفُ، كقولك "لخالدٍ دارٌ، وسعيدٍ بُستانٌ"، أي ولسعيد بستانٌ، وقولِ الشاعر

*ما لِمحُبٍّ جَلَدٍ أَنْ يَهْجُرا * وَلا حَبيبٍ رَأْفةٌ فَيَجْبُرا*

وقولِ الآخر

*أَخْلِقْ بِذي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظى بِحاجتِهِ * ومُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلأَبوابِ أَنْ يَلِجا*

أي وبِمُدمنِ القرع. ومنهُ قولهُ تعالى ﴿وفي خَلقكم وما يَبُثُّ من دآبَّةٍ آياتٌ لقومٍ يُوقنونَ، واختلافِ الليلِ والنهار وما أنزلَ اللهُ من السماءِ من رزقٍ، فأحيا به الأرضَ بعد موتها، وتصريفِ الرِّياح، آياتٌ لقومٍ يعقلون﴾.

٥- حَذْفُ حَرْفِ الجَرّ سَمَاعاً

قد يُحذَف الجَرّ سَمَاعاً، فينتصبُ المجرورُ بعدَ حذفهِ تشبيهاً لهُ بالمفعول به. ويُسمى أيضاً المنصوب على نزعِ الخافض، أي الاسمَ الذي نُصبَ بسبب حذفِ حرفِ الجرِّ، كقولهِ تعالى ﴿ألا إنَّ ثمودَ كفروا ربَّهم﴾، أي بربهم، وقولهِ ﴿واختارَ موسى قومَهُ أربعينَ رجلاً﴾ أي من قومه، وقولِ الشاعر

*تَمُرُّونَ الدِّيارَ وَلَمْ تَعُوجُوا *كَلامُكُمُ عَلَيَّ إذاً حَرامُ*

أي تَمُرُّونَ بالديار، وقولِ الآخر

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بهِ * فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مَالٍ وَذا نَشَبِ*

أي أمرتُك بالخير، وقولِ غيرهِ

*أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ * رَبَّ الْعِبادِ، إِلَيهِ الْوَجْهُ والعَمَلُ*

أي أستغفرُ اللهَ من ذنب.

ويُسمّى هذا الصنيعُ بالحذف والإيصال، أي حذفِ الجارَّ وإيصالِ الفعل غلى المفعول بنفسهِ بلا واسطة. وقال قومٌ إنهُ قياسي. والجمهورُ على انهُ سماعيٌّ.". (١)

٩٦-"ولا اسم جمع لتميز واحده منه بالتاء واسم الجمع لا واحد له من لفظه كَقَوْم وَرَهطٌ وَإِبلٌ ونساء وطائفةٌ وجماعةٌ، أو له واحد لا كذلك مع كونه ليس من أوزان الجموع كَصَحْبٌ وَرَكْبٌ، أو منها مع إجراء أحكام المفرد عليه كتصغيره والنسب إلى لفظه كما جعلوا رِكَابَ اسم جمع لِرُكُوبَةٍ لأنهم نسبوا إلى لفظه، والجموع لا ينسب إليها. قوله: (وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ الخ) فيه إشارة للإعراب المارَّ.

قوله: (لأَنَّها إنْ دَلَّتْ الخ) دليل لانحصارها في الثلاثة، والنحويون مجمِعون على هذا إلا من لا يعتد بخلافه في اسم الفعل. وقول الفراء في كلا ليست اسماً ولا فعلاً ولا حرفاً إنما هو تردد من أيها هي لتعارض الأدلة عنده لا أنها خارجة عنها. والأصح أنها حرف، وترد للزجر إذا تقدمها ما يزجر عنه نحو: كلا إنها كلمة، وللجواب كأي إذا تلاها قسم نحو: ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ﴾

(المدثر: ٣٢)

---

(١) جامع الدروس العربية ٧/٧١

والاستفتاح كألا إذا خلت عن ذلك نحو: كَلاّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾

(العلق: ٦)

انظر المغني وحواشيه. قوله: (فِي نَفْسِهَا) خرج به الحرف وفي إما سببية في المواضع الثلاثة أي دلت بسبب نفسها لاستقلالها، والحرف بسبب انضمام غيره لعدم استقلاله فله معنى في نفسه لكن لا يستقل بإفادته، وهو مذهب البيانيين ولذلك أجروا فيه الاستعارة التبعية، أو ظرفية مجازاً باعتبار **فهم السامع** المعنى من اللفظ فكأنه كامن فيه، وعلى هذا فلا معنى للحرف أصلاً، وإنما يدل على معنى غيره وهو المشهور عند النحاة.

___". (١)

٩٧-"عطف النسق

....

أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] الآية، واسميتين كقوله:

٨٥٧-

وَلَسْت أُبَالِي بعدَ فَقْدِي مالِكًا أَمَوْتِي ناءٍ أم هو الآن واقِعُ ومختلفتين نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٣] الآية. وإذا عادلت بين جملتين في التسوية فقيل: لا يجوز أن يذكر بعدها إلا الفعلية، ولا يجوز: سواء علي أزيد قائم أم عمرو منطلق فهذا لا يقوله العرب، وأجازه الأخفش قياسًا على الفعلية. وقد عادلت بين مفرد وجملة في قوله:

٨٥٨-

سَوَاءٌ عَلَيكَ النَّفْرُ أمْ بِتُّ لَيلَةً بِأَهْلِ القِبَابِ مِنْ عُمَيرِ بنِ عامِرِ "أو" بعد "همز عن لفظ أي مغنيه" وهي الهمزة التي يطلب بها وبأم التعيين، وتقع

الجمهور إن ما بعد الهمزة مبتدأ مؤخر، ومنها الجملة المضاف إليها الظرف نحو: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، ومنها تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه بناء على عدم تقدير أن، قاله في المغني. قوله: "ولست أبالي" أي: أكترث فهو متعد بنفسه؛ لأن معناه لا أفكر فيه ازدراء به فالجملة بعده في محل نصب، والفعل معلق أفاده الدماميني. وقد يتعدى أبالي بالباء والوجهان صحيحان كما قاله الشنواني نقلًا عن النووي. قوله: أموتي ناء أي: بعيد.

قوله: "نحو: سواء عليكم أدعوتموهم" أي: الأصنام أي: ونحو: سواء عليّ أزيد قائم أم قعد فتم التمثيل. قوله: "فقيل لا يجوز إلخ" يرد عليه أنه سمع ذكر الاسمية بعدها في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، وفي قول الشاعر: ولست أبالي إلخ كما قدم ذلك فلا يصح قوله فهذا لا يقوله العرب ولا قوله، وأجازه الأخفش قياسًا على

---

(١) حاشية الخضري على ابن عقيل ١/٤٠

الفعلية المقتضي عدم السماع. وفي نسخ إسقاط قوله وإذا عادلت بين الجملتين إلخ وهو أولى. قوله: "مغنيه" أي: مع أم كما أشار إليه الشارح فقد حقق الدماميني أن أيا سادة مسد الهمزة وأم جميعًا لا الهمزة فقط. قوله: "وتقع" أي: أم المسبوقة بهمزة التعيين. قوله: "بين مفردين غالبًا" ومن غير الغالب أن تقع بين مفرد وجملة كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥]، وبين جملتين كما سيذكره الشارح.

قوله: "ويتوسط بينهما إلخ" ما لا يسأل عنه في الأول المسند؛ لأن السؤال عن المسند إليه وفي الثاني بالعكس. وبيان ذلك أن شرط الهمزة المعادلة لأم أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما ويلي أم المعادل الآخر؛ ليفهم السامع من أول الأمر ما طلب تعيينه، تقول إذا استفهمت عن تعيين المبتدأ دون الخبر: أزيد قائم أم عمرو وإن شئت أخرت زيد قائم؛ لأنه غير

٨٥٧- البيت من الطويل، وهو لمتمم بن نويرة في ديوانه ص١٠٥؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٧/ ٥١؛ وأوضح المسالك ٣/ ٣٦٨؛ وجواهر الأدب ص١٨٧؛ والدرر ٦/ ٩٧؛ وشرح التصريح ٢/ ١٤٢؛ وشرح شواهد المغني ١/ ١٣٤؛ ومغني اللبيب ١/ ٤١؛ والمقاصد النحوية ٤/ ١٣٦؛ وهمع الهوامع ٢/ ١٣٢.

٨٥٨- البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في المقاصد النحوية ٤/ ١٧٩.

١٤٧ | ٤٦٣". [1]

٩٨-"البدل

وذا للإضرابِ اعْزُ إنْ قَصْدًا صَحِب

ودون قَصْد غَلَطٌ به سُلِبْ

ومثله قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ومثل المقدر قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ﴾ [البروج: ٤]، أي: النار فيه، وقيل الأصل ناره ثم نابت أل عن الضمير، والرابع البدل المباين وهو ثلاثة أقسام أشار إليها بقوله: "وذا للإضراب اعز إن قصدًا صحب ودون قصد غلط به سلب" أي: تنشأ أقسام هذا النوع الأخير من

إلى ذات المبدل منه ففي قولك: أعجبني زيد علمه الإعجاب لا يناسب نسبته إلى ذات زيد التي هي مجموع لحم وعظم ودم فيفهم السامع أن المتكلم قصد نسبته إلى صفة من صفاته كعلمه أو حسنه. وفي قولك: سرق زيد ثوبه إنما يفهم

---

(١) حاشية الصبان ١/١٤٥

السامع أن المتكلم قصد نسبته إلى شيء يتعلق به كثوبه أو فرسه، فقد دل العامل المنسوب إلى المبدل منه في الظاهر على ذلك البدل إجمالًا هذا هو المراد بالاشتمال كما حققه سعد الدين ويرد عليه أنه لا يطرد؛ لأن بعض صور بدل الاشتمال قد لا يدل العامل فيه على البدل الدلالة المذكورة كما في: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ﴾ [البروج: ٤]، بناء على أن النار بدل اشتمال من الأخدود كما سيذكره الشارح. وقال ابن غازي معنى اشتمال العامل على البدل أن معنى العامل متعلق بالبدل وإن تعلق في اللفظ بغيره، وأورد عليه أن بدل البعض كذلك فيلزم أن يسمى بدل اشتمال. وقد يقال وجه التسمية لا يوجبها. بقي ههنا بحث وهو أن الدلالة على بدل الاشتمال بما سبقه إجمالية كما مر ولا يجوز أن تكون على التعيين على ما نقله الدماميني عن المبرد وأقره، وعبارته: لا نقول من بدل الاشتمال قتل الأمير سيافه وبنى الوزير وكلاؤه؛ لأن شرط بدل الاشتمال أن لا يستفاد مما قبله معينًا بل تبقى النفس مع ذكر ما قبله متشوفة إلى بيان الإجمال الذي فيه، وهنا الأول غير مجمل إذ يستفاد عرفًا من قولك: قتل الأمير أن القاتل سيافه وكذا في أمثاله فلا يجوز مثل هذا الابدال أصلًا ا. هـ.

فعلى هذا يشكل هذا التابع من أي: التوابع فتأمل. وعلم مما مر ما نقله الدماميني عن المبرد من أن نحو: ضربت زيدًا عبده ليس بدل اشتمال بل بدل غلط؛ لأن ما قبل البدل لا يدل عليه؛ لأن ضربت زيدًا مفيد بغير احتياج إلى شيء آخر لمناسبة العامل المبدل منه. قوله: "قتل أصحاب الأخدود" هو شق في الأرض وأصحابه ثلاثة شق كل واحد منهم شقا عظيمًا في الأرض وملأه نارًا، وقالوا: من لم يكفر ألقي فيه ومن كفر ترك ا. هـ. تصريح. ومنه يؤخذ أن أل في الأخدود للجنس؛ لأن الأخاديد ثلاثة لا واحد. قوله: "وقيل الأصل ناره إلخ" وقيل أراد بالأخدود النار مجازًا لاشتماله عليها وقيل النار على حذف مضاف أي: أخدود النار والبدل على هذين بدل كل وقيل: النار بدل إضراب أفاده زكريا.

قوله: "وذا للإضراب إلخ" أي: أنسب هذا البدل الشبيه بالمعطوف ببل للإضراب، كأن تقول بدل إضراب إن صحب البدل قصد المتبوع أي: قصدًا صحيحًا كما قاله سم. قوله: "ودون قصد" منصوب على الظرفية لمحذوف أي: وإن وقع دون قصد أي: دون قصد صحيح بأن لا يقصد أصلًا بل يسبق إليه اللسان أو يقصد، ثم يتبين فساد قصده كما قاله سم، وغلط خبر مبتدأ محذوف على حذف مضاف أي: فهو بدل غلط والهاء عائدة على البدل وسلب في موضع الصفة

١٨٦ | ٤٦٣". (١)

٩٩-"مدخل

وغَيْرُ مُنْدُوبٍ ومُضْمَر وما جا مُسْتَغاثًا قد يُعَرَّى فاعْلَما

فإن خيف اللبس تعينت وا.

---

(١) حاشية الصبان ١/١٨٤

تنبيهات: الأول من حروف نداء البعيد آي بمدى الهمزة وسكون الياء، وقد عدها في التسهيل فجملة الحروف حينئذ ثمانية. الثاني ذهب المبرد إلى أن أيا وهيا للبعيد، وأي والهمزة للقريب، ويا لهما. وذهب ابن برهان إلى أن أيا وهيا للبعيد والهمزة للقريب وأي للمتوسط ويا للجميع، وأجمعوا على أن نداء القريب بما للبعيد يجوز توكيدًا وعلى منع العكس "وغير مندوب ومضمر وما جا مستغاثًا قد يعرى" من حروف النداء لفظًا "فاعلما" نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩]، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:

عمر دليل على أنه مندوب وليس الدليل الألف؛ لأنها تلحق آخر المستغاث والمتعجب منه كما يأتي أفاده سم. قوله: "فإن خيف اللبس إلخ" فتقول عند قصد ندبة زيد الميت وبحضرتك من اسمه زيد: وازيد بالواو إذ لو أتيت بيا لتبادر إلى فهم السامع أنك قصدت النداء. قوله: "من حروف نداء البعيد آي إلخ" هذا مكرر مع قوله سابقًا، وقد تمد همزتها إلا أن يقال: أعاده ليؤيده بنقله عن التسهيل أو توطئة لقوله فجملة الحروف ثمانية. قوله: "ذهب المبرد إلخ" انظر ماذا يقول في آي وآ بمد الهمزة فيهما هل يجعلهما للبعيد أو للقريب أولهما فإن أراد بقوله: وأي والهمزة للقريب مقصورتين وممدودتين فلا إشكال، ونظير ذلك يقال فيما نقله عن ابن برهان.

قوله: "على أن نداء القريب بما للبعيد" أي: في غير صورة تنزيله منزلة البعيد بقرينة قوله: يجوز توكيدًا إذ عند التنزيل المذكور لا تأكيد فتلخص أنه يجوز نداء القريب بما للبعيد للتوكيد وللتنزيل، والمراد توكيد النداء إيذانًا بأن الأمر الذي يتلوه مهم جدا كما أفاده في الكشاف. قوله: "وعلى منع العكس" أي: لعدم تأتي التوكيد في صورة العكس، ومحل منعه إذا لم ينزل البعيد منزلة القريب وإلا جاز نداؤه بما للقريب إذ لا مانع منه حينئذٍ كما قاله سم. قوله: "قد يعرى من حروف النداء لفظًا" وإن لزم عليه حذف النائب والمنوب عنه، فقد قال الدماميني: لا نسلم أن العوضية تنافي الحذف بدليل إقام الصلاة ا. هـ. وقال بعضهم: يا للتنبيه لا عوض عن الفعل لكن لما وقعت في محل أشبهت العوض ا. هـ. أما حذف المنادى وإبقاء حرف النداء فذهب ابن مالك إلى جوازه قبل الأمر والدعاء، واستشهد على ذلك ووجه الدماميني جوازه قبل الأمر والدعاء بأنهما مظنة النداء، ووقوعه معهما كثير

فحسن التخفيف معهما بالحذف. وذهب أبو حيان إلى منعه وعلله بأن الجمع بين حذف فعل النداء وحذف المنادى إجحاف، ولم يرد بذلك سماع عن العرب، ويا في الشواهد للتنبيه كهي قبل ليت ورب وحبذا على ما صرح به في التسهيل، وعلله في شرحه بأن مولى يا أحد هذه الثلاثة قد يكون وحده ولا يكون معه منادى ثابت ولا محذوف.

قوله: "نحو: يوسف أعرض عن هذا" أشار بتعداد الأمثلة إلى أنه لا فرق بين أن يكون المنادى مفردًا أو مضافًا أو شبيهًا به ولا فرق في المفرد بين أن يكون مقصودًا للنداء لذاته كيوسف أو وصلة لنداء غيره كأي: ولا بين أن يكون معربًا قبل النداء كيوسف أو مبنيا قبله كمن

١٩٩ | ٤٦٣". (١)

١٠٠-"الموصول

أن صلح الباقي لوصل مكمل والحذف عندهم كثير منجلي

أحسن" وقراءة مالك بن دينار وابن السماك ما بعوضه بالرفع. وقوله:

١١٤-

لا تنو إلا الذي خير فما شقيت إلا نفوس الألى للشر ناءونا وقوله:

١١٥-

من يعن بالحمد لا ينطق بما سفه ولا يحد عن سبيل المجد والكرم "وأبوا أن يختزل" العائد المذكور أي يقتطع ويحذف "إن صلح الباقي" بعد حذفه "لوصل مكمل" بأن كان ذلك الباقي بعد حذفه جملة أو شبهها لأنه والحالة هذه لا يدري أهناك محذوف أم لا لعدم ما يدل عليه، ولا فرق في ذلك بين صله أي وغيرها، فلا يجوز جاءني الذي يضرب أو أبوه قائم أو عندك أو في الدار على أن المراد هو يضرب أو هو

زيد فإنهم جوّزوا إذا رفع زيد أن تكون ما موصولة وزيد خبر مبتدأ محذوف وجوبًا باطراد لتنزيلهم لا سيما منزلة إلا استثنائية وهي لا يصرح بعدها بجملة فإذا قيل لا سيما زيد الصالح فلا استثناء لطول الصلة بالنعت ذكر ذلك في المغني. قوله: "وابن السماك" بالكاف على وزن العطار فإن صدر بأب فباللام كذا نقل عن الفراء. قوله: "بالرفع" أي في الآيتين. أما بنصب أحسن فالذي اسم موصول حذف عائده أي على العلم الذي أحسنه وجوز الكوفيون كونه موصولًا حرفيًا فلا يحتاج لعائد أي على إحسانه وكونه نكرة موصوفة فلا يحتاج لصلة ويكون أحسن حينئذٍ اسم تفضيل لا فعلًا ماضيًا وفتحته إعراب لا بناء وهي علامة الجر كذا في الروداني. وأما بنصب بعوضة فبعوضة بدل من مثلًا وما حرف زائد للتوكيد. وقيل ما نكرة موصوفة وبعوضة صفة لما يجوز على قراءة الرفع أن تكون ما حرفًا زائدًا ويضمر المبتدأ تقديره مثلًا هو بعوضة كذا في إعراب القرآن لأبي البقاء.

قوله: "من يعن" بالبناء للمجهول على اللغة المشهورة أي من يعنيه ويهمه حمد الناس له لرغبته فيه، ويحد بفتح الياء التحتية وكسر الحاء المهملة من حاد إذا مال. قوله: "العائد المذكور" أي الذي هو صدر الصلة والأكثر فائدة جعل الضمير عائدًا على العائد مطلقًا سواء كان صدر صلة أو لا كما صنع ابن عقيل فلا يجوز حذف الهاء من ضربته في قولك جاء الذي ضربته في داره لأن الباقي بعد حذفه صالح للوصل. قوله: "ويحذف" عطف تفسير. قوله: "مكمل" أي للموصول وهو صفة لازمة. قوله: "جملة أو شبهها" أي مشتملة على العائد. قوله: "لأنه والحالة هذه إلخ" فيه أن غاية ذلك حصول الإجمال

---

(١) حاشية الصبان ١٩٧/١

وهو ليس بعيب ولو قال لأن المبتادر حينئذٍ إلى فهم السامع عدم الحذف لاستقام التعليل. قوله: "على أن المراد هو يضرب إلخ"

١١٤- البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في شرح الأشموني.

١١٥- البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٦٨؛ وتخليص الشواهد ص١٦٠؛ والدرر ١/ ٣٠٠؛ وشرح التصريح ١/ ١٤٤؛ والمقاصد النحوية ١/ ٤٤٦؛ وهمع الهوامع ١/ ٩٠.

٢٤٦ | ٤٣٥". (١)

"١٠١-

قال ابن السيد : فإن قيل : كيف قالت الذين هم وإنما يليق هذا بمن هو موجود وإنما كان ينبغي أن تقول كانوا كما قال الآخر : الكامل (كانوا على الأعداء نار محرّقٍ ** ولقومهم حرماً من الأحرام) فالجواب عنه من وجهين : أحدهما أن العرب كانت تضمن كان اتكالاً على فهم السامع كقوله تعالى : واتَّبعُوا ما تتلُوا الشّياطينُ على مُلْكِ سليمان قال الكسائي : أراد ما كانت تتلو .

وثانيهما : أنها إذا دعت ببقاء الذكر بعد موتهم صاروا كالموجودين وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه .

وقولها النازلين الخ قال ابن خلف : يجوز في النازلين والطيبين أربعة أوجه : رفعهما ونصبهما ورفع أحدهما مع نصب الآخر مقدماً ومؤخراً على القطع غير أنك إن رفعتهما جاز أن يكونا نعتين لقومي فيكون الرافع لهما رافع قومي بعينه والكلام جملة واحدة وجاز أن يكونا)

مقطوعين في التقدير بإضمار مبتدأ فيكونا جملتين والرافع والناصب المقدران لا يجوز أن يظهر واحد منهما لفظاً إنما يكون مقدراً أبداً منوياً وامتناع إظهاره إشعار باتصاله بما قبله وتشبيه به فلو ظهر أمكن أن يكون جملةً قائمة بنفسها مستقلة وليس الغرض ذلك .

ويجوز أن يكون الطيبون معطوفاً على سم العداة وآفة الجزر وأن يكون على الضمير في النازلين . ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ كما ذكر في الكتاب . ولا يجوز أن يكون النازلون رفعاً صفة لمجموع قومي وسم العداة لاختلاف العاملين .

فإن قيل : هل الأقيس أن يكون نعتاً لقومي أو لسم العداة فالجواب : لقومي

." (٢)

---

(١) حاشية الصبان ١/٢٤٥

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٥/٤٧

١٠٢-"

وقوله : إما بتطليق : إما أن يطلق طلاقاً بيناً . وإما أن يقول ارحلي يريد به الطلاق . وحذف)

المستفهم عنه اعتماداً على فهم السامع . وحذف جواب لا شرط وهو إن كنت منجياً لي من هذا الرجل فافعل

.

وقوله : أو ارم في وجعائه إلخ هذا البيت أورده العيني بعد الثلاثة وقال : الوجعاء بفتح الواو وسكون الجيم والمد : الاست .

وتقدمت ترجمة خطام المجاشعي في الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة .

وأنشد بعده (الشاهد التاسع والأربعون بعد الخمسمائة) وهو من شواهد س : الطويل على أن العدد المميز بمذكر و مؤنث معاً المفصول بينه و بينهما بلفظ بين أومن أو بالمجموع إن كان المميزان يوماً و ليلة فالغلبة للتأنيث فإنه اعتبر جانب المؤنث فذكر عدده .

وإن كان المميزان غير يوم وليلة فالغلبة للتذكير .

وهاتان المسألتان صرح بهما سيبويه . وهذا نصه : وتقول : سار خمس عشرة من بين يومٍ وليلة لأنك ألقيت الاسم على الليالي ثم بينت فقلت : من بين يوم وليلة .

." (١)

١٠٣-" وزاد بعده : ولا أطيق البكرات الشردا وأما قوله : كأن أصوات القطا . . . الخ فقد قال أيضاً : قال أبو علي البغدادي : رويته عن ابن قتيبة المنغص بالغين المعجمة والصاد المهملة وهو من الغصص ومعناه المختنق .

ورويته عن غير ابن قتيبة المنقضّ بالضاد المعجمة والقاف وهو الصواب . شبه صوت انقضاض القطاة إذا انقضت بأصوات الحصا إذا قرع بعضها بعضاً . والمنقزّ : المتواثب : يقال قزّ وانقزّ إذا وثب .

وأما قوله : أزهر لم يولد بنجم . . . إلخ فقد قال أيضاً الميمم : المقصود لكرمه . و السنخ بالخاء المعجمة والجيم : الأصل . وقد روى السنح بالحاء المهملة .

وأما قوله حشورة الجنبين . . . إلخ فقد قال أيضاً : الحشورة : العظيمة . والمعطاء : التي تساقط شعرها .

والدمن بالكسر : الزبل . والأثباج الأوساط . يصف ناقة قد اشتد عطشها فهي تشرب الماء وأما قوله : قبّحت من سالفةٍ . . . إلخ فقد قال أيضاً : هذا الرجز لجوّاس ابن هريم .)

هجا امرأة وشبه سالفتها وصدغها في اصفرارهما بكشية ضب في صقع من الأرض . وأراد أن يقول : من سالفتين وصدغين فلم تمكنه التثنية فوضع الواحد موضوع الاثنين اكتفاءً بفهم السامع .

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٣٨٠/٧

". (١)

١٠٤-"فضل منه، فقال: "ولاك اسقني"، وقد أراد الشاعر بهذا أن يؤكد أنه يجوب فلاة مهلكة ضالة، فالذئب هو ابن الصحراء، والخبير بطرقها يجهل فيها موضع الماء، وجاء قوله: "ولاك اسقني" على الحذف كما ترى؛ لأنه أراد ولكن اسقني، فحذف آخر الكلمة طلبا للخفة لمناسبة حال الذئب الظامئ المتهالك في هذه الصحراء الموحشة التي يجتازها الشاعر، كأن الذئب فيها قد تعثر لسانه، ويبس فخطف الكلمة، فأسقط منها ما أسقط.

وانظر إلى قول لبيد: "درس المنا بمتالع فأبانا" أراد درس المنازل

والنحاة والبلاغيون يذكرون هذا البيت في الحذف الشاذ والضرورة؛ لأنه ظلم الكلمة بحذف أكثر من حرف، ويمكن أن نقول: إن الحذف في كلمة المنازل التي يتحدث عن دروسها، وتغيير القدم لمعالمها مناسب؛ لأنها بقيت آثارًا، وكأن الحذف فيه إشارة إلى المضمون الذي يريد بيانه، وهو أن المنازل بقايا لا يستدل عليها إلا بالقرائن والشواهد، فالحذف في اللفظ وثيق الصلة بالمعنى.

لم لا تكون السليقة اللغوية هدت لبيدا إلى هذه المناسبة اللطيفة، وهو حجة في اللغة وفقه أسرارها.

فإذا نظرنا إلى قول علقمة بن عبدة: "من البسيط"

كأن إبريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

يريد بسبائب الكتاب، فربما لا نجد سرا وراء هذا الاقتطاع أكثر من أن الشاعر يعلم يقينا أن مراده ظاهر جدا؛ لأن ذكر سبائب الكتان في هذا السياق كثير، كلما ذكر الإبريق مشبها بالظبي رأيتهم يذكرون سبائب الكتان، فالحذف أكسب الكلمة خفة، ولم يلبس معناها.

والشاعر يعول على السياق كثيرًا بل إن اللغة في معظم دلالاتها إنما تعتمد على السياق، ألست ترى الشعراء يأتون بالجمل مثبتة، وهم يريدونها منفية ثقة منهم **بفهم السامع**، واعتمادًا على السياق، فامرؤ القيس يقول:". (٢)

١٠٥-"المظهر والمضمر:

لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضمر وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحوله، فألحقوها بهن كما لحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، وألحقوا به أسلوب الحكيم؛ لأنه ضرب من المخالفة.

وقد تابعناهم في ذلك لبنائه على ملاحظات دقيقة في ربط مباحث العلم، وتلاحقها في نظام يجمعها، ثم إننا نكره الاختلال

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٣٤٨/١١

(٢) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ص/١١٧

في تنظيم مسائل العلم ما دام لها وجه، وليس هذا قيدا على الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد النافع هو في مسائل العلم؛ لأنها جوهر.

أما مخالفة مقتضى الظاهر في الإضمار والإظهار، فقد قالوا: الأصل ألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه ليكون المقصود بالكلام واضحا، تقول: لقيت زيدا وأكرمته، فتذكر الضمير في أكرمته؛ لأنه سبقه ما يعود عليه، ولا تقول لقيته هكذا ابتداء؛ لأن ذلك ضرب من التعمية، والإلباس يناقض القصد من اللغة والبيان.

ومع وضوح هذا الأصل تجد صورًا من الأساليب بنيت على خلافه، فيذكر الضمير ليفسر بمتأخر عنه في بعض هذه الصور، أو يذكر منن غير مفسر اعتمادًا على **فهم السامع**، أو وضوح المعنى أو غير ذلك مما نشير إلى بعضها إن شاء الله.

ومن الصور التي يفسر فيها الضمير بمتأخر عنه ما يكون الضمير فيه ضمير الشأن والقصة، والأساليب التي تصاغ على هذا الطريقة حين تصيب مواقعها تجد لها مذاقا حسنا ووقعا جليلا؛ لأن الضمير حين يطرق النفس من غير أن". (١)

١٠٦-"وقد حد الناس البلاغة بحدود إذا حققت كانت كالرسوم والعلائم وليست بالحدود الصحيحة، فمن ذلك قول بعضهم لمحة دالة، وهذا وصف من صفاتها، فأما أن يكون حاصرا لها، وحداً يحيط بها فليس ذلك بممكن لدخول الإشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد. وكذا قال آخر والبلاغة معرفة الفصل من الوصل، لأن الإنسان قد يكون عارفاً بالفصل والوصل، عالما بتمييز مختار الكلام من مطرحه، وليس بينه وبين البلاغة سبب ولا نسب، ولا يمكنه أن يؤلف ما يختاره من تأليف غيره، والحدود لا يحسن فيها التأول، وإقامه المعاذير، وغرابة ألفاظ تدل على المقصود، لأنها مبنية على الكشف الواضح، موضوعة للبيان الظاهر، والغرض بها السلامة من الغامض، فكيف يوقع في غامض بمثله. وكذلك قول الآخر: البلاغة أن تصيب فلا تخطيء، وتسرع فلا تبطيء لأن هذا يصلح لكل الصنائع وليس بمقصور على صناعة البلاغة وحدها ثم إنما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ فجعل جواب السائل نفس سؤاله. وبهذا أيضاً يفسد قول من دعي أن حدها الإيجاز من غير عجز، والاطناب من غير خطل. وقول من قال: البلاغة اختيار الكلام، وتصحيح الأقسام. لأن هذين إنما سئلا عن حد يبين الكلام المرفوض من المختار، والخطأ من الصواب، ويوضح كيف يكون الايجاز مختاراً، ومتى يقع الإطناب مرضيا محموداً، فأحالا على ما السؤال فيه باق، وعدم العلم معه موجود حاصل وفي البلاغة أقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو، وإذا كانت الفصاحة شطرها وأحد جزءيها، فكلامي على المقصود، وهو الفصاحة غير متميز إلا في الموضع الذي يجب بيانه من الفرق بينهما على ما قدمت ذكره، فأما ما سوى ذلك فعام لا يختص، وخليط لا ينقسم. وسأذكر بمشيئة الله ما يخطر لي، ويسنح بفكري في موضعه. وأقول قبل ذلك إن الناس قد أكثروا من الدلالة على شرف الفصاحة، وعظم قدر البيان والبلاغة، ونبهوا بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة. وقد قال عز اسمه " الرحمن علو القرآن خلق الإنسان علمه البيان " ولم يكن تعالى يذكر البيان ها هنا إلا وهو من عظيم النعم على عبيده، وجميل البلاء عندهم، لا جرم وقد قرن ذلك بذكر خلقهم فجعله مضافا إلى المنة بخروجهم من العدم إلى الوجود من جانب النفي إلى الاثبات،

---

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ص/٢٠٧

وأنا أقول قولا مختصرا كافيا: قد ثبت أن الفرق الواضح بين الحيوان الناطق والصامت هو النطق، وبه وقع التمييز في الحد المنسوب إلى الحكيم، وأن كان يفسره أصحابه بغير هذا الظاهر فالشرف منه يؤخذ، والفضل به يقع. ولا خلاف في أن الصمت أفضل من مطرح الكلام ومنبوذه، وأوفق للسامع من كلف ذلك. فقد صار مع هذا التخريج الفصل المميز، والفضل اللائح إنما هو للإفصاح، والبيان والبلاغة، وحسن النطق، دون ما يسمى كلاماً فقط. ووجب على من أراد أن يخرج من حيز ذلك الصامت الناطق سلوك الطريق الذي به توجد الفضيلة، وعنه تدرك الميزة بإجتهاده، إن كان لا دربة له، وتكلفه أن كان لا طبع عنده. وليعلم أن من شارك الناطق بالصورة، وخالفه بالمعنى الموجب للشرف، أسوأ حالاً، وأقبح صفة من الصامت المخالف في الأمرين معا. لأن هذا غريب في الموضع الذي وجد فيه آهلا، ووحيد في المكان الذي خلق به آنساً وما أحسن ما قال إبراهيم بن محمد المعروف بالإمام يكفى من من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق، ولا الناطق من سوء **فهم السامع**. وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة.

وقال سهل بن هرون الكاتب: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم. وأولى من هذا بالحجة قول النبي صلى الله عليه وسلم للعباس وقد سأله فيم الجمال – فقال: في اللسان وقالوا لما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر احتقره لما رأى من دمامته، وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال: أبيت اللعن أن الرجال لا تكال بالقفزان وليست تستقي فيها، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه إن صال صال بجنان، وأن نطق نطق بلسان وأنشدوا لأبي الأعور السلمى:

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وهذان البيتان قد ذكرتهما فيما تقدم حكاية عن أبي طالب العبدي لكن هذا موضعهما.". (١)

١٠٧-"قال: "ما كنت جاهلا" أي ما كنت جاهله، الذي كنت جاهله، حذف العائد وهو الهاء وتقديره في محل جر مضاف إليه؛ لأن جاهل مضاف والهاء مضاف إليه، لوضوحه لأنه جاء "ما كنت جاهلا" أي ما كنت جاهله واضح هذا ولذلك حذف.

وقد يحذف العائد وهو مجرور بحرف الجر كما في قول الله –سبحانه وتعالى-: يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ، أي من الذي تشربون منه، فحذفت الهاء في قولنا "منه".

طبعا هناك قاعدة: أنه إذا حذف المجرور بحرف الجر سقط معه الجار، فلما حذف الضمير المجرور بحرف الجر سقط معه حرف الجر بالتبع؛ لأنه لا يبقى حرف الجر دون مجروره، فحذف إذن العائد وهو مجرور بحرف الجر والتقدير "ويشرب مما تشربون منه".

والشاعر يقول:

---

(١) سر الفصاحة ص/٢١

نصلي للذي صلت قريش *** ونعبده وإن جحد العموم.
"للذي صلت قريش"؛ أي "للذي صلت قريش له" فحذف العائد من جملة الصلة وهي "صلت قريش له" وهو الهاء، وبقي حرف الجر وحده وهو "اللام" ولا يصح أن يقوم حرف الجر وحده فحذف أيضا، فهذا دليل على أن العائد متى دل عليه دليل في الكلام و فهم السامع الكلام دونه، جاز لك أن تحذفه اختصارا سواء كان في محل رفع أو في محل نصب أو في محل جر، وهذا الجر سواء كان بالإضافة أو كان بجر بالحرف.
تقول: تسأل عن اسم ريان هل هو ممنوع من الصرف؟
دائما القاعدة في مثل هذا... طبعا نحن إلى الآن لم نناقش علل المنع من الصرف، لكن دائما البيان لا يؤخر عن وقته.". (١)

١٠٨-"٤- إذا خِيفَ التباس أحدهما بالآخر، ولم تُوجد قرينة تُبَّين الفاعل من المفعول، نحو : ضرب موسى عيسى ، فيجب هنا أن يكون موسى هو الفاعل ، ونحو :
أكرمَ ابني أخِي . وهذا هو مذهب الجمهور ، وذكر ابن الحاج جواز تقديم المفعول في هذه الأمثلة ونحوها ؛ وذلك لأن للعرب غرض في الالتباس كما لهم غرض في التبيين ، والإفهام .
(م) وقد أخطأ ابن الحاج الجادَّة في قوله هذا إذ لا يمكن أن يكون الإلباس من مقاصد البلغاء ؛ لأن من شأن الإلباس أن يُفهم السامع غير ما يريد المتكلم ، ولم توضع اللغة إلا للإفهام . (م)
ويجوز تقديم المفعول ، وتأخِيره إذا وُجدت قرينة تُبين الفاعل من المفعول . وهذا معنى قوله : " وأخِّر المفعول إنْ لَبْسٌ حُذر " وذلك نحو : أكلَ الكُمَّثْرَى موسى . (م) والقرينة نوعان :
أ- معنوية ، نحو : أكل التفاحةَ موسى، ونحو : أرضعتِ الصغرى الكبرى ؛ إذ لا يصحُّ أن يكون الإرضاع قد حصل من الصغرى للكبرى ، كما لا يصحّ أن
يكون موسى مأكولا والتفاحة هي الآكل ؛ ولذلك جاز تقديم المفعول ، وتأخيره .
ب- لفظيَّة ، وهي ثلاثة أنواع :
أ- أن يكون لأحدهما تابع ظاهر الإعراب ، نحو: ضربَ موسى العاقلُ عيسى، فإنّ (العاقل) نعت لموسى ، فإذا رُفع كان موسى فاعلاً ، وإذا نُصب كان موسى مفعولاً مقدماً .
ب- أن يتصل بالمتقدَّم منهما ضمير يعود على المتأخر ، نحو : ضرب غلامَه موسى ، فهنا يتعيّن أن يكون (غلامه) مفعولا ؛ إذ لو جعلته فاعلا ، وموسى
مفعولا لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة وهذا لا يجوز ، بخلاف ما لو جعلته مفعولا فإنَّ الضمير حينئذ يعود على متأخر لفظاً متقدم رتبة وهذا جائز ، فيجوز أن تقول : ضرب موسى غلامَه .

(١) شرح (قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام ص/١٦

ج- أن يكون أحدهما مؤنثا ، وقد اتصلت بالفعل علامة التأنيث ، نحو : أكرمتْ موسى سلمى ، وهنا يجوز تقديم المفعول ، وتأخيره . (م)

تأخير الفاعل ، أو المفعول وجوبا". (١)

١٠٩-"وتقع بين مفردين؛ متوسطًا بينهما ما لا يسأل عنه؛ نحو: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمُ السَّمَاءُ﴾١.
أو متأخراً عنهما؛ نحو: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾٢. وبين فعليتين؛ كقوله:
فقلت أهي سرت أم عادني حلم٣

بأحدهما في تأدية المعنى المطلوب؛ لأن التسوية وطلب التعيين لا يكونان إلا بين متعدد، وتسمى كذلك:"أم" المعادلة، لمعادلتها الهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول، وإفادة الاستفهام في النوع الثاني.
وتخالف همزة التسوية، الهمزة التي يطلب بها التعيين في أن الأولى لا تستلزم جوابًا؛ لأن الكلام معها خبر قابل للصدق والكذب. أما الثانية، فتتطلب جوابًا بتعيين أحد الشيئين؛ لأنها لم تنسلخ عن الاستفهام.
١ الاستفهام هنا توبيخي، والسؤال عن المبتدأ وهو "أنتم"، والمعادل "السماءِ" المعطوفة على أنتم، وهما مفردان، وقد توسط بينهما غير المسئول عنه؛ وهو ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ الواقع خبرًا تقديرًا عن المتعاطفين. من الآية ٢٧ من سورة النازعات.
٢ المسئول في هذه الآية عن الخبر وهو قريب وبعيد، والمسئول عنه متأخر، وهو ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾؛ وذلك لأن شرط الهمزة المعادلة لأم أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما، ويلي "أم" المعادل الآخر؛ **ليفهم السامع** من أول الأمر ما يطلب تعيينه، ويرى سيبويه: أن إيلاء المسئول عنه الهمزة أولى لا واجب. وإذا عادلت "أم" بين مثبت ومنفي فالغالب أن يلي المثبت الهمزة والمنفي أم.
٣ عجز بيت من البسيط لزياد بن حمل؛ وقيل: لزياد بن منقذ العدوي، من كلمة يحن فيها إلى وطنه، وصدره:
فقمت للطيف مرتاعًا فأرقني
وقبله:
زارت رقية شعثاً بعد ما هجعوا لدى نواحل في أرساغها الخدم
اللغة والإعراب: الطيف: المراد به خيال المحبوبة الذي يراه في النوم. مرتاعًا: خائفًا؛
٢٠٠ ٣٠٨". (٢)

---

(١) شرح ألفية ابن مالك ص/٤٨
(٢) ضياء السالك إلى أوضح المسالك ٣/٢١٠

١١٠-"٢- دلالة اللفظ على بعض مسماه، وتسمى: "دلالة التضمن، كدلالة البيت على السقف أو الحائط.
٣- دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الإنسان على كونه متحركا أو شاغلا لجهة، أو نحو ذلك، وشرطه اللزوم الذهني١ "سواء أصاحبه لزوم خارجي، أم لا" بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصول فيه إما على الفور، أو بعد التأمل في القرائن والأمارات، لكن لا يشترط أن يكون اللزوم مما يثبته العقل٢، بل يكفي أن يكون لعرف عام٣، أو عرف خاص٤، كاصطلاحات أرباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية.

والدلالة الأولى تسمى عند البيانيين وضعية، ويستحيل تفاوتها وضوحا وخفاء؛ لأن السامع لشيء من الألفاظ الموضوعية، إما أن يكون عالما بالوضع للمسمى أولا، فإن كان الأول فإنه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان، وإن كان الثاني فإنه لا يعرف منه شيئا أصلا.

والثانية والثالثة تسميان: عقليتين؛ لأن دلالة اللفظ على الجزء، واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم حصول الجزء، ووجود الملزوم مستلزم وجود اللازم، ويتأتى فيهما الاختلاف وضوحا وخفاء، إذ اللوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق إلى الذهن فهمه بسرعة، وبعضها بعيد، فيصح اختلاف الطرق فيها، ويكون بعضها أكمل من بعض في الإفادة.

وكذا يجوز أن يكون المعنى جزءا من شيء وجزءا من شيء آخر، فدلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى، أوضح دلالة من الشيء الذي ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى.

---

١ أي: إنه لا يشترط باللزوم الخارجي أيضا، ألا ترى أن العمى يدل على البصر التزاما إذ هو عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا مع التنافي بينهما في الخارج.

٢ وهو اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين وإلا لما تأتى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام ولخرج كثير من المعاني المجازية والكنائية؛ لأنه ليس بينها وبين ملزوماتها مثل هذا اللزوم.

٣ كلقاء الحبيب بالنسبة لاختلاج العين. إذ كثير من الناس يعتقد أن اختلاج العين يبشر بلقاء الحبيب، فإذا قلت لواحد: من هؤلاء عيني تختلج. فهم من ذلك أنك ستلقى حبيبا.

٤ كما إذا قلت: هذا قدوم، على فهم السامع أنه نجار.". (١)

١١١-"قال ابن فارس×: =قال _ جل ثناؤه _ [خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)] الرحمن.
فقدم _ جل ثناؤه _ ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه من شمس، وقمر، ونجم، وشجر، وغير ذلك من الخلائق المحكمة، والنشايا المتقنة؛ فلما خص _جل ثناؤه_ اللسان العربي بالبيان عُلِم أن سائرَ اللغاتِ قاصرةٌ عنه، وواقفةٌ

---

(١) علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع" /

دونه؛ فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي؛ لأن كل من أفهم بكلام على شرط لغته فقد بين ــ قيل له:إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعْرِبُ عن نفسه حتى **يفهم السامع** مراده فهذا أخس مراتب البيان؛ لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمى متكلماً فضلاً عن أن يسمى بيّنا أو بليغاً.

وإن أردت أن سائر اللغات تُبِين إبانة اللغة العربية فهذا غلط؛ لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة+(١).

وقال الثعالبي ×: =من أحب الله أحب رسوله المصطفى"ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب+(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ×: =فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين ــ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين+(٣).

ويقول ــأيضاًــ: =إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) ــ الصاحبي ١٩.

(٢) ــ فقه اللغة وسر العربية ص٥.

(٣) ــ اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ص١٦٢.". [1]

١١٢-" ومن ذلك قول المتنبي

٦٣ - (أحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي)

فإن قدرتها فيه متصلة فالمعنى أنه استطال الليلة فشك أواحدة هي أم ست اجتمعت في واحدة فطلب التعيين وهذا من تجاهل العارف كقوله

٦٤ - (أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف)

وعلى هذا فيكون قد حذف الهمزة قبل أحاد ويكون تقديم الخبر وهو أحاد على المبتدأ وهو لييلتنا تقديما واجبا لكونه المقصود بالاستفهام مع سداس إذ شرط الهمزة المعادلة لأم أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما ويلي أم المعادل الآخر **ليفهم السامع** من أول الأمر الشيء المطلوب تعيينه تقول إذا استفهمت عن تعيين المبتدأ أزيد قائم أم عمرو وإن شئت أزيد أم عمرو قائم وإذا استفهمت عن تعيين الخبر أقائم زيد أم قاعد وإن شئت أقائم أم قاعد زيد وإن قدرتها منقطعة فالمعنى أنه أخبر عن ليلته بأنها ليلة واحدة ثم نظر إلى طولها فشك فجزم بأنها ست في ليلة فأضرب أو شك هل

---

(١) فقه اللغة ١/٤

هي ست في ليلة أم لا فأضرب واستفهم وعلى هذا فلا همزة مقدرة ويكون تقديم أحاد ليس على الوجوب إذ الكلام خبر وأظهر الوجهين الاتصال لسلامته من الاحتياج إلى تقدير مبتدأ يكون سداس خبرا عنه في وجه الانقطاع كما لزم عند الجمهور في إنها لإبل أم شاء ومن الاعتراض بجملة أم هي سداس بين الخبر وهو أحاد والمبتدأ وهو ليلتنا ومن الإخبار عن الليلة الواحدة بأنها ليلة فإن ذلك معلوم لا فائدة فيه ولك أن تعارض الأول بأنه يلزم في الاتصال حذف همزة الاستفهام ". (١)

١١٣-"وذكرت أيضا للاختصار والتطويل مقامات قد أرشدت بها على مناسباتها فما صادف من ذلك موقعه جد وإلا ذم وسمي الإيجاز إذ ذاك عيا وتقصيرا والإطناب إكثارا وتطويلا، والعلم في الإيجاز قوله علت كلمته " في القصاص حياة " وإصابته المحز بفضله على ما كان عند أوجز كلام في هذا المعنى وذلك قولهم القتل أنفى للقتل، ومن الإيجاز قوله تعالى " هدى للمتقين " ذهابا على أن المعنى هدى للضالين الصائرين على التقوى بعد الضلال لما أن الهدى أي الهداية إنما تكون للضال لا للمهتدي ووجه حسنه قصد المجاز المستفيض نوعه وهو وصف الشيء بما يئول إليه والتوصل به على تصدير أولى الزهراوين بذكر أولياء الله وقولهم فغشيهم من اليم ما غشيهم أظهر من أن يخفى حاله في الوجازة نظرا على ما ناب عنه وكذا قوله " ولا ينبئك مثل خبير " وانظر على الفاء التي تسمى فاء فصيحة في قوله تعالى " فتوبوا على بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم " كيف أفادت فامتثلتم فتاب عليكم " وفي قوله " فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت " مفيدة فضرب فانفجرت وتأمل قوله " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى " أليس يفيد فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى وقدر صاحب الكشاف رحمه الله قوله " ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله " نظرا على الواو في وقالا، ولقد أتينا داود وسليمان علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله، ويحتمل عندي أنه أخبر تعالى عما صنع بهما وأخبر عما قالا كأنه قال نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد تفويضا استفادة ترتب الحمد على إيتاء العلم على فهم السامع مثله في فم يدعوك بدل قم فإنه يدعوك وإنه فن من البلاغة لطيف المسلك ومن أمثلة الاختصار قوله تعالى " فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا " بطي أبحت لكم الغنائم لدلالة فاء التسبيب في فكلوا، وقوله " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم " بطي إن افتخرتم يقتلهم فلم تقتلوهم أنتم فعدوا عن الافتخار لدلالة الفاء في فلم وكذا قوله " فإنما هر زجرة واحدة فإذا هم ينظرون " إذ المعنى إذا كان ذلك فما هي إلا زجرة واحدة وكذا قوله " فالله هو الولي " تقديره إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق ولا ولي سواه " وكذا قوله " يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون " أصله فإن لم يتأت أن تخلصوا العبادة لي في أرض فإياي في غيرها اعبدوا فاعبدون أي فأخلصوها لي في غيرها فحذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إرادة الاختصاص بالتقديم وقوله "كلا فاذهبا بآياتنا " أي ارتدع عن خوف قتلهم فاذهبا أي فاذهب أنت وأخوك لدلالة كلا على المطوي، وقوله إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم " أصله إذ يلقون أقلامهم ينظرون ليعلموا أيهم يكفل مريم لدلالة أيهم على ذلك بوساطة علم النحو وقوله " ليحق الحق ويبطل الباطل المراد

---

(١) مغني اللبيب ص/٦٩

ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل " وكذا قوله " ولنجعله آية للناس " أصل الكلام ولنجعله آية للناس فعلنا ما فعلنا وكذا قوله " ليدخل الله في رحمته " أي لأجل الإدخال في الرحمة كان الكف ومنع التعذيب وقوله " إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا " إذا لم يفسر الحمل بمنع الأمانة والغدر، وأريد التفسير الثاني وهم تحمل التكليف كان أصل الكلام وحملها الإنسان ثم خان به منبها عليه بقوله " إنه كان ظلوما جهولا " الذي هو توبيخ للإنسان على ما هو عليه من الظلم والجهل في الغالب وقوله " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا " تتمته ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذفت لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات " أو تتمته كمن هداه الله فحذفت لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء " وقول العرب جاء بعد اللتيا والتي بترك صلة الموصول إيثارا للإيجاز تنبيها على أن المشار إليها باللتيا والتي وهي المحنة والشدائد بلغت من شدتها وفظاعة شأنها مبلغا يبهت الواصف معها حتى لا يحير ببنت شفة، ومن الإيجاز قوله عز قائلاً " قل أتنبئونا الله بما لا يعلم " أي بما لا ثبوت له ولا علم الله متعلق به نفيا للملزوم وهو المنبأ به بنفي لازمه وهو وجوب كونه معلوما للعالم الذات لو كان له ثبوت بأي اعتبار كان وقوله " إن الذين كفروا بعد إيمانهم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم "". (١)

١١٤-"وإن كان مراده الهمزة بلا ألف فلها صورة وهي رأس العين.

ولا يمكن أن يكون مراده الهمزة وحدها ثم الهمزة والألف معاً، ولا أن يكون مراده الألف وحدها، ثم الألف والهمزة،، بل أراد الهمزة العلامة فقط، لأنه قال:ولا صورة لها ، ولم يقل: لهما ،، ولأنه ذكر النائب عن الألف وهو الواو والياأُ، فتعين أن مراده الهمزة العلامة، فكان الخلل عنده في مبدإ الهُوِيَّة، لأنه جعل الألف المهموزة موضوعاً للحكم، ثم لما أراد حمل الحكم على الموضوع نقص من هوية الموضوع، فجعله للهمزة العلامة بلا ألف(١)!!.

وثالثتهن: الصواب أن يقول ابن كيسان عن الهمزة العلامة: ولا صورة لها مستقلة عن الألف في تركيب الكلام لغير التعليم في الرسم الإملائي ، فيخرج بذلك وجود صورتها في مثل سأل ، لأنها غير مستقلة، بل مقيدة بأنها على الألف، ويخرج مثل قولك في التعليم: صورة الهمزة رأس عين هكذا ء ، لأنها لم ترسم مستقلة في تركيب الكلام إلا لمجرد التعليم للرسم، وللتعريف بالحروف والعلامات(٢).

الوقفة الثالثة عشرة: قد يتحذلق متحذلق فيقول: مراد ابن كيسان بما لا صورة له الألف الحرف لا الهمزة العلامة!!.

---

(١) ٣٣) قال أبو عبد الرحمن: هذا النقاش العلمي المحقق يُظهر فائدة وضرورة الهوية والمحمول والموضوع، وكل ذلك من مباحث المنطق ونظرية المعرفة، وقد أطلق بعضهم الذم للمنطق والفلسفة بلا تحقيق ولا تدقيق،.

(٢) ٣٤) القيد الذي يُدخل أو يُخرج من مباحث الحد والتعريف المنطقية، وهي من مباحث المنطق الضرورية لتحديد التصور بين المرسِل والمتلقي،، وكبار العلماإ يكون بعض عباراتهم مبهماً أو مبتوراً، لانشغالهم بالنتائج، ولسبق الفكر للسان

---

(١) مفتاح العلوم ص/١٢٣

فيوجزون، وللاتكال على فهم السامع بمقتضى سياقهم، فلابد من قارئٍ لماح، فقد بلينا وأتخمنا بأكثر من قارئٍ سطحي، وهو أيضاً، إمّعة لأكثر من قارئٍ سطحي.". (١)

١١٥-"الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه. وحق الجمل إذا ذكر بعضها بعد بعض أن تذكر بدون عطف لأن كل جملة كلام مستقل بالفائدة إلا أن أسلوب الكلام العربي غلب فيه أن يكون متصلا بعضه ببعض بمعمولية العوامل والأدوات أو بالإتباع أو بالعطف(١)

---

(١) فإن الكلمات المجتمعة إنما يجمعها معنى عامل نحو كتب زيد الكتاب وكسوت زيدا جبة وأخبرتك زيدا قائما وكذلك بالأدوات نحو مررت بزيد، فإن انتهت قوة العامل أي أخذ من المعمولات ما يقتضيه معناه توصل إلى غير ذلك بالإتباع من نعت أو بيان أو بدل وهذه التوابع هي في الحقيقة عين المتبوع في المعنى أما طريق توصل العوامل لما هو أجنبي عن معمولاتها فذلك منحصر في طريق عطف النسق فإنك إذا أردت أن تعدي كسا مثلا لأكثر من مفعولين لم تجد مسلكا لذلك إلا العطف فتقول كسوتك جبة وبرنسا وقميصا فلا جرم كان عطف النسق هو الذي يجمع الكلمات الأجنبي بعضها عن بعض في لمعنى والبعيد بعضها عن أن يصل إليه عمل العامل. ومثل ما قيل في المفردات يقال في الجمل بل الجمل للعطف أحوج لأن أكثرها أجنبي بعضه عن بعض إذ الأصل في الجمل الاستقلال ولذلك لقب عطفها بالوصل لأن له مزيد أثر في الربط لشدة تباعد الجملتين. ثم أعلم أن مسائل الفصل والوصل الغرض منها معرفة أساليب العرب في ربط جمل الكلام حتى يجيء المتكلم بكلام لا يوقع فهم السامع في لبس. ولذلك ملن حق مسائل هذا الباب أن تكون أعلق بعلم النحو إذ ليس فيها ما يفيد خصوصيات بلاغية غير أن الذي دعا علماء البلاغة إلى ذكرها في هذا الفن أمور ثلاثة: أحدها أن النحاة تكلموا على أحكام العطف ولم يتكلموا على أحكام ترك العطف. ثانيها أنهم تركوا كثيرا من مسائل المناسبات. ثالثها أنه لما كان العطف وتركه قد يلاحظ فيهما أمور ادعائية في الشعر والخطابة ناسب أن يذكر مع خصوصيات علم المعاني..". (٢)

١١٦-"ومثال ما نزع منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ودليلُه حاليٌّ قوله تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجلَ ﴾ (١) والتقدير: حُبَّ العجل(٢) ، " لأن الماء لا يقال منه : أشرب فلانٌ في قلبه ، وإنما يقال ذلك في حب الشيء ، فيقال منه :أُشرب قلبُ فلانٍ حُبَّ كذا... ولكنه ترك ذكر (الحب) اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام ، إذ كان معلوماً أن العجل لا يُشرِبُ القلبَ، وأنَّ الذي يُشرِبُ القلبَ منه حبُّه "(٣) .

فتقدير المضاف في الآية دلَّ عليه النظر في المعنى وهو من دلالة الحال على المحذوف ، يقول ابن جني : " وربما حذفت المضاف بعد المضاف مكرراً ،أنساً بالحال ودلالة على موضوع الكلام كقوله عز وجل : ﴿ فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول

---

(١) مقالات لغوية لابن عقيل ص/٣٥

(٢) موجز البلاغة ص/٢٨

﴾ (٤) ، أي : من أثر حافر فرس الرسول "(٥).

٢- أمن اللبس :

اللبس أن يُفهم غير المراد ، أو أن يفهم المراد وغيره لا بقصد الإيهام(٦) ، واللبس محذورٌ في كل تصرفٍ من القول أحذفاً كان أم زيادةً ، أم تقديماً أم تأخيراً لأنه منافٍ للإبانة التي هي المقصد من الكلام .

وأمن اللبس في نزع الخافض مرهونٌ بإقامة الدليل على المحذوف ، وتعيُّن المحذوف عند تعدد الاحتمالات ، فلو قام الدليل على أنَّ ثمة حذفاً ، وبقيت الاحتمالات في تقديره تتجاذبه ، كان نزع الخافض عندئذٍ محذوراً.

---

(١) البقرة : ٩٣ .

(٢) ما قرره الطبري في تفسير الآية هو قول قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس .

(٣) جامع البيان : ٣٥٩/٢ .

(٤) طه : ٩٦ .

(٥) المحتسب : ٢٩٠/١ .

(٦) ينظر : حاشية ياسين على شرح التصريح : ١٤٨/١، ٢٨١ .". [١]

١١٧-"لذلك كان تقدير المضاف في قوله تعالى : ﴿كذلك يبيّنُ اللهُ لكم أنْ تَضلوا ﴾ (١) أي كراهية أن تضلوا أولى من تقدير حرف الجر ولا النافية أي : لئلا ، كما تقدم(٢) .

وأظهر ما يتصور تقليل مقدار المقدر في مباحث نزع الخافض في مبحث نزع المضاف ، فإذا دلَّ الدليلُ على تقدير مضاف كان أولى من تقدير مضافين من غيرِ حاجةٍ لتقديرهما ، وهكذا إذا اكتفي بتقدير مضافين فهو أولى من تقدير ثلاثة مضافات .

مثال ما كان فيه تقدير مضاف واحدٍ أولى من تقدير مضافين ، قوله تعالى : ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجلَ ﴾ (٣) لما كان العجل لا يُشرب ، اكتفى الأكثرون بتقدير مضاف ، أي : حُبَّ العجل(٤) لأن الذي يُشرِبُ القلبَ المحبةُ " لكنه تَرك ذكر الحب اكتفاء **بفهم السامع** لمعنى الكلام إذ كان معلوماً أن العجل لا يُشرِبُ القلبَ ، وأن الذي يُشرِبُ القلبَ منه حبُّه"(٥).

وقدَّر بعضهم مضافين ، أي : حُبَّ عبادة العجل(٦) ، فنزع الأول (حب) وأقيم الثاني (عبادة) مقامهُ ثم نزع الثاني وأقيم (العجل) مقامه ، على التدريج في نيابة المضافات بعضها عن بعض .

---

(١) النساء: ١٧٦ .

---

(١) نزع الخافض في الدرس النحوي ص/٢٨

(٢) ينظر : ٣٤ .

(٣) البقرة : ٩٣ .

(٤) ينظر: جامع البيان : ٣٥٩/٢ ، وإعراب القرآن : ٢٤٨/١ ، والبيان : ١٠٩/١ ، والتبيان : ٩٣/١ ، وتفسير القرآن العظيم : ٢٩١/١ ، ومغني اللبيب : ٨٠٢ .

(٥) جامع البيان : ٣٥٩/٢ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ٤٩٥/١.". [(١)]

١١٨-"فهذان الموضعان بمسائلهما يقاس عليهما نزعُ المضاف مع إبقاء المضاف إليه مجروراً ، وقد جاء مسموعاً بقاءُ المضاف إليه مجروراً في مواضعَ لا تجري عليها الضوابط السابقة ، فلم يُسبَق للمضاف المحذوف فيها ذكرٌ ، وليس معطوفاً ولا بدلاً ، وذلك ثقةً بفهم السامع في تعيين المحذوف ، ولقرينةِ عدم صلاحية العامل لمباشرة المجرور بعد نزع المضاف ، ومنه حديث (يكفيك الوجهِ والكفين)(١) أي: مسحُ الوجهِ والكفين ، وقول الراجز(٢) :

هذا لعمرُ اللهِ إسرائينا ... قالت – وكنت رجلاً فطيناً –

أي : مسخُ بني إسرائينا ، فنزع المضاف الأول ثم الثاني مع إبقاء المضاف إليه (إسرائين) مجروراً .

مواضع يُردُّ القولُ فيها بنزع المضاف وإبقاء المضاف إليه مجروراً

صورة العطف على ضمير الجر من غير إعادة الجار ، والجار للضمير اسمٌ نحو : ما فيها غيرُه وفرسِه ، وقد تقدمت بعضُ أمثلته وبيانُ وجه عدم الحاجة إلى تقدير مضاف(٣) .

مجيء ضمير الجر بعد لولا الامتناعية في نحو : لولاي ، ولولاك ، ولولاه . ومذهب المبرد منْعُ ثبوت ذلك ، وهو محجوجٌ بالشواهد التي ورد فيها هذا الاستعمالُ من ذلك قول الشاعر(٤) :

بأجرامه مِنْ قنَّة النِيقِ مِنهوي ... وكم موطنٍ لولاي طحتُ كما هوى

---

(١) سبق تخريجه : ٢٢.

(٢) البيت بلا نسبة في : المعاني الكبير : ٦٤٦/٢ ، وسمط الآلي : ٦٨١/٢ ، وتخليص الشواهد : ٤٥٦ ، وشرح ابن عقيل : ٣٥٣/١ ، وشرح التصريح : ٢٦٤/١ ، والدرر : ٢٧٢ . وثمة توجيهٌ آخرُ للبيت وهو أن يكون من باب إجراء القول مُجرى الظن فنصب مفعولين (هذا) و (اسرائينا) .

(٣) ينظر : ٣١٣-٣١٤ .

(٤) البيت ليزيد بن الحكم الثقفي في : كتاب سيبويه : ٣٧٤/٢ ، والأغاني : ٤٧٩/٦ ، وأمالي القالي : ٦٨/١ ، وسر صناعة الإعراب : ٣٩٥/١ ، وشرح المفصل : ١١٨/٣ ، وخزانة الأدب : ١٢٦/٣ ، ٣٢٩/٥ ، والدرر : ١٧٥/٤ وبلا

---

(١) نزع الخافض في الدرس النحوي ص/٦٢

نسبة في : الإنصاف : ٢/١٩٩ ، ورصف المباني : ٢٩٥ ، وجواهر الأدب : ٣٩٧ .". [١]

١١٩-"نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة

الطبقة الرابعة

البصرة فلان يقرأ الكتاب فلا **يفهم السامع** سوى كتاب سيبويه، بل سموه إكبارا له "قرآن النحو"، وهكذا كان الكتاب أعجوبة الدهر الخالدة فإنه منذ ألف استفرغ عناية العلماء به في الطواف حوله، فمن شارح له ومن شارح لشواهده ومن منتقد له واتخذوا حينا وضع كتاب جديد بعده، ولهذا كان يقول المازني: "ومن أراد أن يصنف كتابا واسعا في النحو بعد سيبويه فليستحي".

لم يقف العلماء فيه على عثرات شأن المؤلفات الضافية "لا في أسلوبه ولا في القواعد المسطورة" فيه، مع أن الكتاب باكورة في النحو، ومع كثرة الناظرين فيه، وحسبه في أسلوبه أن يتلقف ابن الطراوة غلطة واحدة فيه، ثم لم تسلم له مع هذا إلا تلك: هي أن سيبويه في الجزء الأول باب "ما تجري عليه صفة ما كان من سببه وصفة ما التبس به، إلخ" أجاب بكلمة نعم عن استفهام تقريري داخل على النفي مرتين إذ يقول: "قيل له: ألست تعلم أن الصفة. فإنه لا يجد بدا من أن يقول نعم. أفلست تجعل هذا العمل. فإنه قائل: نعم"١. والمعروف في "نعم" أنها جواب لما بعد الاستفهام، وهو خلاف المراد على ما هو واضح.

ودفع هذا التعقب ابن هشام في المغني مبحث "نعم" فقال: "وزعم ابن الطراوة أن ذلك لحن. ويجوز عند أمن اللبس أن يجاب النفي بما يجاب به الإيجاب رعيا لمعناه. وعلى ذلك قول الأنصار -رضي الله عنهم- للنبي -صلى الله عليه وسلم- وقد قال: "ألستم ترون لهم ذلك قالوا: نعم" وعلى ذلك جرى كلام سيبويه، والمخطئ مخطئ".

ويكفيه في قواعده أن الزجاج لم يعثر إلا على غلطتين فيها: إحداهما اعتباره بناء "أي" الموصولة على الضم مع الإضافة وحذف صدر الصلة، قال ابن هشام في المغني مبحث "أي": "قال الزجاج: ما تبين لي أن سيبويه

---

١ جـ١ ص٢٢٧.

٨٣ ٢٤٨". [٢]

---

(١) نزع الخافض في الدرس النحوي ص/٤٩١

(٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي /

١٢٠-"هل هي في هذا كالأفعال أولاً، ومنها أن المتعلقات التي يسميها النحويون المعمول فيها: من ظروف وأحوال وتمييزات ومفعولات من أجلها ومفعولات مطلقة ومفعولات معها، هل مجراها مجرى المفعولات بها ومجرى الفاعلين والمجرورات أولاً، فأما الأفعال التي تقتضي ثلاثة مفعولين فلا لما قدمناه، وأما الأفعال التي لا تتصرف كفعل التعجب فنعم، تقول (ما أحسن وأعلم زيداً) تُعَلِّق زيداً بأعلم، وتقول (ما أحسن وأعلمه زيداً) على التعليق بالأول، لا مُعْتَرَض فيه إلا الفصل بين أحسن والمتعلِّق به، وليس فعلاً، وان جعله بعض النحويين فعلاً. فإن قيل إنه لا يتصرف تصرف غيره من الأفعال في متعلقاته، قيل: القياس على غيره من الأفعال المقتضية مفعولاً واحداً سائغٌ لقرب مأخذه، وسبقه إلى **فهم السامع**. وأما حبَّذا ونعم وبئس

وعسى، فلا تدخل في هذا الباب، لأن المتعلقات بها لا تضمر على حد الإضمار في هذا الباب، ولا يحال بينها وبينها. وما كان وأخواتها فإنَّ كان منها تجري مجرى الأفعال المقتضية مفعولاً، تقول (كنت وكان زيداً قائماً) و (كنت وكان هو زيداً قائماً) فقائماً خبر كنت، فقال الفرزدق:

إني ضمنت لمن أتاني ماجَنَى ... وأَبَى فكان وكنتُ غير غَدورِ". (١)

١٢١-"وقولها (هلِ) أرادت: هل يُحسن إليّ بتفريق ما بيني وبينه. وقولها: (إن كنت من هذا مُنجي أحبلي) أي بقطع ما بيني وبينه من الوُصلة وعقد التزويج.

والأحبل: جمع حبل وهوما بينهما من العقد، و (منجي) خبر (كنت) ولكنه أسكن الياء من أجل الشعر.

وقوله: إمّا بتطليقٍ: إما أن يطلق طلاقاً بيناً صريحاً، وإما أن يقول ارحلي، ويريد به الطلاق. تمنت أن تبين عنه بصريح الطلاق أو الكناية عن الطلاق. وقوله: ارحلي وهو يريد الطلاق مثل قولهم: الحقي بأهلك واغرُبي وما أشبه ذلك.

وحذف المستفهم عنه بـ (هل) اعتماداً على **فهم السامع** ما يعني، وحذف جواب الشرط وهو: (إنْ كنتَ) كأنه: إن كنت منجياً لي من هذا الرجل حَييتُ أو عشتُ أو تخلصت وما أشبه ذلك. وشبهت الصَّفن وهو جلد الخصية بجراب، وشبهت الخصيتين بحنظلين في جراب، والحنظل اسم للجنس، الواحدة حنظلة، وأضاف ثنتا إلى الحنظل وهو واقع على جميع الجنس كأنه قال: ثنتان من الحنظل، وفي معنى (حنظلتان) وهومثل ما قدمنا تبيانه.

جمع (فعَل) على (أفعُل) على غير القياس

قال سيبويه: (وربما كسروا (فعَل) على (أفعُل) كما كسّروا (فعَل) على أفعال،

وذلك قولهم: زمن وأزمن). قال ذو الرمة:

(أمنزِلتيْ ميٍّ سلامُ عليكما ... هل الأزمُنُ اللائي مضَيْنَ رواجِعُ)". (٢)

---

(١) الرد على النحاة ص/٩١

(٢) شرح أبيات سيبويه ٢/٣١٣

١٢٢-"تكملة الباب في نوع آخر من الحذف

كرموز المحدِّثين في (الصحيحين) و (الجامع الصغير) (١) وغير ذلك من الشراح والحواشى، التي بعضها يُشبه النحت.

* [رموز الكتَّاب إلى أسماء الشيوخ وألقابهم]

لَمَّا كان الخط نائبًا عن اللفظ –وهو قد يُحذف منه بعض الكلمة، اتّكالاً على **فهم السامع** أو تفهيم الموقف أي: المعلم، وقد ينحتون من الكلمتين كلمة، كالحَسْبَلة والحَوْلَقَة (لا الحَوْقَلة) والحَيْعَلَة والبَسْمَلَة والحَمْدَلَة ونحوها- فكذلك للكُتَّاب رموز تُشبه ذلك؛ كأن يُؤخذ من اسم الشيخ أول حرف، ومن لقبه أو بلده حرف آخر؛ كما يرمزون بالميم والراء للإمام الشيخ محمَّد الرَّمْلى (٢). و (ع ش) للشيخ على الشمَّبْرامَلِّسِى (٣). (ح ل) الحَلَبِى (٤). (ق ل) القَلْيوبى (٥). (سم) ابن

(١) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي- راجع ترجمته ص ٣١.

(٢) محمَّد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملى. فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى. يقال له الشافعى الصغير. مولده سنة ٩١٩ هـ بالقاهرة. ونسبته إلى الرملة من قرى المنوفية بمصر. ولى إفتاء الشافعية. وجمع فتاوى أبيه، وصنف شروحًا وحواشى كثيرة، منها "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" في الفقه الشافعى. وله فتاوى شمس الدين الرملى. توفي بالقاهرة سنة ١٠٠٤هـ (ترجمته ني خلاصة الأثر جـ٣ ص ٣٤٢، الأعلام جـ٦ ص ٧) وهو غير خير الدين الرملى الآتية ترجمته ص ٤١٦.

(٣) تقدمت ترجمته ص (٥٧).

(٤) ذكر عمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) عددًا ممن لُقّب بالحلبى. ولم يتبين لي هنا على وجه التحديد من هو الحلبى الذي يرمز له بالرمز المذكور.

(٥) هو أحمد بن عيسى بن رضوان، أبو العباس كمال الدين العسقلانى الأصل، المعروف بابن العسقلانى وبالقليوبى. فقيه شافعى. ولد بمصر سنة ٦٢٨ هـ، وتولى قضاء المحلة زمنًا طويلاً، وتوفى بها سنة ٦٨٩ هـ. ومن مؤلفاته "نهج الوصول في علم الأصول" و"المقدمة الأحمدية في علم العربية" وغير ذلك (له ترجمة في المقفّى الكبير للمقريزى جـ١ ص ٥٥٣ والوافى بالوفيات للصفدى جـ٧ ص ٢٧٤)." [١]

"وقد ورد الاستعمالان في نشرة إخبارية واحدة "أخبار التاسعة في التليفزيون ٢/ ١/ ٩١" وفي خبر يتعلق بالدكتور عصمت عبد المجيد. فقد جاء الخبر مرة: "عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية"، وجاء مرة أخرى "عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية".

وإذا كنا نعتمد على معلومات سابقة لفهم العبارة التي تستخدام الواو في مثل: "عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء

(١) المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية ص/٣٩٦

ووزير الخارجية" دون أن نتساءل أهما شخصان: نائب رئيس الوزراء، ووزير الخارجية؟ أم هما شخص واحد يتولى منصبين؟

فإن هناك عبارات أخرى قد توقع في لبس من مثل:

قام سمو ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء بافتتاح ...

وقد حضر الاجتماع نائب رئيس الوزراء العراقي ووزير الخارجية....

شارك في الندوة وزراء الخارجية والاقتصاد والداخلية ... ووكيل وزارة الخارجية ومدير مكتب الرئيس للشئون السياسية١.

ولهذا فمن الأفضل –لرفع هذا اللبس– أن نحذف الواو، وأن نسرد الوظائف بالتتابع حتى **يفهم السامع** أو القارئ أنها لشخص واحد أو أكثر.

---

١ فما بالك لو ضيع الخبر هكذا: وقد اشترك في استقبال الضيف وزراء الداخلية والدفاع والعمل والتعليم والبحث العلمي.

"كانت الوزارتان الأخيرتان منفصلتين إلى أن اختير أحمد فتحي سرور رئيسًا لمجلس الشعب فضمت الوزارتان لوزير واحد هو عادل عز.." (١)

"والثالث: رجوع الضمير إلى معلوم قام قوّة العلم به، وارتفاع اللّبس فيه بدليل لفظيّ أو معنويّ مقام تقدّم الذّكر له، فأضمروه اختصارا أو ثقة (١) **بفهم السامع**، كقوله: ﴿حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ﴾ أضمر الشمس لدلالة ذكر ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ عليها، من حيث [كان (٢)] ابتداء العشيّ بعد زوال الشّمس، ومثله: ﴿إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٣) أضمر القرآن، لأن ذكر الإنزال دلّ عليه، ومثله: ﴿فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ (٤) و ﴿كَلاّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ﴾ (٥) أضمر النفس لدلالة ذكر ﴿الْحُلْقُومَ﴾ و ﴿التَّراقِيَ﴾ عليها، ومثله قول حاتم (٦):

أماويّ ما يغنى الثّراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصّدر

أراد حشرجت النفس: أى تردّدت، ومثله إضمار الأرض لقوّة الدلالة عليها فى قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ﴾ (٧) و ﴿ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ﴾ (٨) ومنه قول الحطيئة (٩):

ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند ... وقد سرن خمسا واتلأبّ بنا نجد

أراد هجع أصحابى، فأضمرهم وأضمر المطايا فى سرن، والبيت أول القصيدة، ومنه فى شعر المحدثين قول دعبل (١٠):

---

(١) فى هـ «وثقة».

(٢) زيادة من هـ.

(٣) مفتتح سورة القدر.

(٤) سورة الواقعة ٨٣.

(٥) سورة القيامة ٢٦.

---

(١) أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين؟ أحمد مختار عمر ص/١٨٧

(٦) ديوانه ص ٢١٠، وتخريجه فى ص ٣٥٢، وهذا بيت سيّار، وقد أعاده ابن الشجرى فى المجلس السابع والسبعين.

(٧) سورة الرحمن ٢٦.

(٨) الآية الأخيرة من سورة فاطر.

(٩) ديوانه ص ٦٣، وتخريجه فيه، وزد عليه المنصف ٣/ ٢٦.

(١٠) ديوانه ص ١١٦، وتخريجه فى ص ١١٥، وأعاده ابن الشجرى فى المجلس السابع والسبعين.." [(١)]

"ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السّفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق (١)

تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

/حتّى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النّطق

وأنت لمّا ولدت أشرقت ال ... أرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضّياء وفى النّ ... ور وسبل الرّشاد نخترق

قوله: «من قبلها»: أى من قبل الخليقة، كنى عن غير مذكور، والعرب تفعل ذلك توسّعا واختصارا، وثقة **بفهم السامع**.

وأقول: إنّ ضمير الغيبة ينقسم إلى أربعة أضرب، أحدها، وهو الأصل: أن يعود إلى شيء قد تقدّم ذكره، كقولك: زيد لقيته، وهند خرجت، وأخواك أكرمتهما، والقوم انطلقوا، وضرب زيد غلامه، ومثله فى التنزيل: ﴿وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ﴾ (٢) ﴿وَنادى نُوحٌ اِبْنَهُ﴾ (٣).

والثانى: أن يعود إلى مذكور في سياقة الكلام، مؤخّر فى اللفظ، مقدّم فى النيّة؛ لأنّ رتبته التقديم، كقولك: ضرب غلامه زيد، وكقولهم: «فى بيته يؤتى الحكم (٤)»، ومثله فى التنزيل: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى﴾ (٥) وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ﴾ (٦).

والثالث: أن لا يعود على مذكور، ويلزمه أن يفسّر بنكرة منصوبة،

---

(١) زاد صاحب سبل الهدى بعد هذا البيت بيتا، هو من أزكى الكلام وأشرفه، وهو قوله: وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها وليس تحترق

(٢) سورة طه ١٢١.

(٣) سورة هود ٤٢.

(٤) من أمثال العرب. الفاخر ص ٧٦، وجمهرة الأمثال ١/ ٢،٣٦٨/ ١٠١.

---

(١) أمالي ابن الشجري؟ ابن الشجري ١/ ٩٠

(٥) سورة طه ٦٧.

(٦) سورة الرحمن ٣٩.." (١)

"أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ ١، وبين فعليتين؛ كقوله٢: [البسيط]

٤١٨- فقلت أهي سرت أم عادني حلم٣

---

١ ٢١ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٩.

موطن الشاهد: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ .

وجه الاستشهاد: السؤال في هذه الآية عن الخبر؛ وهو قريب وبعيد؛ والمسئول عنه متأخر؛ وهو ما توعدون؛ وذلك؛ لأن شرط الهمزة المعادلة لـ"أم" أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما، ويلي "أم" المعادل الآخر؛ **ليفهم السامع** من أول الأمر ما يطلب تعيينه؛ ويرى سيبويه: أن إيلاء المسئول عنه الهمزة أولى، لا واجب. انظر التصريح: ٢/ ١٤٣.

٢ قيل هو: زيادة بن حمل، وقيل: زياد بن منقذ العدوي؛ المعروف بالمرار الحنظلي، وقد مرت ترجمته.

٣ تخريج الشاهد: هذا عجز بيت، وصدره قوله:

فقمت للطيف مرتاعا فأرقني

وهو من كلمة يحن فيها الشاعر إلى وطنه؛ وقبله قوله:

زارت رقية شعثا بعد ما هجعوا ... لدى نواحل في أرساغها الخدم

والشاهد من شواهد: التصريح: ٢/ ١٤٣، والأشموني: ٨٢٣/ ٢/ ٤٢١، والخصائص: ١/ ٣٠٥، ٢/ ٣٣٠، والخزانة: ٢/ ٣٩١، وشرح المفصل: ٧/ ١٧٩، والهمع: ١/ ٦١، ٢/ ١٣٢، والدرر: ١/ ٣٧، ٢/ ١٧٥، ومجالس العلماء للزجاجي: ١٣٩٦ وشرح شواهد الشافعية للبغدادي: ١٩٠، والمغني: ٥٦/ ٦٢، ٧٠٥/ ٤٩٥، والسيوطي: ٤٩ وشرح التبريزي على ديوان الحماسة: ٣/ ٣٢٤.

المفردات الغريبة: الطيف: المراد به خيال المحبوبة الذي يراه في النوم. مرتاعا: خائفا، يقال: راعه فارتاع؛ أي: أفزعه ففزع، ولا ترع: أي لا تخف. أرقني: أسهرني. أهي "بسكون الهاء": إجراء لهمزة الاستفهام مجرى واو العطف وفائه. سرت: من السرى؛ وهو السير ليلا. عادني: زارني وأتاني بعد إعراض.

المعنى: استيقظت من النوم فزعا خائفا؛ لما رأيت في نومي خيال المحبوبة وقلت في نفسي -وقد أطار ذلك النوم من عيني: أهي المحبوبة جاءت إلي ليلا؟ أم ذلك حلم ومنام؟!

الإعراب: فقلت: الفاء عاطفة، قلت: فعل ماضٍ مبني على السكون؛ لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء: ضمير متصل

---

(١) أمالي ابن الشجري؟ ابن الشجري ٣/١١٥

مبني على الضم في محل رفع فاعل. أهي: الهمزة حرف استفهام. هي: فاعل لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده "سرت". سرت: =." (١)

"لمحقوقة أَنْ تستجيبي دعاءَه ... وأن تعلمي أن المُعَانَ مُوَفَّقُ

فترك إبراز الضمير، ولو أبرزه لقال "محقوقة أنت" وقال الآخر:

[٢١]

يرى أَرْبَاقَهُم مُتَقَلِّدِيهَا ... كما صَدِئَ الحديد على الكُمَاة

فترك إبرازه، ولو أبرزه لقال "متقلديها هم" فلما أضمره ولم يبرزه دلّ على جوازه، ولأن الإضمار في اسم الفاعل إنما جاز إذا جرى على من هو له لشبه الفعل، وهو مشابه له إذا جرى على غير من هو له، كما إذا جرى على من هو له؛ فكما جاز الإضمار فيه إذا جرى على من هو له فكذلك يجوز إذا جرى على غير من هو له.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه يجب إبرازه فيه إذا جرى على غير من هو له أنا أجمعنا على أن اسم الفاعل فَرْعٌ على الفعل في تحمل الضمير؛ إذ كانت الأسماء لا أصل لها في تحمل الضمير وإنما يُضْمَرُ فيما شَابَهَ منها الفعل كاسم الفاعل نحو "ضارب، وقاتل" والصفة المشبهة به نحو "حسن، وشديد" وما أشبه ذلك؛ فإذا ثبت أن اسم الفاعل فرع على الفعل فلا شك أن المشبه بالشيء يكون أضعف منه في ذلك الشيء، فلو قلنا إنه يتحمل الضمير في كل حالة –إذا جرى على من هو له، وإذا جرى على غير من هو له– لأدّى ذلك إلى التسوية بين الأصل والفرع، وذلك لا يجوز؛ لأن الفروع أبدًا تنحطُّ عن درجة الأصول، فقلنا: إنه إذا جرى على غير من هو له يجب إبراز الضمير؛ ليقع الفرقُ بين الأصل والفرع.

ومنهم من تمسك بأن قال: إنما قلنا يجب إبراز الضمير فيه إذا جرى على غير من هو له لأنا لو لم نبرزه لأدّى ذلك إلى الالتباس، ألا ترى أنك لو قلت "زيد أخوه ضارب" وجعلت الفعل لزيد ولم تبرز الضمير لأدّى ذلك إلى أن يسبق إلى فَهْمِ السامع أن الفعل للأخ دون زيد، ويلتبس عليه ذلك؟ ولو أبرزت الضمير لزال هذا الالتباس؛

---

[٢١] لم أقف لهذا الشاهد على نسبة ولا تكملة، ولا وجدت من أنشده غير المؤلف. والأرباق: جمع ربق –بكسر الراء وقد تفتح، والباء ساكنة– وأصله الحبل والحلقة التي تشد بها الغنم الصغار لئلا ترضع، ومتقلديها: أي جاعليها في أعناقهم في موضع القلادة، والكماة: جمع كمي، وهو الشجاع المتكمي، أي المستتر الذي غطى وجهه، وكانوا يفعلون ذلك إذا كان عليهم ثارات، مخافة أن يتلمس أحد أعدائهم غفلتهم فيفتك بهم، والاستشهاد في البيت بقوله "متقلديها" فإن هذه الكلمة قد وقعت في هذا البيت مفعولًا ثانيًا لترى، وأنت خبير أن أصل المفعول الثاني لأرى خبر مبتدأ، وأن المفعول الأول هو مبتدأ ذلك الخبر، وأنت ترى أن الخبر جار على غير مبتدئه، لأن "متقلديها" وصف للابسي ما عبر عنه بالأرباق، لا

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك؟ جمال الدين ابن هشام ٣/٣٣٤

للأرباق نفسها، ومع ذلك لم يبرز معه الضمير، ولو أبرزه لقال "متقلديها هم" فدل ذلك على أن إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير من هو له ليس واجبًا لا معدى عنه.." (١)

"فوجب إبرازه؛ لأنه به يحصل إفهامُ السامع ورفع الالتباس؛ ويخرج على هذا إذا جرى على من هو له؛ فإنه إنما لم يلزمه إبراز الضمير لأنه لا التباس فيه، ألا ترى أنك لو قلت "زيد ضارب غلامه" لم يسبق إلى فهم السامع إلا أن الفعل لزيد؛ إذ كان واقعًا بعده فلا شيء أولى به منه، فبان بما ذكرنا صحة ما صرنا إليه.

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما البيت الأول وهو قوله:

[٢٠]

لمحقوقةٌ أن تستجيبي دعاءَه

فلا حُجَّة لهم فيه؛ لأنه محمول عندنا على الاتّساع والحذف، والتقدير فيه: لمحقوقة بك أن تستجيبي دعاءه١، وإذا جاز أن يُحْمَل البيت على وجه سائغ في العربية فقد سقط الاحتجاج به.

وأما البيت الثاني، وهو قول الآخر:

[٢١]

ترى أَرْبَاقَهُم مُتَقَلِّدِيهَا

فلا حجة لهم فيه أيضًا؛ لأن التقدير فيه ترى أصحاب أرباقهم، إلا أنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية، وقال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] ومنه قولهم: "الليلَةَ الهِلَالُ" أي: طلوعُ الهلالِ؛ لأن ظروف الزمان لا تكون إخبارًا عن الجُثَثِ.

قال الشاعر:

[٢٢]

وشرُّ المنايا ميِّت وَسْطَ أَهْلِهِ ... كَهُلْكِ الفَتَى قد أسلم الحَيَّ حَاضِرُهْ

---

[٢٢] هذا البيت من كلام الحطيئة، وهو من شواهد سيبويه "١/ ١٠٩". والمنايا: جمع منية، وهي الموت، وأصلها فعيله بمعنى مفعوله، وفعلها "منى الله الأمر يمنيه" على مثال قضاه يقضيه، ومعناه قدره وهيأ له الأسباب، سمى الموت بذلك لأنه من تقدير الله تعالى، والحاضر: الحي العظيم أو القوم، وقال ابن سيده: هو الحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم، ومنه قول الشاعر:

في حاضر لجب بالليل سامره ... فيه الصواهل والرايات والعكر

=

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين؟ أبو البركات الأنباري ١/ ٥١

١ يريد أن قول الشاعر"لمحقوقة" ليس خبر "إن" على ما ذكر الكوفيون حتى يكون جاريا على غير من هو له وليس معه ضمير بارز، وإنما هو مبتدأ، وقوله "أن تستجيبي" يحتمل وجهين: الأول أن يكون خبر ذلك المبتدأ، فتكون هذه الجملة في محل رفع خبر إن، وكأن الشاعر قد قال: لجدير بك استجابة دعائه، فليس في "لمحقوقة" ضمير عائد على غير من جرى عليه، والوجه الثاني: أن يكون قوله "أن تستجيبي" في تأويل مصدر مرفوع يقع نائب فاعل لمحقوقه أغنى عن خبره، ويكون "لمحقوقه" خبر إن، لكنه غير متحمل للضمير أصلًا، لا بارزًا ولا مستترًا، لأنه قد رفع اسمًا ظاهرًا، غير أن هذا الاسم الظاهر ليس صريحًا، بل هو اسم مؤول من الحرف المصدري والفعل.." (١)

"الألف منها إلا إذا كانت في موضع جر، بخلاف ما إذا كانت في موضع نصب أو رفع؛ فإنه لا يجوز أن يحذف الألف منها، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول "مَ تفعل" في قولك: ما تفعل، و"مَ عندك" في قولك: ما عندك، فلما حذفت الألف ههنا دلَّ على أنها ليست مع موضع نصب، وإنما هي في موضع جر.

ثم هذا الحذف في موضع الجر إنما يكون في ما الاستفهامية، دون ما الموصولة، الا في قولهم "ادْعُ بِمَ شئت" أي: بالذي شئت؛ فإن العرب تحذف الألف من ما الموصولة ههنا خاصة؛ كما تحذفها منها إذا أردت بها الاستفهامية.

وقولهم "إنها تقال عند ذكر كلام لم يفهم إلى آخر ما قرروا" قلنا: فكان يجب أن يجوز أن يقال: أن مَهْ، ولن مَهْ، وإذن مَهْ، كما يقال "كيمه" إذا لم يفهم السامع ما بعد هذه الأحرف من الفعل؛ لأنه إنما يسأل عن مصدر، والمصدر في الأفعال بعد هذه الأحرف التي هي أن ولن وإذن وبعد كي واحد، فلما لم يقل ذلك واختصت به كي دونها دلَّ على بطلان ما ذهبوا إليه، والله أعلم.." (٢)

"وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الأذهان١" وذلك تقرير لبلاغة الألفاظ والنظم ولتنافر الحروف والكلمات سبق إليه الجاحظ عبد القاهر وشيعته والسكاكي ومدرسته بقرون.

ويرى بليغ أن بلاغة الكلام في أن يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك، والجاحظ يثني على هذا الرأي ويجتبيه٢.

ويرى ابن المقفع أنه يجب أن يكون في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته "٩١/ ١ بيان"، فيشرح ذلك الجاحظ ويدلي برأيه فيه ٣، مقررًا بلاغة الاستهلال تقريرًا ليس بعده من غرابة.

والجاحظ جد معجب ببلاغة الكتاب، يتجلى ذلك في نقده لمذهبهم الأدبي في الكتابة والبيان٤، وهو يرى أن حديث الأعراب الفصحاء بالغ الغاية في الامتاع، وليس أفتق للسان ولا أجود تقويمًا للبيان "٥" منه، كما يعجب ببلاغة المتكلمين والنظارين ويراهم فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء٦.

وذكر الجاحظ رأي إبراهيم بن محمد في البلاغة وأنه يكفي من حظها ألا يؤتي السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين؟ أبو البركات الأنباري ٥٢/١

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين؟ أبو البركات الأنباري ٤٦٨/٢

سوء **فهم السامع**، ثم أشاد به وأثنى عليه "٧٥/ ١".

واختلف علماء البيان في الخطابة وهل يستجاد فيها الإشارة والحركة؟ فذهب النظام إلى استجادتها، وجعلها رجل كأبي شمر

---

١ ٦٢/ ١.

٢ ٩١/ ١.

٣ ٩٢/ ١.

٤ ١٠٥/ ١ و٢٢٥/ ٣.

٥ ١١٠/ ١.

٦ ١٠٦/ ١.." (١)

"كما سيأتي١ وقولنا واف احتراز عن الإخلال. وهو أن يكون اللفظ قاصرًا عن أداء المعنى٢ كقول عروة بن الورد٣:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فإنه أراد إذ يقتلون نفوسهم في السلم.

وقول الحارث بن حلزة:

والعيش خير في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدا٤

فإنه أراده العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل. الحل كما ترى.

وقولنا "الفائدة" احتراز عن شيئين:

---

١ والمراد بالإيجاز أن يكون اللفظ ناقصًا عن أصل المراد وافيًا به. والمراد بالإطناب أن يكون زائدًا عليه لفائدة.

٢ بأن يكون ناقصًا عن أصل المراد غير واف به لخفاء الدلالة بحيث يحتاج فيها إلى تكلف وتعسف. فالمراد بالوفاء أن تكون الدلالة على ذلك المراد مع نقصان اللفظ واضحة ظاهرة لا خفاء فيها.

٣ العبسي. والبيت في الصناعتين ص١٨٢. والعقد الفريد ص٣١٩ جـ٢. وتاريخ الكامل لابن الأثير ص٢٧١ جـ١.

٤ البيت في الصناعتين ص٢٧ وص١٧١ وص١٨٢. النوك: الحمق والجهالة وإضافة الظلال إليه من إضافة المشبه به إلى المشبه. الكد: المشقة والتعب.

٥ يعني أن أصل المراد أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ولفظه غير واف بذلك؛ لأن اعتبار المحذوف لا دليل عليه إذ كل منهما لا يعلم من الكلام ولا يدل عليه دلالة واضحة إذ لا **يفهم السامع** هذا المراد من البيت حتى تتأمل في ظاهر الكلام فتجده غير صحيح فيقدر المحذوف لأجل صحة هذا الكلام بعد مزيد نظر وتأمل.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة؟ القزويني ، جلال الدين ١٦٥/١

وذكر السيوطي أنه لا إخلال فيه بل فيه نوع بديعي هو الاحتباك حيث حذف من كل ما أثبت مقابله في الآخر فما ذكر في كل محل قرينة معينة للمحذوف من المحل الآخر.." (١)

"اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أي: فأتياهم، فأبلغاهم الرسالة، فكذبوهما، فدمرناهم، وقوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ ، أي: فأتياه أبلغاه ذلك، فلما سمعه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ ، ويجوز أن يكون التقدير فأتياه فأبلغاه ذلك ثم يقدر: فماذا قال؟ فيقع قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ استئنافا، ونحوه قوله: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ ، أي: ففعل ذلك، فأخذت الكتاب، فقرأته، ثم كأن سائلا قال: فماذا قالت؟ فقيل: قالت: يا أيها الملأ. وأما قوله تعالى٢: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقال الزمخشري في تفسيره: هذا موضع الفاء كما يقال: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر، وعطفه بالواو إشعارًا بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما العلم، كأنه قال: فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا: الحمد لله، وقال السكاكي٢: يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالا، كأنه قال: نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتمادا على فهم السامع كقولك: قم يدعوك، بدل: قم فإنه يدعوك. واعلم أن الحذف على وجهين: أحدهما أن لا يقام شيء مقام المحذوف٣ كما سبق ٤. والثاني أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ ليس إلا بلاغ هو الجواب؛ لتقدمه على توليهم٥، والتقدير فإن تولوا فلا لوم علي لأني قد أبلغتكم، أو فلا عذر لكم عند ربكم، وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدَ

---

١ راجع ١٢١ من المفتاح.

٢ راجع ١٢١ من المفتاح.

٣ فيكتفى فيه بالقرينة اللفظية أو الحالية كما سبق في الأمثلة.

٤ أي في الأمثلة السابقة لحذف جزء الجملة.

٥ وجزاء الشرط يجب أن يكون مضمونه مترتبا على مضمون الشرط.." (٢)

"وقال الفارسي: البلاغة معرفة الفصل من الوصل.

وقال إبراهيم الإمام: يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع.

وهذا الحكم من إبراهيم مبتور، لأن الإفهام قد يقع من الناطق ولا يكون بما أفهم بليغاً، والفهم قد يقع للسامع ممن ليس ببليغ ولا يكون بليغاً، وليس اشتراكهما في التفاهم بلاغة.

البلاغة أن يصيب الناطق بالطبع الجيد، أو الصناعة المجتلبة، أو بهما، وإن ساء فهم السامع لقصور طباعه، أو بعده عن

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة؟ القزويني ، جلال الدين ٣/١٧٤

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة؟ القزويني ، جلال الدين ٣/١٩٣

أسباب الفضيلة. ومن ذا الذي هجا البليغ لأن السامع لم يفهم، أو هجا السامع لأن الناطق لم يفهم؟ وإنما البليغ الذي يبلغ القصد بأقرب طرق الإفهام مع حسن الغرض، وليس أقرب طرق الإفهام تقليل الحروف وأختصار المراد؛ قد يكون هذا، ولكن أقرب الطرق في الإفهام أن تكون الغاية مثالاً للعقل، ثم يكون المعنى مسوقاً إليها، واللفظ منسوقاً عليها، **فهم السامع** أو قصر. ثم ليس هذا المعنى مقصوراً على العربية، بل هو شائع في النفوس، مستمد من العقول، معروف." (١)

"ليس إلا مستنيل ... أو منيل مستطيل

أو مباه لمباه ... أو مجاز أو بخيل

قال أعرابي: أحسن الغناء ما **أفهم السامع** وأطرب الخاشع.

وقال أعرابي: إياك أن تكون صاحي اللسان سكران العقل.

لمنصور الفقيه: الرجز

ومغفل ذكر الأجل ... سما به طول الأمل

فما ارتقى حتى نزل ... مستكرهاً؛ ولم يقل

قط لشيء قد كمل ... وقد تناهى واعتدل

إلا تبينت الميل ... والنقص فيه والخلل

بعقب ما قيل؛ وهل ... ينجي من الله الحيل

والله ما شاء فعل ... سبحانه عز وجل

أصبح للناس مثل ... وعبرة لمن عقل

من نال من عز الدول ... ما لم ينل قط رجل

كان إذا قيل رحل ... نحو بلاد وفصل

تطأطأت كل الملل ... ولم تزل على وجل

حتى يقال قد قفل ... أمسى منيفاً كالجبل

ثم تلاشى واضمحل ... كأنه نجم أفل." (٢)

"ذكر المسند إليه

وننتقل ب الحديث الآن عن ذكر المسند إليه ودواعي ذلك.

ذكرنا فيما سبق أن محل البحث في حذف المسند إليه أو ذكره، هو التعرف على الأسرار البلاغية التي رجحت الحذفَ على الذكر، أو الذكرَ على الحذف، ولا يكون ذلك إلا إذا جاز الحذف والذكر لغة لوجود القرينة الدالة، وقد عرفنا بعض الأسرار

(١) البصائر والذخائر؟ أبو حيّان التوحيدي ٢/٦٦

(٢) البصائر والذخائر؟ أبو حيّان التوحيدي ٢/١٠٨

المقتضية للحذف، ونريد أن نذكر بعض الأسرار والدواعي التي تقتضي ذكر المسند إليه.

ونذكر من ذلك:

كون المسند إليه هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه إلى الحذف؛ أي: أن الأصل أن يدل على المسند إليه باللفظ بشرط ألا يقصد المتكلم غرضًا من أغراض الحذف؛ فإذا قصَد المتكلم غرضًا من أغراض الحذف كانت البلاغة في الحذف، أما إذا لم يقصد المتكلم ذلك عدنا إلى الأصل وهو الذكر، وكانت النكتة فيه كونه الأصل، وليس في قصد المتكلم غرض يقتضي الانصراف عن الذكر إلى الحذف.

الأمر الثاني من دواعي ذكر المسند إليه: زيادة الإيضاح والتقرير للمسند إليه؛ أي: زيادة انكشافه لفهم السامع وتثبيته في نفسه؛ لأن المسند إليه المحذوف معلوم وواضح وثابت بالقرينة فكأنه مذكور، فإذا صرح به فكأنه ذكر ثانيًا؛ ف تحصل بذلك زيادة الإيضاح والتقرير، وإذا أراد المتكلم زيادة الإيضاح والتقرير للمسند إليه في نفس السامع اقتضى هذا الغرض أن يذكر المسند إليه؛ كما تقول مثلًا: هؤلاء جدو وهؤلاء نجحوا بتفوق، فتذكر المسند إليه وهو في الإشارة الثاني بقصد زيادة إيضاحه." (١)

"ومما يؤكد قول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، قول بعض الحكماء حين قيل له: متى يكون الأدب شرا من عدمه؟ قال: إذا كثر الأدب، ونقصت القريحة.

وقد قال بعض الأولين: «من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه» . وهذا كله قريب بعضه من بعض.

وذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رحمه الله فقال: «كان والله أفضل من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع» .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: «كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل» .

وكان عبد الرحمن بن إسحاق القاضي يروي عن جده إبراهيم بن سلمة، قال: سمعت أبا مسلم يقول: سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع.

قال أبو عثمان: أما أنا فأستحسن هذا القول جدا.." (٢)

"أسرع في نقص امرىء تمامه

ذهب إلى كلام الأول: «كل ما أقام شخص، وكل ما ازداد نقص، ولو كان الناس يميتهم الداء، إذا لأعاشهم الدواء» .

وقال الثاني من الرواة الثلاثة: بل قول أبي خراش الهذلي «١» :

نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي

وقال الثالث من الرواة: بل قول أبي ذؤيب الهذلي:

---

(١) البلاغة ٢ - المعاني - جامعة المدينة؟ جامعة المدينة العالمية ص/١٦٥

(٢) البيان والتبيين؟ الجاحظ ٩٠/١

وإذا ترد إلى قليل تقنع

فقال قائل: هذا من مفاخر هذيل: أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف، اثنان منها لهذيل وحدها. فقيل لهذا القائل: إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها، والنصف الذي لأبي ذؤيب لا يستغنى بنفسه، ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الأول، لأنك إذا أنشدت رجلا لم يسمع بالنصف الأول وسمع:

وإذا ترد إلى قليل تقنع

قال: من هذه التي ترد إلى قليل فتقنع. وليس المضمن كالمطلق.

وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم، وإنما الرواية قوله:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذي هو كالوحي والإشارة، قول أبي دؤاد ابن حريز الإياديّ:

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء." (١)

"التغليب: هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاقه عليهما، وقيدوا إطلاقه عليهما للاحتراز عن المشاكلة.

التغيير: هو إحداث شيء لم يكن قبله.

التغير: هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى.

التفهيم: إيصال المعنى إلى فهم السامع بواسطة اللفظ.

التفسير: في الأصل هو الكشف، والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة.

التفريع: جعل شيء عقيب شيء؛ لاحتياج اللاحق إلى السابق.

التفريد: وقوفك بالحق معك، هذا إذا كان الحق عين قوى العبد، بقضية قوله صلى الله عليه وسلم: "كنت له سمعًا وبصرًا" ... الحديث.

التفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب.

التفكر: سراج القلب يرى به خيره وشره، ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء وقيل: التفكر: تصفية القلب بموارد الفوائد، وقيل: مصباح الاعتبار، ومفتاح الاختيار، وقيل: حديقة أشجار الحقائق، وحدقة أنوار الدقائق، وقيل: مزرعة الحقيقة، ومشرعة الشريعة، وقيل: فناء الدنيا وزوالها، وميزان بقاء الآخرة ونوالها، وقيل: شبكة طائر الحكمة، وقيل: هو العبارة عن الشيء بأسهل وأيسر من لفظ الأصل.

---

(١) البيان والتبيين؟ الجاحظ ١٤٣/١

التفرقة: هي توزع الخاطر للاشتغال من عالم الغيب بأي طريق كان.

التفرقة: ما اختلفوا فيه، وقيل: الحالات والتصرفات والمعاملات.." (١)

"نحو خرج زيد فأخرجته١.

التعذيب: إكثار الضرب بعذبه السوط أي طرفها، وقيل في الأصل حمل الإنسان على أن يعذب أي يجوع ويسهر، من قولهم عذب الرجل إذا أكثر الأكل والنوم فهو عاذب. وقال الفيومي٢: التعذيب أصله في كلام العرب الضرب ثم استعمل في عقوبة مؤلمة، ثم استعير للأمور الشاقة.

التعريس: نزول المسافر ليستريح ثم يرتحل أي وقت كان من ليل أو نهار.

التعريض: في الكلام ما يفهم السامع مراده بغير تصريح ذكره ابن الكمال٣.

وقال الراغب٤: كلام ذو وجهين من صدق وكذب، وباطن وظاهر.

التعريف اللفظي: أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى فيفسر بلفظ أوضح دلالة على ذلك المعنى كالغضنفر للأسد، وليس هذا تعريفا حقيقيا يراد به إفاده تصور غير حاصل وإنما المراد تعيين ما وضع له لفظ الغضنفر من بين جميع المعاني٥.

التعريف الحقيقي: أن يكون حقيقة ما وضع اللفظ بإزائه من حيث هي فيعرف بغيرها٦.

التعزير: تأديب دون الحد على معصية لاحد فيها ولا كفارة، من العزر وهو الزجر والمنع ذكره ابن الكمال٧. وقال الراغب٨: التعزيز نصرة مع تعظيم. والتعزير تأديب دون الحد وهو يرجع إلى الأول فإنه تأديب والتأديب نصرة بقهر ما، لكن الأول نصرة بقمع العدو عنه، والثاني نصرة بقهر عن عدو فإن أفعال الشر عدو للإنسان فمتى قمعته عنها نصرته، وعليه حديث "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" ٩.

التعسف: حمل الكلام على معنى لا تكون دلالته عليه ظاهرة.

التعشير: نهاق الحمر لكونه عشرة أصوات١٠.

التعضئة: تجربة الأعضاء. وروي لا تعضية في ميراث، أي لا يفرق ما تفريقه يضر بالورثة كإناء أو سيف نفيس يكسر.

التعفف: تكلف العفة، وهي كف ما ينبسط للشهوة من الآدمي إلا بحقه ووجهه، ذكره الحرالي. وقال الراغب١١:

---

١ التعريفات ص٦٥.

٢ المصباح المنير ص١٥١.

٣ التعريفات ص٦٥.

٤ المفردات ص٣٣١.

٥ التعريفات ص٦٥.

٦ التعريفات ص٦٤.

---

(١) التعريفات؟ الجرجاني، الشريف ص/٦٣

٧ التعريفات ص٦٥.

٨ المفردات ص٣٣٣.

٩ أخرجه البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده، والترمذي في سننه عن أنس رضي الله عنه، كتاب الفتى، باب ٦٨ "٤/ ٤٥٣". قال: حسن صحيح.

١٠ المفردات ص٣٣٥.

١١ المفردات ص٣٣٩.." (١)

"التفسير: لغة، الكشف والإظهار. وشرعا توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهره، ذكره ابن الكمال١. وقال الراغب٢: التفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها. وعرف بعضهم التفسير بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز. وقال ابن الجوزي٣: التفسير إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك اللفظ ظاهر. وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.

التفصي: التخلص من الشدة، وتفصى من دينه خرج منه.

التفصيل: جمع الشيء فصولا متمايزة، ومنه المفصل سمي به لكثرة فصوله أي سوره.

التفقد: التعهد، وتفقدته طلبته عند غيبته لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء، والتعهد تعرف العهد القديم.

التفقه: أخذ الفقه شيئا فشيئا على التدريج.

التفكر: طلب الفكر، وهو يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال بيد الجسم المحسوسات، ذكره الحرالي. وقال ابن الكمال٤: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب. وقال الراغب٥: جريان القوة المطرقة من العلم إلى المعلوم بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا قال عليه السلام "تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله" ٦. لتنزهه عن الوصف بصورة ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ٧، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ ٨.

التفكه: التمتع بالشيء والتعجب منه وأكل الفاكهة.

التفنيد: نسبة الإنسان إلى الفند وهو ضعف الرأي.

التفهيم: إيصال المعنى إلى فهم السامع بواسطة اللفظ.

التفويض: رد الأمر إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة، وأصله لغة: رد الأمر إلى الغير لينظر فيه. والتفويض أن يقال لنبي أو ولي: احكم بما تشاء. والمختار أنه لم يقع.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف؟ المناوي ص/١٠١

١ التعريفات ص٦٥.

٢ المفردات ص٣٨٠.

٣ أبو الفرج بن الجوزي، توفي سنة ٥٩٧هـ، وله مصنفات عديدة منها "زاد المسافر في علم التفسير"، و"المنتظم" في التاريخ، ابن خلكان، الوفيات ٣/ ١٤٠.

٤ التعريفات ص٦٦.

٥ المفردات ص٣٨٤.

٦ أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنه.

٧ الروم ٨٠.

٨ الأعراف ١٨٤.." (١)

"باب القول فِي أن لغة العرب أفضلُ اللغات وأوسعُها:

قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ١ فوصَفه جلّ ثناؤه بأبلغ مَا يوصَف بِهِ الكلام، وهو البيان.

قال جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ٢ فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان عَلَى جميع مَا توحَّد بخلقه وتفرَّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغيرِ ذَلِكَ من الخلائق المحْكمة والنشايا المُتْقَنة. فلمّا خصَّ جلَّ ثناؤه اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلم أن سائر اللغات قاصرةٌ عنه وواقعة دونه.

فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كلَّ مَن أفْهَم بكلامه عَلَى شرط لغته فقد بَيَّن. قيل لَهُ: إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قَدْ يُعرِبُ عن نفسه حَتَّى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قَدْ يدلُّ بإشارات وحركات لَهُ عَلَى أكثر مراده ثُمَّ لا يسمّى متكلماً، فضلا عن أن يُسمَّى بَيّناً أَوْ بليغاً.

وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة. فأين هَذَا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذي نُهيَة٣.

وَقَدْ قال بعضُ علمائنا حين ذكر مَا للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب فِي القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم عَلَى أن ينقله إِلَى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن

---

١ سورة الشعراء، الآية: ١٩٢.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف؟ المناوي ص/١٠٤

٢ سورة الرحمن، الآية: ٤.

٣ النهية: العقل.." (١)

"وإنما كان عرّض بعبد الملك وكان ولد لسبعة أشهر.

وربما كانت البلاغة سببا للحرمان. وأسباب الأمور طريفة والاتفاقات عجيبة:

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان، قال: كتب بعضهم إلى المنصور كتابا حسنا بليغا يستمنحه فيه. فكتب إليه المنصور: البلاغة والغنى إذا اجتمعا لامرىء أبطراه؛ وأمير المؤمنين مشفق عليك من البطر، فاكتف بأحدهما.

وقوله «١» : «ربما كانت البلاغة فى الاستماع» ، فإنّ المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدّى إليه الخطاب. والاستماع الحسن عون للبليغ على إفهام المعنى.

وقال إبراهيم الإمام: حسبك من حظّ البلاغة ألّا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع. وقال الهندى أيضا: البلاغة وضوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. وقول عبيد الله بن عتبة: البلاغة دنوّ المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير.

فأما البصر بالحجّة فمثل ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال: قال الهيثم بن عدى: أنبأنى عطاء بن مصعب، قال: كان أبو الأسود شيعة لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، وكان جيرانه عثمانية فرموه يوما؛ فقال: أترمونني؟ قالوا: بل الله يرميك. قال: كذبتم، إنكم تخطئون، وإنّ الله لو رمانى لما أخطأ. وقال بعضهم لأبى على محمد بن عبد الوهاب: ما الدليل على أنّ القرآن مخلوق؟ قال: إن الله قادر على مثله. فما أحار السائل جوابا.

ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه- وهو يومئذ خليفة وكان على المنبر يخطب فى يوم جمعة، فدخل عثمان بن عفّان رضى الله عنه عليه. فقال عمر:

ما بال أقوام يسمعون الأذان ويتأخّرون؟ فقال عثمان: والله ما تأخّرت إلّا ريثما توضّأت.

فقال عمر: وهذا أيضا، أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أتى الجمعة فليغتسل» .." (٢)

"تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)

[الشعراء: ١٣٢- ١٣٤] فانظر كيف شرح الإمداد الثانى، إيضاحا للأول وتقوية لأمره، وقوله تعالى: قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)

[يس: ٢٠- ٢١] فالاتباع الثانى وارد على جهة الإيضاح، هكذا القول فى كل جملة أتت عقب أخرى على الإبدال منها، فإنها تأتى من غير واو لما ذكرناه. وثالثها: أن تكون الجملة الأولى واردة على جهة الخفاء، والمقام مقام رفع لذلك اللبس، فتأتى الجملة الثانية على جهة الكشف والإيضاح لما أبهم من قبل، ومثاله قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها؟ ابن فارس ص/١٩

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر؟ العسكري، أبو هلال ص/١٦

[البقرة: ٨] ثم قال: يُخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

[البقرة: ٩] فجرد قوله يُخادِعُونَ اللَّهَ

عن الواو، إرادة لإيضاح ما سلف من قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) ومراده أن كل ما كان قولا باللسان من غير اعتقاد فى القلب فهو خداع لا محالة، وهذه هى حالتهم فيما صدر منهم من الإيمان باللسان، وقوله تعالى: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ

[طه: ١٢٠] فأتى بقوله: قالَ يا آدَمُ

مجردا عن الواو، تنبيها على إيضاح الوسوسة وكشف غطاها وشرح تفاصيلها، ولو أتى بالواو لم يعط هذا المعنى لما فيها من إيهام التغاير المؤذن بعدم الكشف والإعراض عن التقرير، ورابعها: أن تكون الجملة الثانية واردة على جهة رفع التوهم عن الجملة الأولى عن أن تكون مسوقة على جهة التجوّز والسهو والنسيان، ومثاله قوله تعالى فى صدر سورة البقرة الم (١) ذلِكَ الْكِتابُ

[البقرة: ١- ٢] فلما كانت هذه الجملة واردة على جهة الإيضاح بأن هذا القرآن قد بلغ أعلى مراتب الكمال، وسيقت على المبالغة بإعظامه، وأنه لا رتبة فوقه، حيث صدّر السورة بالأحرف المقطعة، إشعارا ببلاغته، وجيء باسم الإشارة مع اللام تنبيها على ما تضمنته من البعد، على صفة الإغراق فى وصفه، فلما كان الأمر فيه هكذا، سبق إلى فهم السامع أن ما يرقى به من هذه السمات البالغة، إنما هى على جهة الخرف والسهو والذهول، وأنه لا حقيقة لها، أراد رفع الوهم بما عقبه من الجمل المرادفة، فلهذا وردت من غير واو، إشعارا بما ذكرناه، فقال لا رَيْبَ فِيهِ

[البقرة: ٢] أى ليس أهلا لأن يكون مرتابا فيه، وأن يكون محطا للريبة ومحلّا لها، ثم أردفه بقوله تعالى: هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢)

[البقرة: ٢] أى إنه هاد لأهل التقوى معطيا لهم حظ الهداية به، ومن هذا قوله تعالى: ما هذا بَشَراً

[يوسف: ٣١] ثم قال إِنْ هذا إِلَّا." (١)

"وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال: معرفة الوصل من الفصل.

وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: إيجاز الكلام، وحذف الفضول، وتقريب البعيد.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال ألّا يؤتى القائل من سوء فهم السامع، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل.

وقال معاوية لصحار العبديّ: ما البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تبطيء، وتصيب فلا تخطيء. ثم قال: أقلني «١» يا أمير المؤمنين. قال: قد أقلتك. قال: ألّا تبطيء ولا تخطيء.

قال أبو حاتم: استطال الكلام الأول فاستقال وتكلم بأوجز منه.

وسمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم ويكثر، فقال: اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة فقال له:

أبا صفوان، ما من ذنب أعظم من اتفاق الصّنعة.

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز؟ المُؤَيَّد العلوي ٣/١٧٠

وتكلم ربيعة الرأي يوما فأكثر، وإلى جنبه أعرابيّ، فالتفت إليه فقال: ما تعدّون البلاغة يا أعرابيّ؟ قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب. قال: فما تعدّون العيّ؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم، فكأنما ألقمه حجرا.

ومن أمثالهم في البلاغة قولهم: يقل الحزّ ويطبّق المفصل. وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذي يقل الكلام ويصيب الفصول والمعاني، بالجزار الرفيق الذي يقلّ حزّ اللحم ويصيب مفاصله.

ومثله قولهم:

يضع الهناء مواضع النّقب

أي لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام، مثل الطالي الرفيق الذي يضع الهناء مواضع النّقب. والهناء: القطران. والنّقب: الجرب.." (١)

"وقال البحتري يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر، ويصف بلاغته:

ومعاون لو فضلتها القوافي ... هجنت شعر جرولٍ ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختياراً ... ووتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدرك ... ن به غاية المراد البعيد

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد بفضل الشعر على النثر.

وحكى الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد قوله: كفى من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع. ثم قال الجاحظ: أما أنا فأستحسن هذا القول جداً.

ومن كلام ابن المعتز: البلاغة بلوغ المعنى، ولما يطل سفر الكلام.

وقال ابن الأعرابي: البلاغة التقرب من البغية، ودلالة قليل على كثير.

وقال بعض المحدثين: البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.

ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، قال: قال بعضهم: البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة. وقال: خير الكلام ما قل ودل، وجل ولم يمل. وقال: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه. قال: وقيل: البليغ من يجتني من الألفاظ نوارها، ومن المعاني ثمارهاً.." (٢)

"فشبه ضرع العنز بالسكير، وصوت الحلب بأزيزه، فقرب بين الأشياء البعيدة بتشبيهه حتى تناسبت، ولو كان الوجه ما قال قدامة لكان الصواب أن يشبه الأشجعي ضرع عنزة بضرع بقرة، أو خلف ناقة؛ لأنه إنما أراد كبره وكثرة ما فيه من اللبن، وكان يعدل عن ذكر الكير وأزيزه الذي دل به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه.

وسبيل التشبيه إذ كانت فائدته إنما هي تقريب المشبه من فهم السامع، وإيضاحه له أن تشبه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه، وتشبه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه، فتقول في المدح: تراب كالمسك، وحصى كالياقوت، وما أشبه ذلك، فإذا

---

(١) العقد الفريد؟ ابن عبد ربه الأندلسي ٢/١٢٢

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه؟ ابن رشيق القيرواني ١/٢٤٦

أردت الذم قلت: مسك كالسك أو التراب، وياقوت كالزجاج أو كالحصى؛ لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع، وإن كان ما شابه الشيء من جهة فقد شابه الآخر منها، إلا أن المتعارف وموضوع التشبيه ما ذكرت.
وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شاكلها كلها شيء بشيء في بيت واحد، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد، واتبعه الشعراء في ذلك؛ فقال لبيد ابن ربيعة:

وجلا السيول عن الضلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام، بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه." (١)

"باب المبالغة

وهي ضروب كثيرة. والناس فيها مختلفون: منهم من يؤثرها، ويقول بتفضيلها، ويراها الغاية القصوى في الجودة، وذلك مشهور من مذهب نابغة بني ذبيان، وهو القائل: أشعر الناس من استجيد كذبه، وضحك من رديئه، هكذا أعرفه، ورأيت بخط جماعة منهم عبد الكريم والباغي من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديئه. وروى قوم من حديث النابغة ومطالبته حسان ابن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التقصير في قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم، ومنهم من يعيبها وينكرها، ويراها عيباً وهجنة في الكلام، قال بعض الحذاق بنقد الشعر: المبالغة ربما أحالت المعنى، ولبسته على السامع؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه؛ لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الإبانة والإفصاح، وتقريب المعنى على السامع؛ فإن العرب إنما فضلت بالبيان والفصاحة، وحلا منطقها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة، وإشارات لطيفة، تكسبه بياناً وتصوره في القلوب تصويراً، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها، وبالتشكك في الشبهين، كما قال ذو الرمة:

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا أنت أم أم سالم." (٢)

"أخضلوا: بلوا.

لعن اتَّقوا الْملَاعن الثَّلَاث: البرَاز فِي الْمَوَارِد وقارعة الطَّرِيق والظل. وَعنهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: اتَّقوا الْملَاعن الثَّلَاث. قيل: يَا رَسُول الله وَمَا الْملَاعن قَالَ: يقْعد أحدكُم فِي ظلّ يستظل بِهِ أَو فِي طَرِيق أَو نقع مَاء. وَعنهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: اتَّقوا الْملَاعن وأعدُّوا النَّبل. الْملَاعن: جمع ملعنة وَهِي الفعلة الَّتِي يُلعن فاعلها كَأَنَّهَا مطنة للعن ومعلم لَهُ كَمَا يُقَال: الْوَلَد مَبْخَلَة

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه؟ ابن رشيق القيرواني ٢٩٠/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه؟ ابن رشيق القيرواني ٥٣/٢

مَجْبَنَة وَأَرْض مأسدة. البرَاز: الْحَاجة سُميت باسم الصَّحرَاء كَمَا سميت بالغائط. وَقيل: تبرَّز كَمَا قيل: تغوَّط. وَالْمرَاد وَالْبرَاز فِي قَارِعَة الطَّرِيق وَالْبرَاز فِي الظل وَلذَلِك ثلث وَلكنه اختصر الْكَلَام اتكالا على **تفهّم السَّامع**. وَكَذَلِكَ التَّقْدِير قعُود أحدكُم فِي ظلّ وقعوده وقعوده. قَوْله يقْعد إمَّا أَن يكون على تَقْدِير حذف أَن أَو على تَنْزِيله منزلَة الصَّدْر بِنَفسِهِ كَقَوْلِهِم: تسمع بالمعيديّ. الْمَوَارِد: طرق المَاء. قَالَ جرير: ... أَمِيرُ الْمُؤمنِينَ على طريقٍ ... إذا اعَوجَّ الموارِدُ مُسْتَقِيم ... النَّقع: مستنقع المَاء وَمِنْه قَوْلهم: إِنَّه لشرَّاب بأنقع. النَّبَل: حِجَارَة الِاسْتِنْجَاء يرْوى بِالْفَتْح وَالضَّم يُقَال: نبّلني أحجارا ونبّلني عرقاً أَي ناولني وَأَعْطِنِي. وَكَانَ أَصله فِي مناولة النّبل للرامي ثمَّ كثر حَتَّى اسْتعْمل فِي كل مناولة ثمَّ أَخذ من قَول المستطيب: نبّلني النَّبل لكَونهَا مُنّبلة وَيجوز أَن يُقَال لحجارة الِاسْتِنْجَاء نبل لصغرها من قَوْلهم لحواشي الْإِبِل: نبل وللقصير الرَّذل من." (١)

"فذهلية منسوبة إلى ذهل اسم رجل، وذاهل فاعل ذهل عن الأمر يذهل. ويطل الطلول كذلك؛ لأن يطل مضارع أطل دمه أي أهدره، والطلول جمع طلل وهو ما شخص من آثار الديار. وكذلك الربيع وهو العشب والربوع جمع ربع وهو المنزل، فهذه كلها تتضمن التجنيس، وليست من المشتركات؛ لأنها ليست متماثلتين دالتين على مسميين مختلفين، كلفظة العين.

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا، ولا يستعمل فيه التجنيس بالمشترك إلا في النادر أيضا، فلو كان كل تجنيس في الذهن بالمشترك فقط لم يكن ذلك من المقصودات الأصلية التي تقتضي وضع المشترك مع ما فيه من تردد **فهم السامع** وعدم معرفته، فإن محذور ذلك أعظم من تزويق اللفظ بالمشتركات، خصوصا ويمكن استدراك غير اللفظ بغير التجنيس، كالمطابقة والمقابلة وغيرهما من أنواع البديع.

والعجب من قول هذا الرجل إن عدم التجنيس يذهب حسن الكلام، وقوله إن واضع اللغة نظر إلى ما تحتاج إليه الفصاحة والبلاغة، فوجد من مهمات ذلك التجنيس الذي لا يقوم إلا بالأسماء المشتركة، وهو يرى القرآن عاريا عن التجنيس، وهو أحسن الكلام وأفصحه وأبلغه، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيث﴾ ١.

وليت شعري كيف تحتاج البلاغة إلى التجنيس؟ أتراه يعلم ما البلاغة؟

---

١ الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. سورة الزمر: ٢٣.." (٢)

"أقول: ليس مراد أبي الفتح –رحمه الله– ما ظنه، فكيف يذهب إلى أن يقول المجازية متوقفة على اجتماع هذه الأمور الثلاثة؟ وقدحصرت ضرب أمثلة كثيرة للمجاز في كتابه هذا، وكل موضع منها مختص بواحد من هذه الثلاثة فقط، وإنما ذكر هذه الآية ليبين بها أنه قد وجد موضعا اجتمع فيه الشروط الثلاثة التي يتوقف المجاز عليها لمعان ثلاثة، مثل قوله في كتاب اللمع: والكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف، فإنه لا يريد أن كل لفظة من الكلام يجتمع لها أن تكون اسما

---

(١) الفائق في غريب الحديث؟ الزمخشري ٣/٣١٨

(٢) الفلك الدائر على المثل السائر؟ ابن أبي الحديد ٤/٥٠

وفعلا وحرفا، إنما مراده أن كل لفظة من الكلام فإنها لا تخلو عن هذه الأنواع الثلاثة، بل تكون واحدا منها أيها كان، ولكنه يتسامح في اللفظ اعتمادا على **فهم السامع**، وثقة بأن مثل هذا الكلام لا يزال الناس يستعملونه في محاوراتهم.

فأما قوله: "فإذا عدمت هذه الثلاثة كانت الحقيقة البتة لا غير" جيدا لا اعتراض عليه، لأنه لو عدم أحدها فقط لم تأت الحقيقة متعينة البتة، لأن أحد القسمين الباقيين يكفي في حسن المجاز، وإنما تتعين الحقيقة البتة إذا عدمت الثلاثة كلها.

ومن هذا الموضع يجب أن يفهم معنى قوله: "لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعان ثلاثة" لأنه لو كان أراد اجتماع معان ثلاثة لما قال: "فإذا عدمت هذه

= أوجه. الأول أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز، بل وجود واحد منها سببا لوجوده. ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا، وإذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا. ثم إن كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا لعدمه، ألا ترى أنا إذ قلنا: لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيوانا ناطقا، فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان، وإذا عدم واحد منهما بطل أن يكون إنسانا، وكذلك كل صفات تكون مقدمة لوجود الشيء فإن وجودها بوجوده، وعدم واحد منها يوجب عدمه.." (١)

"لعمري لقد سار ابن سيرة ... أرتك نجوم الليل واضحة تجرى

وأصبح قد صبت على ظهر خالد ... شآبيب ما يرسلن من سيل القطر

وقوله " ٧٩٢، ٨٢٩٢ " والغالبة عليك جاريتك الراقة باثعة العقود.

ش: أي بائعة العهود المكتوبة للعامل في الولايات ومستعملتهم للأعمال بالأموال، تقبضها منهم أثمانا لها، وأعراضا.

وقوله " ٧٩٢، ٨٢٩٢ " مع ما أتلفت من مال الله في المبارك.

ط: المبارك نهر، أنفق فيه مالا كثيرا، وأصلحه خالد، وفيه يقول الفرزدق " الطويل ":

وانفقت مال الله من غير حله ... على نهرك المشئوم غير المبارك

وقوله " ٧٩٣، ٨١٩٤ " في أسد بن كرز.

ط: قال أبو عبيدة: كان كرز بن عامر، جد خالد بن عبد الله، أبق عن مواليه عبد القيس من هجر، ويقال إن أصله من يهود تيماء، وكان أبق أيضا منهم، فظفرت بع عبشمس، فكان عند غمغمة بن شق الكاهن، فوهبه لقوم من طهية، فكان عندهم، حتى أدرك، ثم هرب، فأخذته بنو أسد بن خزيمة وكان فيهم، وتزوج مولاة لهم، يقال لها زرنب، ويقال " أنها " كانت بغيا، فأصابها، فولدت له اسدا، سماه باسم أسد بن خزيمة برقه فيهم، ثم اعتقوه، ثم أن نفرا من هجر، اخذوا فداءه، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه، فلم يزا فيهم حتى خرج إلى الطائف، فلما رأى دار بجلية أعجبته فاشترى نفسه، وأقام فيهم، وادعى إليهم، فتفادهم أبو عامر ذو الرفعة، فنزل كرز في نبي شسجيمة هاربا منه، فقتل ابن عم للقتال بن مالك الشجيمي، وهرب إلى البحرين ثم مات، ونشأ ابنه أسد بن "كرز بن عامر "، يدعى في بجيلة، ولا تلحقه، إلى أن مات، ونشأ ابنه عبد

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر؟ ابن أبي الحديد ٤/١٩٤

الله، ومضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري، وكتب له، وكان كاتيا " مفوها " فنال شرفا.

الباب الثاني والخمسون

وقوله " ٧٩٣، ٨٢٩٤ " وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة.

ش: لم يذكر خليفة له اسم كاتب رسائل إلا سالما مولى سعيد بن عبد الملك.

وقول الشاعر " ٧٩٤، ٨٢٩٥ ":

إذا الأمر أغنى عنك حنوته ...

"؟ " أحناء الأمور ما تشابه منها، قال الشاعر: " الطويل "

أزيد أخا ورقاء إن كنت ثائرا

فقد عرضت أحناء حق فخاصم

وقوله " ٧٩٤، ٨١٩٦ " ألا يؤتي السامع من سوء إفهام القائل.

ش: هذا الكلام حكاه الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد فقال: وكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتي السامع من سؤ إفهام الناطق " ١٨٢: ب " ولا يؤتي الناطق من سؤ فهم السامع، وأما الذي حكى في هذا المعنى، فهو إنه زعم، أن كل من أفهمك حاجته، فهو بليغ.

وقول تبارك وتعالى " ٧٩٥، ٨٢٩٧ " " يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكن ".. " ليس ينبغي أن يوقف على هذا، لأن ما بعده متعلق به، إذ هو علة لما قبله،

لأن معناه: لأن تؤمنوا، أو من أجل أن تؤمنوا.

"؟ " ليس ما ذكر بصحيح، ولا يجزو أن يوقف على: إياكم، وإنما أراد أن هاهنا، لا تتعلق على حد تعليقها في قولم: إياك وان تفعل، إذا حذرته، وإنما تتعلق بالكلام الأول تعلق المفعول من اجله، لأنه جعل الإيمان علة الإخراج، لأنه حذر من الإيمان.

تم جميع الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، وذلك في اليوم السادس والعشرين من محرم ثماني وخمسين وستمائة والحمد لله رب العالمين لا شريك له.." (١)

"وأنشدني الرياشي:

إذا الأمر أغنى عنك جنوبه فاجتنب ... معرة أمر أنت عنه بمعزل

وقال العتابي:

لا ترج رجعة مذنب ... خلط احتجاجاً باعتذار

وقال أيضاً:

وفيت كل خليل ودني ثمناً ... إلا المؤمل دولاتي وأيامي

(١) القرط على الكامل؟ ابن سعد الخير ص/٢٠٥

وقيل للعتابي: ما أقرب البلاغة قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القاتل، ولا يؤتى القائل من سوء **فهم السامع**. وقال ابن يسير:

أقدر لرجلك قبل الخطو منزلها ... فمن علا زلقاً عن غرة زلقا

وكان يقال: اصمت لتفهم، واذكر لتعلم، وقل لتذلق.." (١)

"مجَازًا] ، وعلامة أُخْرَى لَهَا هِيَ أَن الْحَقِيقَة مَا **يفهم السَّامع** مَعْنَاهَا من غير قرينَة

الْحَقِيقَة: [هِيَ إِمَّا (فعيل) بِمَعْنى فَاعل من (حق الشَّيْء) إِذا ثَبت، وَمِنْه (الحاقة) لِأَنَّهَا ثَابِتَة كائنة لَا محَالة وَإِمَّا بِمَعْنى (مفعول) من (حققت الشَّيْء) إِذا أثْبته فَيكون مَعْنَاهَا الثَّابِتَة والمثبتة فِي موضعهَا الْأَصْلِيّ، وَالتَّاء للتأنيث فِي الْوَجْه الأول، ولنقل اللَّفْظ من الوصفية إِلَى الاسمية فِي الثَّانِي كَمَا فِي (نطيحة) و (أكيلة) لِأَن (فعيلا) بِمَعْنى الْمَفْعُول يَسْتَوِي فِيهِ الْمُذكر والمؤنث وَقَالَ صَاحب " الْمِفْتَاح ": إِنَّهَا للتأنيث فِي الْوَجْهَيْنِ: لِأَنَّهُ صفة غير جَارِيَة على موصوفها وَالتَّقْدِير كلمة حَقِيقِيَّة، وَإِنَّمَا يَسْتَوِي الْمُذكر والمؤنث فِي (فعيل) بِمَعْنى مفعول إِذا كَانَ جَارِيا على موصوفه نَحْو: (رجل) قَتِيل) و (امْرَأَة قَتِيل) وَإِلَّا فالتأنيث وَاجِب دفعا للالتباس نَحْو: (مَرَرْت بقتيل بني فلَان) و (قتيلة بني فلَان) ، و (فعيل) بِمَعْنى فَاعل يذكر وَيُؤَنث سَوَاء أجري على موصوفه أَو لَا نَحْو: (رجل ظريف) و (امْرَأَة ظريفة)

و] حَقِيقَة الشَّيْء: كَمَاله الْخَاص بِهِ يُقَال: حَقِيقَة الله وَلَا يُقَال: مَاهِيَّة الله لإيهامها معنى التجانس

وَفِي اصْطِلَاح الميزانيين: حَقِيقَة الشَّيْء المحمولة ب (هُوَ) ذَات الشَّيْء كالحيوان النَّاطِق للْإنْسَان

وَأما ذاتيته وَهِي الحيوانية، والناطقية فتسمى مَاهِيَّة فَاعْتبر مثل هَذَا فِي الْوُجُود فَإِنَّهُ نفس الْمَاهِيّة، وَوُجُود الْإِنْسَان هُوَ نفس كَونه حَيَوَانا ناطقا فِي الْخَارِج

وَقد تطلق الْحَقِيقَة وَيُرَاد بهَا مَا يُقَال فِي جَوَاب السُّؤَال بِمَا هُوَ، وَهُوَ حَقِيقَة نوعية إِن كَانَ السُّؤَال عَن جزئيات النَّوْع بالاشتراك فَقَط، وَحَقِيقَة شخصية إِن كَانَ السُّؤَال بالخصوصية، كالحيوان النَّاطِق مَعَ التشخص فِي الثَّانِي، وبدونه فِي الأول، فَلَا يَصح أَن تقع الْحَقِيقَة النوعية جَوَابا عَن السُّؤَال ب (مَا هُوَ) إِذا أفرد بعض الجزئيات بِالذكر، لعدم الْمُطَابقَة بَينهمَا

وَقد تطلق الْحَقِيقَة وَيُرَاد بهَا مَا يكون مَعْرفَتهَا غنية عَن الِاكْتِسَاب، وَهِي الَّتِي يكون مَعْرفَتهَا حَاصِلَة عِنْد الْإِنْسَان من غير كسب وَطلب مِنْهُ، فَلَا يُمكن تَعْرِيفهَا، لِأَنَّهُ لَو أمكن لَكَانَ بِأُمُور هِيَ أظهر وَأعرف مِنْهَا، وَلَا يُوجد شَيْء أعرف وَأظْهر من المحسوسات

والحقيقة الَّتِي يبْحَث عَنْهَا أهل الْحِكْمَة هِيَ الْأَحْوَال الثَّابِتَة للأشياء فِي نَفسهَا، مَعَ قطع النّظر عَن جعل جَاعل وَاعْتِبَار مُعْتَبر وَهَذِه الْحَقِيقَة لَا يتَوَصَّل إِلَيْهَا إِلَّا بِالْعلمِ وَالْيَقِين، بِخِلَاف الاعتبارية الَّتِي هِيَ المباحث المنوطة بالجعل وَالِاعْتِبَار، كالمباحث الشَّرْعِيَّة والعرفية، فَإِن الظَّن يعْتَبر فِيهَا عدم الْوُصُول إِلَى الْيَقِين

وَلَفْظَة الْحَقِيقَة مجَاز فِي مَعْنَاهَا، فَإِنَّهَا (فعلية) مَأْخُوذَة من الْحق، وَالْحق بِحَسب اللُّغَة: الثَّابِت، لِأَنَّهُ نقيض الْبَاطِل الْمَعْدُوم،

---

(١) الكامل في اللغة والأدب؟ محمد بن يزيد المبرد ٤/١٠٤

و (الفعيل) الْمُشْتَقّ من الْحق إِن كَانَ بِمَعْنى الْفَاعِل كَانَ مَعْنَاهُ الثَّابِت، وَإِن كَانَ بِمَعْنى الْمَفْعُول كَانَ مَعْنَاهُ الْمُثبت، نقل من الْأَمر الَّذِي لَهُ ثبات إِلَى العقد المطابق للْوَاقِع، لِأَنَّهُ أولى بالوجود من العقد غير المطابق، ثمَّ نقل." (١)

"[الضمار] : كل مَا لَا تكون مِنْهُ على ثِقَة فَهُوَ ضمار

[الضَّمَان] : كل شَيْء جعلته فِي وعَاء فقد ضمنته

[الضَّمِير] : كل ضمير وَقع بَين اثْنَيْنِ مُذَكّر ومؤنث هما عبارتان عَن مَدْلُول وَاحِد جَازَ فِيهِ التَّذْكِير والتأنيث كَقَوْلِهِم: (الْكَلَام يُسمى جملَة)

وَتَقْدِيم الضَّمِير على الْمَذْكُور لفظا وَمعنى غير جَائِز عِنْد النَّحْوِيين، وَقَالَ ابْن جني بِجَوَازِهِ وَإِن كَانَ مُتَأَخِّرًا عَنهُ لفظا وَمعنى فَلَا نزاع فِي صِحَّته، وَإِن كَانَ مُتَقَدما لفظا ومتأخرا معنى كَمَا فِي قَوْلك: (ضرب غُلَامه زيد) لِأَن الْمَنْصُوب مُتَأَخّر عَن الْمَرْفُوع فِي التَّقْدِير فَلَا جرم كَانَ جَائِزا، وَإِن كَانَ بِالْعَكْسِ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذ ابتلى إِبْرَاهِيم ربه﴾ فَلَا جرم كَانَ جَائِزا حسنا

وإلحاق ضمير الْمُؤَنَّث قبل ذكر الْفَاعِل يجوز بالِاتِّفَاقِ وَيحسن

وإلحاق ضمير الْجمع قبله قَبِيح عِنْد الْأَكْثَرين

وَإِذا اجْتمع فِي الضمائر مُرَاعَاة اللَّفْظ وَالْمعْنَى بُدِئَ بِاللَّفْظِ ثمَّ بِالْمَعْنَى

هَذَا هُوَ الجادة فِي الْقُرْآن: [كَقَوْلِه] ﴿وَمن النَّاس من يَقُول آمنا بِاللَّه وباليوم الآخر وَمَا هم بمؤمنين﴾

والعائد يَنْبَغِي أَن يُسَاوِي عدته المعود عَلَيْهِ فِي الْإِفْرَاد والتثنية وَالْجمع، وَيُوَافِقهُ فِي حَاله من التَّذْكِير والتأنيث، وَلَا يعود الضَّمِير غَالِبا على جمع العاقلات إِلَّا بِصِيغَة الْجمع سَوَاء كَانَ للقلة أَو للكثرة نَحْو: ﴿والوالدات يرضعن﴾

وورد الْإِفْرَاد فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَزْوَاج مطهرة﴾ وَأما غير الْعَاقِل فالغالب فِي جمع الْكَثْرَة الْإِفْرَاد، وَفِي جمع الْقلَّة الْجمع وَقد اجْتمعَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِن عدَّة الشُّهُور عِنْد الله اثْنَا عشر شهرا﴾ إِلَى أَن قَالَ ﴿مِنْهَا أَرْبَعَة حرم﴾ فَأَعَادَ مِنْهَا بِصِيغَة الْإِفْرَاد على الشُّهُور وَهِي للكثرة ﴿فَلَا تظلموا فِيهِنَّ﴾ فَأَعَادَهُ جمعا على ﴿أَرْبَعَة حرم﴾ وَهِي للقلة

وَلَا بُد للضمير من مرجع يعود إِلَيْهِ وَيكون ملفوظا بِهِ سَابِقًا مطابقا نَحْو: ﴿وَعصى آدم ربه﴾

أَو متضمنا لَهُ نَحْو: ﴿اعدلوا هُوَ أقرب﴾ أَو دَالا عَلَيْهِ بالالتزام نَحْو: ﴿إِنَّا أنزلْنَاهُ﴾ أَو مُتَأَخِّرًا لفظا لَا رُتْبَة مطابقا نَحْو: ﴿وَلَا يسْأَل عَن ذنوبهم المجرمون﴾

أَو رُتْبَة أَيْضا، وَذَلِكَ فِي بَاب ضمير الشَّأْن والقصة وَنعم وَبئسَ والتنازع

أَو مُتَأَخِّرًا دَالا بالالتزام نَحْو: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بالحجاب﴾

وَقد يدل عَلَيْهِ السِّيَاق فيضمر ثِقَة بفهم السَّامع نَحْو: ﴿كل من عَلَيْهَا فان﴾

وَقد يعود على لفظ الْمَذْكُور دون مَعْنَاهُ نَحْو: ﴿وَمَا يعمر من معمر وَلَا ينقص من عمره﴾." (٢)

---

(١) الكليات؟ أبو البقاء الكفوي ص/٣٦٢

(٢) الكليات؟ أبو البقاء الكفوي ص/٥٦٨

"كَانَ كَذَا) ، فَذَلِك إِشَارَة إِلَى حَاصِل الْحساب ونتيجته، ثمَّ أطلق لفظ الفذلكة لكل مَا هُوَ نتيجة متفرعة على مَا سبق حسابا كَانَ أَو غَيره، وَنَظِير هَذَا الْأَخْذ أَخذهم نَحْو الْبَسْمَلَة والحمدلة ونظائرهما من الْكَلِمَات المركبة الْمَعْلُومَة، وَهَذَا يُسمى بالنحت، وَقد يكون مثل ذَلِك فِي النّسَب كعبقسي وعبشمي إِلَى غير ذَلِك

الفريدة: هِيَ الْجَوْهَرَة الَّتِي لَا نَظِير لَهَا، وَالْجمع فرائد والفرائد فِي البديع: الْإِتْيَان بِلَفْظَة تتنزل منزلَة الفريدة من العقد، تدل على عظم فصاحة الْكَلَام وجزالة مَنْطِقه وأصالة عربيته بِحَيْثُ لَو أسقطت من الْكَلَام عزت على الفصحاء، وَمِنْه لَفْظَة حصحص فِي قَوْله: ﴿الْآن حصحص الْحق﴾ ، وخائنة الْأَعْين فِي قَوْله: ﴿يعلم خَائِنَة الْأَعْين﴾ ، وألفاظ قَوْله: ﴿فَإِذا نزل بِسَاحَتِهِمْ فسَاء صباح الْمُنْذرين﴾

الْفطْرَة: هِيَ الصّفة الَّتِي يَتَّصِف بهَا كل مَوْجُود فِي أول زمَان خلقته

الْفَلاح: الْفَوْز والنجاة والبقاء فِي الْخَيْر وَالظفر وَإِدْرَاك البغية

والفلاح أَيْضا: الشق وَالْفَتْح، وَمِنْه قيل: (الْحَدِيد بالحديد يفلح) وَهُوَ ضَرْبَان دُنْيَوِيّ وأخروي، فَالْأول هُوَ الظفر بِمَا تطيب بِهِ الْحَيَاة الدُّنْيَا، وَالثَّانِي مَا يفوز بِهِ الْمَرْء فِي الدَّار الْآخِرَة، وَهُوَ بَقَاء بِلَا فنَاء، وغنى بِلَا فقر، وَعز بِلَا ذل، وَعلم بِلَا جهل

الْفَهم: هُوَ تصور الشَّيْء من لفظ الْمُخَاطب

والإفهام: إِيصَال الْمَعْنى بِاللَّفْظِ إِلَى فهم السَّامع

والفكر: حَرَكَة النَّفس نَحْو المبادئ وَالرُّجُوع عَنْهَا إِلَى المطالب

وَالنَّظَر: مُلَاحظَة المعلومات الْوَاقِعَة فِي ضمن تِلْكَ الْحَرَكَة

الفحص: هُوَ يُقَال فِي إبراز شَيْء من أَشْيَاء مختلطة بِهِ وَهُوَ مُنْفَصِل

والتمحيص: يُقَال فِي إبراز شَيْء عَمَّا هُوَ مُتَّصِل بِهِ

الْفَاكِهَة: هِيَ الثَّمر كُله وَمَا قيل: هِيَ التَّمْر وَالْعِنَب وَالرُّمَّان مِنْهَا مستدلا بقوله تَعَالَى: ﴿فَاكِهَة ونخل ورمان﴾ بَاطِل مَرْدُود والفاكهة مَا يقْصد بهَا التَّلَذُّذ دون التغذي، والقوت بِالْعَكْسِ، والفاكهة صَاحبهَا، والفاكهاني بَائِعهَا

الْفُحْش: هُوَ عدوان الْجَواب، وَعَلِيهِ قَوْله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام لعَائِشَة: " لَا تَكُونِي فَاحِشَة "

الْفَحْل: الْقوي من ذُكُور الْإِبِل يشبه بِهِ البليغ الْكَامِل، وَجمعه فحول." (١)

"والتخيل، وتداعي المعاني، والإدراك، والانتباه، والحالات الوجدانية المختلفة، وغير ذلك من مسائل علم النفس، هي التي تفسر لنا كيف يتعلم الطفل اللغة كلاما ثم كتابة، وكيف يصوغ الإنسان عباراته ويكون جمله، ليعبر عن أفكاره، وكيف يفهم السامع ما يسمع، ويدرك القارئ ما يقرأ، من تلك الرموز الكتابية.

ولكي تدرك مقدار أثر الخبرات السابقة، في فهم الكلام لدى السامع، ضع أمامك ما تقول به الإحصاءات اللغوية، من أن "ما يحدث في الغالب خلال المكالمات التليفونية، هو وصول ٥٠٪ فقط من المحتوى الصوتي، ولكن يحدث تعويض عن طريق معرفة السامع بالمحتوى الدلالي، وعن طريق استنتاجه شبه الطبيعي، المؤسس على خبراته وعاداته السابقة.

(١) الكليات؟ أبو البقاء الكفوي ص/٦٩٧

ويلاحظ في مثل هذه الحالة، أنه إذا ورد ذكر كلمة غير مشهورة، كاسم أسرة مثلا، فإن الحديث يتوقف طلبا لنطق الاسم بوضوح أو تهجيه"١.

ولكل ذلك، لا ينبغي أن ندخل في اعتبارنا الصورة التي تصاغ عليها الأفكار فحسب، بل كذلك العلاقات التي توجد بين هذه الأفكار وحساسية المتكلم.

وعلى ذلك، فإن اللغة لا يصح أن تدرس على أنها أداة عقلية فحسب؛ لأن الإنسان كما يتكلم ليصوغ أفكاره، فإنه يتكلم ليؤثر في غيره من الناس، وليعبر عن أحساسه وشعوره وعواطفه، فهو يعبر باللغة عن

---

١ انظر: أسس علم اللغة لماريوباي ٩١.." (١)

"وثبوت الكتابة "لمحمود"، ومنه قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ ؟ فقد كانوا يزعمون: "أن اللعب حالة دائمة لإبراهيم، فاستفهموا من حدوث مجيئه لهم بالحق، ومثله قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ويقال: "كتب عليّ، ويشعر خالد" حيث أريد الإخبار بحدوث الكتابة "لعلي" فيما مضى، وحدوث الشعر "لخالد" في الحال أو فيما يستقبل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ عبر بالمضارع في الجملة الثانية، وإن كان القتل في الماضي؛ لأن الأمر فظيع فأريد استحضار صورته في النفوس، وقد يقال: "أكرمت محمدًا، وإن جئتني أكرمتك" حيث أريد: الإطلاق في الأولى، والتقييد في الثانية.

هذا ولو روعي التناسب في كل هذه المثل لم يفهم السامع المقصود.." (٢)

"العلم:

الأمثلة:

١- علي في الحديقة.

٢- جرت عائشة.

٣- تجري السفن بين مصر وأوربا.

٤- تشتهر أسوان بجودة الهواء.

٥- لندن أكبر بلاد الإنجليز.

٦- سافر أبي إلى دمياط.

البحث:

ننظر في الأمثلة السابقة فنرى أن الأسماء: علي، وعائشة، ومصر، وأوروبا، وأسوان، ولندن، ودمياط، يدل كل منها على شخص أو مكان معين معروف لنا، فهذه الأسماء إذًا معارف.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي؟ رمضان عبد التواب ص/١٣٩

(٢) المنهاج الواضح للبلاغة؟ حامد عونى ٢/١٢٦

وإذا بحثنا في سبب كونها معارف، رأينا أن الذي سمى كل شخص أو كل مكان أراد أن الاسم يدل عليه بعينه ويكون علامة له، فعندما سماك أبوك قصد أن يكون اسمك خاصا بك: إذا نطق به أي إنسان **فهِمَ السامع** أنكَ المقصود به دون غيرك، وإذا كان لك قط وسميته اسما فإن هذا الاسم يدل عليه ويعينه، وهذا النوع من المعارف يسمى علما.." [1]

"ثم إذا رجعنا إلى الأمثلة الثلاثة الأولى، وبحثنا في معناها قليلا رأينا أن الكلمات المنصوبة وهي لعبا، وخطفا، وشربا، أضافت إلى الجملة معنى جديدا فإن "لعب حسن لعبا" أقوى من "لعب حسن"؛ لأننا في الجملة الأولى نريد أن **نفهم السامع** أن حسنا لعب حقيقة، وأنه يجب ألا يشك في ذلك، فكلمة "لعبا" أكدت المعنى، وكذلك يقال في المثالين الآخرين. وبتأمل معنى الأمثلة الثلاثة الثانية نرى الأسماء المنصوبة فيها أفادتنا فائدة جديدة لأننا حينما نقول: "يثب النمر" ونسكت، لا **يفهم السامع** إلا حصول الوثوب من النمر، ولكنا إذا قلنا بعد ذلك: "وثوب الأسد" **فهم السامع** نوع هذا الوثوب، فهذا الاسم المنصوب بين نوع الفعل، كذلك يقال في المثالين الآخرين.

وعند الرجوع إلى الأمثلة الثلاثة الأخيرة، نرى أننا استفدنا من الأسماء المنصوبة فائدة ظاهرة، فإن "أكل علي" تدل على أنه حصل منه أكل من غير أن نعرف عدد مرات هذا الفعل، فإذا أضفنا إلى ذلك "أكلتين" عرف ذلك العدد، وكذلك يقال في المثالين الآخرين.

والآن نستطيع أن نقول إن كل اسم من هذه الأسماء التي تؤكد الفعل أو تبين نوعِهِ أَو عَدَدِهِ يسمى مفعولا مطلقا.

القواعد:

٩٦- المفعول المطلق: اسم منصوب موافق للفعل في لفظه، ويجيء بعد الفعل لتأكيده، أو لبيان نوعِهِ، أَو عَدَدِهِ.." [2]

"هبك قلت: "مكثت بالإسكندرية" فهل يعرف السامع من هذه الجملة مدة إقامتك بها؟ الجواب لا، ولكنك إذا قلت: "شهرًا" عرف السامع مدة مكثك بالإسكندرية، وهبك قلت: "شرب المريض الدواء" فإن السامع لا يفهم من ذلك الوقت المحدود الذي شرب المريض فيه دواءه، فإذا قلت: "صباحًا" عرف السامع ذلك، وهكذا يقال في الأمثلة الثلاثة الأخرى، فهذه الأسماء المنصوبة التي تعين الزمن الذي حصل فيه الفعل تسمى ظروف الزمان.

ننظر الآن إلى الأمثلة الأخرى ونتأمل الكلمات: أمام، تحت، خلف، فوق، ميلا، فنجد أنها أيضا أسماء منصوبة، ثم نبحث عن ارتباط كل كلمة منها بالفعل الذي في جملتها على النحو الذي سبق في ظروف الزمان، فنرى أنه إذا قال قائل: "وقفت" لم **يفهم السامع** إلا أنه وقف، ولكنه لا يعرف المكان الذي وقف فيه، فإذا قال: "أمام المرآة" بين السامع مكان الوقوف، وإذا قال إنسان: "جلست الهرة" لم يعرف السامع أين جلست، ولكنه إذا قال: "تحت المائدة" عرف مكان جلوسها، وكذلك يقال في الأمثلة الثلاثة الأخرى، فهذه الأسماء المنصوبة التي تبين المكان الذي حصل فيه الفعل تسمى ظرف المكان، ويسمى كل من ظروف الزمان وظروف المكان مفعولا فيه.

القواعد:

---

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية؟ علي الجارم ١/١٩٤

(٢) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية؟ علي الجارم ١/٢٣٤

٩٨- ظرف الزمان: اسم منصوب يبين الزمن الذي حصل فيه الفعل.

٩٩- ظرف المكان: اسم منصوب يبين المكان الذي حصل فيه الفعل.." (١)

"الحال

مدخل

...

الحال:

الأمثلة:

١- عاد الجيش ظافرًا.

٢- أقبل المظلوم باكيًا.

٣- جرى الماء صافيًا.

٤- بعت القطن محلوجًا.

٥- لا تَشْرَبِ الماءَ كدرًا.

٦- لا تلبس الثوب ممزقًا.

البحث:

انظر إلى الكلمات: ظافرا، وباكيا، وصافيا، ومحلوجا، وكدرا، وممزقا، في الأمثلة المتقدمة، تجدها جميعا أسماء منصوبة، وهذا بيّن واضح؛ ولكنا نريد أن نعرف المعنى الذي استفاده السامع من وجود هذه الكلمات في الجمل.

هبك قلت: "عاد الجيش"، فهل **يفهم السامع** شيئا أكثر من وقوع العودة من الجيش الذي هو الفاعل في هذه الجملة؟ الجواب لا. ولكنك إذا أضفت إلى الجملة "ظافرا" **فهم السامع** هيئة الجيش وحاله التي كان عليها حين عودته.

كذلك لو قلت: "بعت القطن" لم **يفهم السامع** الحال التي كان عليها القطن حين بيعك إياه، ولكنك إذا قلت: "بعت القطن محلوجا" عرف السامع حال القطن الذي هو المفعول به في هذه الجملة حين البيع.

وبهذه الطريقة تستطيع أن تدرك أن الكلمات الأخيرة في أمثلة القسم الأول، إنما جاءت لتبين هيئة الفاعل وتشرح حاله حينَ وقوع الفعل، ولذلك يسمى كل منها حالا من الفاعل، كما يسمى الفاعل في الجمل نفسها صاحب الحال؛ وكذلك تستطيع أن تدرك أن كل كلمة من الكلمات الأخيرة في القسم الثاني حال من المفعول به، وأن الْمفْعُولَ بهِ هُوَ صاحب الحال.

القواعد:

---

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية؟ علي الجارم ١/٢٤٤

١٤٥- الحال اسم منصوب يبين هيئة الفاعل أو المفعول به حينَ وقوع الفعل، ويسمى كل من الفاعل أو المفعول به صاحب الحال.." (١)

"التمييز

مدخل

...

التمييز:

الأمثلة:

١- اِشْتَرَيْتُ رِطْلاً بَلحاً.

٢- غَلَّتِ الأرضُ إِرْدَباً قَمْحاً.

٣- بَاعَنِي التاجرُ ذِراعاً حَرِيراً.

٤- فِي الْحَقْلِ عِشْرُون بَقَرَةً.

٥- طَابَ المكانُ هَوَاءً.

٦- فَاضَ القَلْبُ سُرُوراً.

٧- الْعِنَبُ من ألذ أنواع الْفاكِهَةِ طَعْماً.

٨- القاهرةُ أَكثرُ مِنَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ سُكَّاناً.

البحْثُ:

إذا قلت: "اشتريتُ رطْلاً" لم **يفهم السامع** ما تريده بالرّطل، فهو لا يَدْرى أبلحاً اشتريتَ، أم سمناً، أم عسلاً، وذلك لأن "الرطل" اسم مُبْهَم يصلح لأن تراد به هذه المعاني الكثيرة، ولكنك إذا قلت: "بلحاً" زال الإبهام **وفَهِمَ السامع** مُرادك تمام الفهم؛ لأنك ميَّزت له الرطل وبينت له المقصود منه، ولذلك يسمى لفظ "بلحاً" تمييزاً، كما يسمى الاسم المبهم وهو "رطلاً" مميَّزاً، وبذلك تستطيع أن تقول إن كل اسم من الأسماء الأخيرة في الأمثلة المتقدمة تمييز للمبْهَمْ قَبْلَه، وإن ذلك المبهم هو الْمُمَيَّز.." (٢)

"الاختِصَاصُ:

الأمثلة:

١- نحنُ -الشبانَ- نُجِلُّ آراءَ الْمُجَرّبين.

نَحْنُ -الطلبةَ- شِعَارُنا الْجِدُّ.

نَحْنُ -بَنِي العَربِ- نُغيث الْمَلْهُوفَ.

---

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية؟ علي الجارم ٣٤٣/١

(٢) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية؟ علي الجارم ٣٥٢/١

إنَّا –معشرَ المصْرِيِّين– نَكْرِمِ الضّيْف.

٢– عَلَيَّ –أيها المقدامُ– يُعَوَّلُ.

اعْفُ عَنَّا أيتها الفئة النادمة.

اتبعُوني –أيُّها المُرْشِدُ– تَفُوزوا.

البحث:

إذا قلت: "نحن" أو "إنَّا" عَرَفَ السامع أنك تتكلم عن طائفتكم، ولكنه قد لا يعرف الطائفة التي تُنسب إليها وتتحدث بلسانها، فإذا قلت: "نحن الشبَّانَ" أو "نحن الطلبَة" بيَّنتَ المقصود من الضمير ووضحت للسامع نوعَ الطائفة التي أنت منها، وهذا يسمى "بالاختصاص" والاسم "المختص" منصوب بفعل محذوف وجوباً، تقديره "أَخُصُّ" فهو في الحقيقة مفعول به.

وإذا قلت: "عَلَيَّ يُعوَّل" **فهِمَ السامع** أنكَ تفخر بأنك سَنَدُ الناس عند الشدة، غير أنك إذا أردت أن تبيّن له صفة فيك تؤيد صحة دعواك في موطن الفخر قلت: "أيُّها المقدام يُعوَّل".." (١)

"المسألة الخمسون: أفعال المقاربة، وأفعال الشروع، وأفعال الرجاء ... ١

أفعال المقاربة – معناها:

فى جملة مثل: "الماء يَغلى"، **يفهم السامع** بسبب وجود الفعل المضارع: أن الماء فى حالة غليان الآن٢، أوْ: أنه سيكون كذلك فى المستقبل٣. فإذا قلنا: "كاد الماء يغلى" – اختلف المعنى تماماً؛ إذ نفهم أمرين، أن الماء اقترب من الغليان اقتراباً كبيراً، وأنه لم يَغْلِ بالفعل، أى: أنه فى حالة إنْ استمرت زمناً قليلا فسيغلى. والسبب فى اختلاف المعنى الثانى عن الأول هووجود الفعل: "كاد" فى الجملة الثانية، مع أنه ماض٤.

وكذلك الشأن: فى: "القطار يتأخر" إذ نفهم من الجملة أن القطار يباشر التأخر الآن، أوفى المستقبل. فإذا قلنا: "كاد القطار يتأخر ... " تغيَّر المعنى، وفهمنا أمرين؛ أنه اقترب من التأخر جدًّا، وأنه – بالرغم من ذلك – لم يتأخر فى الواقع. أى: أنه فى حالة، إنْ طال زمنها قليلا يقع فى التأخر. والسبب فى اختلاف المعنى الثانى عن الأول وجود الفعل الماضى: "كاد".

ومثل ما سبق: "الكأس تتدفق ماء" فالمعنى: أن الماء يفيض منها الآن، أومستقبلا. فإذا قلنا: "كادت الكأس تفيض ماء" تغير المعنى، وانحصر في

---

١ هذا أحد أبواب النواسخ، وقد عرفنا أن اسم الناسخ لا يكون شبه جملة.

٢ أي: وقت الكلام، وهو: الزمن الحالي.

٣ هو الزمن الذي بعد الكلام.

---

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية؟ علي الجارم ٢/٤٤٣

٤ يلاحظ هنا أن المضارع في خبرها ينقلب زمنه قريبا جدا من الحال - "كما سبق في ص ٥٧ وسيجيء في رقم ٧ من هامش ص ٦١٥" -كما أن زمنها الماضي ينقلب ماضيا قريبا من الحال، ليتوافق زمن الفعل مع زمن خبره، فإذا قلت: كاد المطر ينزل، فالمراد قرب زمن نزوله من الحال، وأنه لم ينزل فعلا. وقد يكون الزمن: "كاد" وفي خبرها مقصورا على الماضي وحده، أو على المستقبل، حين تقوم القرينة القاطعة على أن المراد المقاربة فيما مضى، أو فيما يستقبل، مثل: كاد القطار يتأخر أمس - يكاد المريض يغادر المستشفى غدا.

"راجع في كل ما سبق جـ ٧ ص ١١٥ من شرح المفصل: الأفعال المقاربة".." (١)

"للمتكلم، وهو الفوز، أما المجهول الذي يريد أن يعرفه فهو الفائز.

وقد تقع بين مفردين تعطفاهما، مع تأخر شيء عنها لا يسأل عنه المتكلم؛ تقول في المثال السالف: أمحمد أم محمود هو الذي فاز؟ وكأن يقول قائل: كتاب "العقد الفريد" كتاب أدبي نفيس، فتقول: نعم سمعت اسمه يتردد كثيرًا. ولكن أغال أم رخيص كتاب "العقد الفريد"؟ فأنت تسأل عن غلوه ورخصه، وتطلب بسؤال تعيين أحدهما، وليست تسأل عن الكتاب ذاته، فإنك تعرفه ...

ومن الأمثلة السسالفة يتبين أ، الذي يلي الهمزة مباشرة هو واحد مما يتجه إليه الاستفهام، يراد معرفته وتعيينه، أما الذي لا يتجه إليه الاستفهام فيتوسط أو يتأخر١ . وهذا الحكم هو الأكبر والأول، ولكنه ليس بالواجب؛ فليس من المحتم أن يلي الهمزة أحد المرين اللذين يتجه إليهما الاستفهام لطلب التعيين. بل يصح -عن أمن اللبس- أن يقال: أكتاب "العقد الفريد" غالٍ أم رخيص؟ وهذا -بالرغم من صحته- قليل، ودرجته البلاغية ضئيلة ومراعاة الأكثر هي الأحسن.

٢- ومنها: أن تقع بين جملتين ليستا في تأويل مصدر٢، وتعطف ثانيتهما على الأولى، وهما، إما فعليتان، نحو: أزراعة مارست، أم زاولت التجارة؟ وإما اسميتان، نحو: أضيفك مقيم غدًا أم ضيفك مسافر؟ وإما مختلفان، نحو: أأنت كتبت رسالة لأخيك الغائب أم أبوك كاتبها؟

٣- ومنها: أن تقع بين مفرد وجملة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ ٣ أَدْرِي

---

١ لزيادة الإيضاح قالوا: إن الشرط الذي يغلب تحققه في الهمزة المعادلة "أم" -كما سبق- نهو أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين واحد منهما، وأن يلي الآخر "أم" ليفهم السامع من أول الأمر نوع الشيء الذي يطلب المتكلم تعيين. تقول إذا استفهمت بالهمزة عن تعيين المبتدأ دون الخبر: أعليٌ قائم أم سعيد، وإن شئت قلت: أعليٌ أم سعيد قائم. فقد توسط الخبر دون المبتدأ: أقائم سعيد أم قاعد، وإن شئت قلت: أقائم أم قاعد سعيد؟ وعلى الآخر بأنه الخبر الخاضع للقرينة؛ كالتعريف أو التنكير هنا ... فما كان منهما معرفة فالأحسن اعتباره هو المبتدأ ولو كان متأخرًا واعتبار النكرة هي الخبر، فإن كانا معرفتين فأقواهما في درجة التعريف هو المبتدأ ... وما سبق هو الأغلب الأفصح. أما غيره -هو جائز عند أمن اللبس. مع ضعف درجته البلاغية- فإن يقع بعد الهمزة مباشرة ما ليس من الأمرين المراد تعيين أحدهما.

---

(١) النحو الوافي؟ عباس حسن ٦١٤/١

٢ لعدم وجود ما يقضي سبك الجملة، وتأويلها بالمصدر.

٣ إن حرف نفي، بمعنى: "ما".." (١)

"أَوِ اسْتُطِيرَ» أَيْ ذُهِبَ بِهِ بِسُرْعَةٍ كَأَنَّ الطَّيْر حَمَلته، أَوِ اغْتَالَه أحدٌ. والاسْتِطَارَة والتَّطَايُر: التَّفَرُّقُ والذَّهابُ.

(هـ) وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ «فأَطَرْتُ الحُلَّةَ بينَ نِسَائِي» أَيْ فَرّقتُها بينَهُنّ وقسَّمْتها فيهنّ.

وَقِيلَ الهمزةُ أصْلِيَّةٌ. وَقَدْ تقدَّم.

(س) وَفِيهِ «لَا عَدْوى وَلَا طِيَرَةَ» الطِّيَرَة بِكَسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ، وَقَدْ تُسَكَّن: هِيَ التَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ. وَهُوَ مَصْدَرُ تَطَيَّرَ. يُقَالُ: تَطَيَّرَ طِيَرَةً، وتَخَير خِيَرَةً، ولم يجيء مِنَ الْمَصَادِرِ هَكَذَا غَيْرُهُمَا. وأصلُه فِيمَا يُقال: التَّطَيُّر بالسَّوَانح والبَوارِح مِنَ الطَّيْر وَالظِّبَاءِ وغَيرهما. وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدّهم عَنْ مَقَاصِدِهِمْ، فَنَفَاهُ الشَّرْعُ، وأبطله ونَهى عنه، وأخبره أنَّه لَيْسَ لَهُ تأثِيرٌ فِي جَلْب نفْعٍ أَوْ دَفعِ ضَرٍّ. وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الْحَدِيثِ اسْماً وفِعْلاً.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «ثَلاثٌ لَا يَسْلَم أحدٌ منهنَّ: الطِّيَرَة والحَسَدُ والظَّنُّ. قِيلَ: فَمَا نَصْنَع؟ قَالَ: إِذَا تَطَيَّرْتَ فامْضِ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّق» .

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ «الطِّيَرَة شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إلاَّ، ولكَنَّ اللَّهَ يُذهِبُه بالتَّوكُّل» هَكَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مَقْطُوعاً. وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُسْتَثْنَي: أَيْ إلاَّ وقَد يَعْتَرِيه التَّطَيُّر وتَسْبق إِلَى قَلْبه الكَراهَةُ.

فحُذف اخْتِصاراً واعْتِماداً عَلَى فَهْم السَّامع.

وَهَذَا كحديثِه الْآخَرِ «مَا فِينَا إِلَّا منْ هَمَّ أَوْ لَمَّ، إلاَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا» فأظْهرَ الْمُسْتَثْنَى.

وَقِيلَ إنَّ قَوله: «وَمَا مِنَّا إلاَّ» مِن قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ أدْرَجَه فِي الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا جَعَل الطِّيَرَة مِنَ الشِّرْك، لأَنَّهُم كَانُوا يَعْتَقِدُون أَنَّ التَّطَيُّر يَجْلب لَهُمْ نفْعاً أَوْ يَدْفَع عَنْهُمْ ضرّاً إِذَا عَمِلوا بمُوجبه، فكأنَّهم أشْرَكُوه مَعَ اللهِ فِي ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبه بالتَّوكُّل» مَعْنَاهُ أَنَّهُ إِذَا خَطر لَهُ عارِضُ التَّطَيُّر فتوَكَّل عَلَى اللهِ وسلَّم إِلَيْهِ وَلَمْ يَعْمَل بِذَلِكَ الخَاطر غَفره اللَّهُ لَهُ وَلَمْ يُؤاخِذْه بِهِ.

(هـ) وَفِيهِ «إِيَّاكَ وطِيَرَاتِ الشَّبَابِ» أَيْ زَلَّاتِهِمْ وَغِرَّاتِهِمْ «١» ، جَمْعُ طِيَرَة.

---

(١) فِي الأصل واللسان: «وعَثَراتِهم» وأثبتنا ما فِي الهروى وا.." (٢)

"وقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ١، وقول بعض العرب "الرجز":

فغنها وهي لك الفداء ... إن غناء الإبل الحداء٢

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض؛ روي عن الأصمعي أنه قال: كان أبو عمرو بن العلاء٣ وخلف

---

(١) النحو الوافي؟ عباس حسن ٣/٥٩٢

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر؟ ابن الأثير، أبو السعادات ٣/١٥٢

الأحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما، ويكتبان عنه متواضعيْنِ له، حتى يأتي وقت الزوال، ثم ينصرفان. فأتياه يوما، فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكما، قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب!! قال: نعم، إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب؛ فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف، قالا: فأنشدناها يا أبا معاذ، فأنشدهما "الخفيف":

بكرا صاحبي قبل الهجير ... إن ذاك النجاح في التبكير٤

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان "إن ذاك النجاح":

---

١ آية ٥٣ سورة يوسف، فإن قوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ يلوِّح بقبح نفسها "امرأة العزيز". ولا يخفى أن هنا توكيدين، وهذا يفيد جواز تعدد التوكيد في المتردد وما ينزل منزلته، فيكون الفرق بينه وبين المنكر في الوجوب والاستحسان فقط. وقيل: إن أحد التوكيدين لاستبعاد الخبر في ذاته.

٢ لا يعلم قائله. والضمير في قوله: "فغنها" للإبل أي: فغن لها، والحداء بضم الحاء وكسرها مصدر: "حدا الإبل" إذا ساقها وغنّى لها. والشاهد في أنه حين يقول: "غنها" ليشتد سيرها يفهم السامع أن غناءها هو الحداء الذي تساق به، فتستشرف له نفسه، ومن هذا قول أبي نواس "من بحر السريع":

عليك باليأس من الناس ... إن غنى نفسك في الياس

٣ رواية الأغاني: "كان خلف بن عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ... " وقد ساق القصة كما هنا.

٤ هو لبشار بن برد. والهجين: من الزوال إلى العصر.. أو شدة الحر. والشاهد في أن الشطر الأول يلوح بالثاني؛ ولهذا أتى به مؤكدا.." (١)

"الحمد لله. وقال السكاكي١: يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالا؛ كأنه قال: نحن فعلنا إيتاء العلم، وهما فعلا الحمد، من غير بيان ترتّبه عليه؛ اعتمادا على فهم السامع٢ كقولك: "قم يدعوك" بدل: قم، فإنه يدعوك.

واعلم أن الحذف على وجهين:

أحدهما: ألا يقام شيء مقام المحذوف كما سبق٣.

والثاني: أن يقام مقامه ما يدل عليه؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ [هود: ٥٧] ليس الإبلاغ هو الجواب؛ لتقدمه على توليهم، والتقدير: "فإن تولوا فلا لوم علي لأني قد أبلغتكم"، أو: فلا عذر لكم عند ربكم لأني قد أبلغتكم. وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] أي: فلا تحزن واصبر؛ فإنه قد كذبت رسل من قبلك، وقوله: ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] أي: فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين٤.

وأدلة الحذف٥ كثيرة: منها أن يدل العقل على الحذف، والمقصود الأظهر٦ على تعيين المحذوف؛ كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة؟ عبد المتعال الصعيدي ٤٦/١

عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... ﴾ الآية [المائدة: ٣] ، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... ﴾ الآية [النساء: ٢٣] ؛ فإن العقل يدل على الحذف لما مر٧، والمقصود الأظهر يرشدك إلى أن التقدير: حرم." (١)

"شَيْء: مَا يكونُ ﴿تَمامَ غايَتِه، كَقَوْلِك: هَذِه الدراهِمُ﴾ تَمامُ هذِهِ المائةِ، ﴿وَتَتِمَّةُ هذِهِ الْمِائَة.

قَالَ شيخُنا: وَقد سَبَقَ فِي ((ك م ل)) أنّ﴾ التَّمامَ والكَمالَ مُترادِفان عِنْد المُصَنّف وَغيره، وأَنَّ جَماعةً يفرقون بَيْنَهما بِمَا أَشَرْنا إِلَيْهِ. وَزعم العَيْنِيُّ أنّ بَينهمَا فَرْقاً ظاهِرًا وَلم يُفْصِحْ عَنهُ، وَقَالَ جماعةٌ: التّمامُ: الإتْيانُ بِمَا نَقَص من الناقِص، والكَمالُ: الزِّيادةُ على التَّمامِ، فَلَا **يَفْهَمُ السامِعُ** عَرَبِيًّا أَو غَيره مِنْ رجُلٍ تامّ الخَلْقِ إلاّ أَنّه لَا نَقْصَ فِي أَعْضائه، وَيَفْهَمُ من كاملٍ وَخَصَّه بِمَعْنَى زائدٍ على التَّمامِ كالحُسْنِ والفَضْلِ الذاتيّ أَو العَرَضي، فالكَمال تَمامٌ وزِيادَة، فَهُوَ أَخَصُّ وَقد يُطْلَق كُلٌّ على الآخَرِ تَجَوُّزًا، وَعَلِيهِ قولُه تَعالَى: ﴿الْيَوْم أكملت لكم دينكُمْ ﴿وَأَتْمَمْت عَلَيْكُم نعمتي﴾

كَذَا فِي كتاب التَّوْكِيد لِابْنِ أبي الإِصْبَعَ. وَقيل: التّمام يَسْتَدْعِي سَبْقَ نَقْصٍ بِخِلَاف الكَمال. وَقيل: غير ذَلِك مِمّا حَرَّره البَهاءُ السُّبْكِيُّ فِي عَرُوسِ الأَفْراح وابنُ الزَّمْلَكاني فِي شَرْحِ التِّبْيان وَغير وَاحِد. قلت: وَقَالَ الحَرَالِيُّ: الكَمالُ: الانْتِهاء إِلَى غايَةٍ لَيْسَ وَراءها مَزِيدٌ من كُلِّ وَجْه. وَقَالَ ابنُ الكَمال:: كَمالُ الشَّيْءِ حُصولُ مَا فِيه الغَرَضُ مِنْه، فَإِذا قيل: كَمُلَ فَمَعْناهُ حَصَلَ مَا هُوَ الغَرَض مِنْه.

(ولَيْلُ﴾ التِّمامِ، كَكِتابٍ) ، ولَيْلُ ﴿تِمام، كِلَاهُمَا بِالْإِضَافَة، (ولَيْلٌ) تِمامٌ، ولَيْلٌ (﴾ تِمامِيٌّ) كِلاهُما على النَّعْت: (أَطْوَلُ) مَا يكونُ من (لَيالِي الشِّتاءِ) ، قَالَ الأَصمعيُّ: وَيَطُولُ لَيْلُ التِّمام حَتَّى تَطْلع فِيهِ النُّجُوم كلّها، وَهِي لَيْلَة ميلادِ عِيسَى على نَبِيّنا وَعَلَيهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام، والنَّصارَى تَعظّمها وَتقوم فِيهَا. (أوْ." (٢)

"للشاعر وتقديره للشعر في آن معاً، وإذا كانت المعاصرة تتحمل الوجه الثاني، فإن التدقيق في هذه العبارات قد ينفي القول بأن كلام أبي حيان تعميمي، لأن كل حكم يرسله يدل على تعمق في الدراسة، مع انتحاء الناحية التصويرية أحياناً في هذه الأحكام. وحسبك أن تقرأ قوله مثلاً " وأما أبن جلبات فمجنون الشعر " حتى تحس أن جملة مثل هذه تستوعب كثيراً مما لو أخذ بالتحليل لأفردت له دراسة كاملة، ولكن هل كانت هذه الأحكام تنطبق على هؤلاء الشعراء تماماً؟ ذلك أمر يعز اليوم القطع به، وحسبنا أن أبا حيان فذ في هذه " الطريقة التصويرية " في النقد؛ تلك الطريقة التي استخدمها أيضاً في الحديث عن الناثرين فقال في الصابي مثلاً: " لا يثب ولا يرسب، ولا يكل ولا يكهم، ولا يلتفت وهو متوجه، ولا يتوجه وهو ملتفت " (١) . وقد حاول من كتبوا " المقامات النقدية " من بعد – كما سنوضح ذلك في موضعه – أن يحتذوا هذه الطريقة، فلم يكن لهم ذكاء أبي حيان ولا جمال تصوره وتصويره.

(ب) تقرير أصول البلاغة وتطبيقها عملياً:

تقرير مفهوم البلاغة

أورد أبو حيان قول إبراهيم الإمام " يكفي من خط البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة؟ عبد المتعال الصعيدي ٣٤٣/٢

(٢) تاج العروس؟ الزبيدي، مرتضى ٣٣٢/٣١

سوء فهم السامع " ثم علق عليه بقوله: " وهذا الحكم من إبراهيم مبتور لان الإفهام قد يقع من الناطق ولا يكون بما أفهم بليغاً، والفهم قد يقع للسامع ممن ليس ببليغ ولا يكون بليغاً، وليس اشتراكهما في التفاهم بلاغة " (٢) . وذهب التوحيدي يحدد البلاغة بأنها تعتمد على الطبع أو على الصناعة أو على الاثنين معاً، وعلى هذا تجيء البلاغة في ثلاثة مستويات؛ بلاغة المطبوع ولا يخلو

---

(١) الإمتاع ١: ٦٧.

(٢) البصائر ١: ٣٦٢ – ٣٦٣ وقول إبراهيم في البيان ١: ٨٧.." [١]

"باب الأرداف والتتبيع

هذا الباب مما فرعه قدامة أيضاً من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وسماه هذه التسمية، وشرح تسميته بأن قال: هو أن يريه المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ويعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه أي قريب من لفظه قرب الرديف من الردف، مثل قوله تعالى: " واستوت على الجودي " فإن حقيقة ذلك وجلست على هذا المكان، فعدل عن لفظ المعنى الخاص به إلى لفظ هو ردفه، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من قولك جلست أو قعدت أو غير ذلك من ألفاظ الحقيقة، إذ كان المراد والله أعلم الإخبار ينفي الأسباب الموجبة خوف أهل السفينة من السفينة في حالتي حركتها وسكونها، وذلك لا يحصل حتى يفهم السامع أنها جلست جلوساً متمكناً لا يمل فيه يوجب الخوف، ولا يحصل إلا بلفظ الاستواء دون غيره، وقد جاء في السنة من أمثلة هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة في حديث أم زرع حيث قالت: " زوجي رفيع العماد، عظيم الرماد، قريب البيت من المناد " فإنها أرادت مدح زوجها بتمام الخلق والتقدم على قومه ونهاية الكرم، ولو عبرت عن هذه المعاني بألفاظها لاحتاجت بإزاء كل معنى لفظاً يخصه، فتكثر الألفاظ، ولا يدل كل لفظ إلا على معناه فقط، وألفاظ الإرداف كل لفظ منها يدل على جميع ما أرادت من صفات المدح على انفراد، لا، قولها رفيع العماد يدل على تمام الخلق إذ بناء البيوت على مقادير أجسام الداخلين لها غالباً، ويدل على عظم قدر صاحبه، إذ لا يقدر على أن يرفع بيته على البيوت إلا من قدره مرتفع على الأقد، ارويدل على الكرم أيضاً، لأن الوفود والضيفان يعمدون إلى قصد البيوت المرتفعة دون بيوت الصرم وكذلك عظم الرماد يدل على عظم القدر وعظم الكرم وكثرة الثروة، ومثله قولها " قريب البيت من." [٢]

"قال السيخ: جعل الباء هاهنا مع اسم بمنزلة الكلمة الواحدة الثلاثية نحو رجل وجذع، ولعل هذه الكلمة ما استعملت على هذه السجية إلا في هذا البيت، لأنه جعلها بمنزلة كلمة واحدة. وأدخل عليها التنوين. ولو أنها بسم الله لحسن أن تحكى على ما هي عليه، فيقال: كتبت في صحائف المجد بسم الله، فأما قول القائل:) إن لوا وإن ليتا عناء (. فليس هو هذا الجنس، لأنه أخرج) لو (من بابها، وجعلها كلمة معربة، ولا من نحو قولهم: مررت ببرق نحره، لأن الجمل إذا

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب؟ إحسان عباس ص/٢٣٠

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر؟ ابن أبي الأصبع ص/٢٠٧

سمي بها فهي محكية في النصب والرفع والخفض.

ومن التي أولها:

ألا لا أُرِي الأَحْدَاثَ حَمْداً ولا ذَمَّا ... فَما بَطْشُها جَهْلاً ولا كَفُّها حِلمَا

قال ابن جني: يقول لا ذنب للمصائب فأذمها، ولا إحسان فأحمدها، لأنها غير ناطقة في الحقيقة، وإنما تنسب إليها الأفعال استعارة ومجازا وقال الشيخ أبو العلاء:) أري (في البيت بمعنى أعلم، وهي تستعمل كثيرا على هذا الوجه، وأصل الرؤية في العين، ثم استعملت في العلم والاعتقاد والمشورة ونحو ذلك، تقول: المسلم يرى أن الصلاة فرض، أي يعتقد وفلان يرى أن تفعل كذا، أي يشير عليك.

إلى مِثْلِ ما كانَ الفَتى مرْجعُ الفتى ... يَعُودُ كما أبدَى ويُكْري كما أرمْى

قال الشيخ: يقال بدأ الشيء بالهمز وهي اللغة الجيدة، ويقال أبدى في معنى بدا، وهي قليلة، ويقال أكرى الشيء إذا نقص، وأكرى إذا زاد، وهي من الأضداد، وكرى الزاد إذا نقص، وأكرى الرجل إذا نقص زاده، قال الشاعر:

كذِي زادٍ مَتى ما يُكْرِمَنهُ ... فليس وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزّادِ

وأرمى على الشيء إذا زاد عليه، والاسم منه الرما، وفي الحديث " إني أخاف عليكم الرماء " أي الربا، والمعنى أن الفتى كان معدوما، وإلى مثل ذلك يعود.

بَكَيْتُ عليها خِيفَةً في حياتِها ... وذَاقَ كِلانا ثُكْلَ صاحِبِهِ قِدْما

قال الشيخ: يقول كنت أعلم أنني لا بدلي من فراقك، فكنت أبكي عليها والفراق لم يكن، وكانت هي من لإشفاقها علي كأنها ثكلة وهذا نحو قوله: مَنْ رآها بِعَيْنه شاقَهُ القُطّان فيها كَما تَشُوقُ الحُمُولُ

منَافِعُها ما ضَرَّ في نَفْعِ غَيرها ... تَغَذَّى وتَرْوَى أنْ تجوَع وأَنْ تَظما

قال الشيخ: يقول هذه المرأة كانت ترى أنها تنتفع بنفع غيرها، وإن كان نفعها إياه يضرها، والمراد أنها تطعم المساكين، وتجوع وتطمأ وظمؤها في نفسها ري وكأن هذا مأخوذ من قوله تعالى) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (.

ومن قول الهذلي:

أقسّمُ جِيمي في جسُومٍ كثيرَةٍ ... وَأوثِرُ غَيري مِن عِيالِكِ بالطُّعِمِ

وقال ابن فورجة: هذا أحد الأبيات التي زل فيها الشيخ أبو الفتح بن جني فقال أي منافع الأحداث أن تجوع وأن تظمأ، وهذا ضار لغيرها، ومعنى جوعها وظمئها أن تهلك الناس، فتخلى منهم الدنيا وهذه كقوله أيضا: كالمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ ولا شبعُ فرحم الله أبا الفتح أليس قد قال) في نفع غيرها (فأي نفع للناس في أن يهلكوا، وإنما الهاء في) منافعها (راجعة إلى الجدة المرثية، يريد أن منافع هذه المرأة لصلاحها وتقواها، وإيثارها على نفسها، وكثرة صيامها وعبادتها، ما جرت العادة به أن يضر، وذاك أنها تؤثر الجوع والظمأ على الري والشبع، فإذا جاعت وظمئت كأنها تغذت ورويت، وقوله) في نفع غيرها (موضعه الرفع لأنه خبر ثان لمنافعها، والخبر الأول) ما ضر (ويجوز أن يكون في بمعنى مع، يريد ما ضرها مع نفع غيرها، كما تقول أردت شتمك في إكرام زيد، أي مع إكرام زيد.

إذا فَلَّ عَزْمِي عَم مدىً خوْفَ بُعْدِهِ ... فأبْعَدُ شَيْ ممكِنٌ لم يجَدْ عَزْما

قال ابن جني: يقول: وجود الممكن مع عدم العزم، أبعد عن الوقوع من وجود عزم مع بعد لمطلب أي إذا لم يكن عزم لم يوصل إلى شيء البتة.

وَإني لَمنْ قَوْمٍ كأنَّ نُفُوسَنا ... بها أنَفٌ أنْ تَسكُنَ اللَّحْمَ والعَظْما

قال الشيخ: كان أبو الطيب له مذهب في أن يحمل الضمير على المعنى كقوله في هذا البيت) كأن نفوسنا (، ولو قال كأن نفوسهم لرجع الضمير إلى) قوم (وكان أقرب إلى فهم السامع، وكأنه أراد بهذا القول: إنا نؤثر القتل لأن نفوسنا تأنف من سكناها اللحم والعظم.

ومن التي أولها:." (١)

"النداء:

فيه لغتان: كسر النون، وضمها.

ومعناه لغة: الدعاء.

واصطلاحا: دعاء بحروف مخصوصة، وهي: يا، وأي، وأَيَا، وهيا، والهمزة، ووا في الندبة.

وزاد الكوفيون: آ، وآيْ بالمد.

وأخبر سيبويه رواية عن العرب أن الهمزة للقريب المصغي، وأن ما سواها للبعيد مسافة أو حكما.

وعلى مذهب سيبويه اعتمد الناظم فقال:

وللمنادى الناءِ أو كالناء يا ... وأَيْ وآ كذا أَيَا ثم هَيَا

والهمز للداني....

فالنائي: هو البعيد مسافة، وكالنائي: هو البعيد حكما كالساهي، والداني: هو القريب، ولا حاجة إلى ذكر سائر المذاهب؛ لأن قائليها لم يعتمدوا إلا على الرأي، والرواية لا تعارض بالرأي، كذا قال المصنف.

وقوله: ووا لمن ندب.

يعني: مختصة بالندبة، وهذا مذهب سيبويه والجمهور، وأجاز بعضهم استعمالها في غير الندبة قليلا.

وقوله: "أو يا" يعني: أن "يا" قد تستعمل في الندبة بشرط أمن اللبس١، فإن خِيفَ التباس المندوب بغيره تعينت "وا"٢.

---

١ مثال أمن اللبس قوله:

حُمِّلتَ أمرا عظيما فاصطبرتَ له ... وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

فصدور ذلك بعد موت عمر دليل على أنه مندوب، وليس الدليل الألف لأنها تلحق آخر المستغاث والمتعجب منه. هـ ٣/١٠٣ صبان.

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي؟ أبو مرشد المعري ص/٩٣

٢ مثل خوف اللبس فتقول عند قصد ندبة زيد الميت وبحضرتك من اسمه زيد: وا زيد –بالواو– إذ لو أتيت بيا، لتبادر إلى فهم السامع أنك قصدت النداء. هـ ١٠٣/ ٣ صبان.." (١)

"وأَنَّ"، فهو جائزٌ قياساً إذا منَ اللَّبْسُ، كقوله تعالى ﴿أَوَعَجِبتم أَن جاءَكم ذكرٌ من ربِّكم على رجل منكم؟﴾ أَي من أَن جاءَكم، وقولِه سُبحانهُ ﴿شهِدَ اللهُ أَنهُ لا إِله إِلا هُو﴾ ، أَي بأنه.

فإن لم يُؤمن اللبْسُ لم يَجُزْ حذفهُ قبلها، فلا يجوز أن تقول "رغِبت أَن أَفعل" لإشكال المُرادِ بعد الحذف، فلا يفهم السامعُ ماذا أَدرتَ أَرغبتك في الفعل، أَو رغبتك عنه فيجبُ ذكرُ الحرف ليتعيَّن المُرادُ، إلا إذا كان الابهامُ مقصوداً لتعمية المعنى المرادِ على السامع.

(المعلوم والمجهول)

ينقسم الفعل باعتبار فاعله الى معلوم ومجهول. فالفعل المعلوم ما ذُكر فاعِلهُ في الكام نحو "مصَّرَ المنصورُ بغداد".

وإذا اتصل بالماضي الثلاثيّ المجرّد المعلوم – الذي قبل آخره ألفٌ – ضميرُ رفعٍ متحركٌ، فإن كان من باب (فَعَلَ يَفْعلُ) – نحو "سامَ يَسومُ، ورام يرومُ، وقاد يقُودُ" ضُم أوله، نحو سُمْتُه الأمر، ورُمْتُ الخير، وقُدْتُ الجيش".

وإن كان من باب (فعل يفعِلُ) – نحو "باع يبيعُ وجاء يجيء،." (٢)

"لإشكالِ المراد بعدَ الحذفِ، فلا يَفهمُ السامعُ ماذا أردتَ أرَغبَتك في الفعلِ، أم رغبَتَكَ عنه؟ فيجبُ ذكرُ الحرف ليتعيَّن المرادُ، إلا إذا كان الإبهامُ مقصوداً من السامع.

٣– قبلَ "كي" الناصبةِ للمضارع، كقولِهِ تعالى ﴿فرددناهُ إلى أمهِ كي تَقرَّ عينُها﴾ ، أي لكي تَقرَّ.

واعلم أن المصدرَ المؤوَّل بعد "أنْ وأنَّ وكيْ" في موضع جرَّ بالحرف المحذوف، على الأصحَّ. وقال بعض العلماءِ هو في موضعِ النصب بنزعِ الخافض.

٤– قبلَ لفظِ الجلالة في القسم، نحو "اللهِ لأخدمنَّ الأمةَ خدمةً صادقةً"، أي واللهِ.

٥– قبلَ مُميّز "كم" الاستفهامية، إذا دخل عليها حرفُ الجرّ، نحو "بكم درهم اشتريتَ هذا الكتابَ؟ " أي بكم من درهم؟ والفصيحُ نصبُهُ، كما تقدَّم في باب التمييز، نحو "بكم درهماً اشتريته؟ ".

٦– بعدَ كلامٍ مُشتملٍ على حرف جرّ مثله، وذلك في خمس صُوَر

الأولى بعد جوابِ استفهامٍ، تقول "مِمَّنْ أخذتَ الكتابَ؟ "، فيقالُ لك "خالدٍ"، أي من خالد.

الثانية بعد همزةِ الاستفهام، تقولُ "مررتُ بخالدٍ"، فيقالُ "أخالدِ ابنِ سعيدٍ؟ " أي أبخالدِ بنِ سعيد؟.

الثالثة بعدَ "إن" الشرطّيةِ، تقولُ "إذهبْ بمنْ شئتَ، إنْ خليلٍ،." (٣)

---

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك؟ ابن أم قاسم المرادي ١٠٥١/٢

(٢) جامع الدروس العربية؟ مصطفى الغلاييني ٤٩/١

(٣) جامع الدروس العربية؟ مصطفى الغلاييني ١٩٤/٣

"المبحث الأول في ذكر المُسند اليه

كل لفظٍ يدلّ على مَعنى في الكلام خَليقٌ طبعاً بالذكر، لتأدية المعنى المُراد به، فلهذا يُذكر المسندُ إليه وجوبا حيث إنَّ ذكرهُ هو الأصل ولا مقتضى للحذف، لعدم قرينة تدلّ عليه عند حذفه

وإلا كان الكلام مُعمًّى مبهماً، لا يستبينَ المرادُ منه وقد يترجح الذكر وجود قرينة تمكن من الحذف، حين لا يكون منه مانع، فمن مُرجحّات الذكر (١)

زيادةُ التقرير والايضاح للسامع – كقوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (٢) – وكقول الشاعر

هو الشمس في العليا هو الدهر في السطا

هو البدرُ في النادي هو البحر في الندى

(٢) قلة الثقة بالقرينة: لضعفها أو ضعف فهم السامع

نحو سعدٌ نعم الزعيم: تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره

(٣) الرَّد على المُخاطب: نحو: الله واحدٌ، ردا على من قال: الله ثالث ثلاثة:

(٤) التّلذذُ نحو: الله ربي، الله حسبي.

(٥) التعريضُ بغباوة السامع: نحو سعيدٌ قال كذا – في جواب: ماذا قال سعيد؟

(٦) التسجيل على السامع، (٣) حتّى لا يتأتى له الإنكار – كما إذا قال الحاكم

---

(١) بيان ذلك أنه إذا لم يوجد في الكلام قرينة تدل على ما يراد حذفه، أو وجدت قرينة ضعيفة غير مصحوبة بغرض آخر يدعو إلى الحذف، فلابد من الذكر جريا على الأصل، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينة تمكن من (الحذف) وذلك لأغراض مختلفة، ترجع إلى اساليب البلغاء، فتجدهم قد ذكروا أحيانا ما يجوز أن يستغنى عنه، وحذفوا مالا يوجد مانع من ذكره، فرجحوا الذكر أحيانا، والحذف أحيانا، لأسباب بلاغية اقتضت ذلك.

(٢) الشاهد في (أولئك هم المفلحون) حيث كرر اسم الاشارة المسند إليه التقرير والايضاح تنبيها على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضا.

(٣) أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.." [1]

"الباب الثالث في أحوال المسند إليه

المسند إليه : هو المبتدأ الذي له خبر ، والفاعل ، ونائبه ، وأسماؤه وأحواله هي النواسخ : الذكر ، والحذف ، والتّعريف ، والتّنكير ، والتّقديم ، والتأخير وغيرها ، وفي هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول في ذكر المُسند اليه

كل لفظٍ يدلّ على مَعنى في الكلام خَليقٌ طبعاً بالذكر ، لتأدية المعنى المُراد به ، فلهذا يُذكر المسندُ إليه وجوبا حيث

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع؟ أحمد الهاشمي ص/١٠١

إنَّ ذكرهُ هو الأصل ولا مقتضى للحذف ، لعدم قرينة تدلّ عليه عند حذفه
وإلا كان الكلام مُعمًّى مبهماً ، لا يستبينَ المرادُ منه وقد يترجح الذكر وجود قرينة تمكن من الحذف ، حين لا يكون منه مانع ، فمن مُرجحّات الذكر (١)
زيادةُ التقرير والايضاح للسامع – كقوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (٢) – وكقول الشاعر
هو الشمس في العليا هو الدهر في السطا
هو البدرُ في النادي هو البحر في الندى
(٢) قلة الثقة بالقرينة : لضعفها أو ضعف فهم السامع
نحو سعدٌ نعم الزعيم : تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد ، وطال عهد السامع به ، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره
(٣) الرَّد على المُخاطب : نحو : الله واحدٌ ، ردا على من قال : الله ثالث ثلاثة :
(٤) التَّلذذُ نحو : الله ربي ، الله حسبي.

---

(١) بيان ذلك أنه إذا لم يوجد في الكلام قرينة تدل على ما يراد حذفه ، أو وجدت قرينة ضعيفة غير مصحوبة بغرض آخر يدعو إلى الحذف ، فلابد من الذكر جريا على الأصل ، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينة تمكن من (الحذف) وذلك لأغراض مختلفة ، ترجع إلى اساليب البلغاء ، فتجدهم قد ذكروا أحيانا ما يجوز أن يستغنى عنه ، وحذفوا مالا يوجد مانع من ذكره ، فرجحوا الذكر أحيانا ، والحذف أحيانا ، لأسباب بلاغية اقتضت ذلك .
(٢) الشاهد في (أولئك هم المفلحون) حيث كرر اسم الاشارة المسند إليه التقرير والايضاح تنبيها على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضا .." (١)
"أن صلح الباقي لوصل مكمل ... والحذف عندهم كثير منجلي

أحسن" وقراءة مالك بن دينار وابن السماك ما بعوضه بالرفع. وقوله:
١١٤- لا تنو إلا الذي خير فما شقيت ... إلا نفوس الألى للشر ناءونا
وقوله:
١١٥- من يعن بالحمد لا ينطق بما سفه ... ولا يحد عن سبيل المجد والكرم
"وأبوا أن يختزل" العائد المذكور أي يقتطع ويحذف "إن صلح الباقي" بعد حذفه "لوصل مكمل" بأن كان ذلك الباقي بعد حذفه جملة أو شبهها لأنه والحالة هذه لا يدري أهناك محذوف أم لا لعدم ما يدل عليه، ولا فرق في ذلك بين صله أي وغيرها، فلا يجوز جاءني الذي يضرب أو أبوه قائم أو عندك أو في الدار على أن المراد هو يضرب أو هو

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع؟ المؤلف غير معروف ص/٨٨

زيد فإنهم جوّزوا إذا رفع زيد أن تكون ما موصولة وزيد خبر مبتدأ محذوف وجوبًا باطراد لتنزيلهم لا سيما منزلة إلا استثنائية وهي لا يصرح بعدها بجملة فإذا قيل لا سيما زيد الصالح فلا استثناء لطول الصلة بالنعت ذكر ذلك في المغني. قوله: "وابن السماك" بالكاف على وزن العطار فإن صدر بأب فباللام كذا نقل عن الفراء. قوله: "بالرفع" أي في الآيتين. أما بنصب أحسن فالذي اسم موصول حذف عائده أي على العلم الذي أحسنه وجوز الكوفيون كونه موصولًا حرفيًا فلا يحتاج لعائد أي على إحسانه وكونه نكرة موصوفة فلا يحتاج لصلة ويكون أحسن حينئذٍ اسم تفضيل لا فعلًا ماضيًا وفتحته إعراب لا بناء وهي علامة الجر كذا في الروداني. وأما بنصب بعوضة فبعوضة بدل من مثلًا وما حرف زائد للتوكيد. وقيل ما نكرة موصوفة وبعوضة صفة لما يجوز على قراءة الرفع أن تكون ما حرفًا زائدًا ويضمر المبتدأ تقديره مثلًا هو بعوضة كذا في إعراب القرآن لأبي البقاء.

قوله: "من يعن" بالبناء للمجهول على اللغة المشهورة أي من يعنيه ويهمه حمد الناس له لرغبته فيه، ويحد بفتح الياء التحتية وكسر الحاء المهملة من حاد إذا مال. قوله: "العائد المذكور" أي الذي هو صدر الصلة والأكثر فائدة جعل الضمير عائدًا على العائد مطلقًا سواء كان صدر صلة أو لا كما صنع ابن عقيل فلا يجوز حذف الهاء من ضربته في قولك جاء الذي ضربته في داره لأن الباقي بعد حذفه صالح للوصل. قوله: "ويحذف" عطف تفسير. قوله: "مكمل" أي للموصول وهو صفة لازمة. قوله: "جملة أو شبهها" أي مشتملة على العائد. قوله: "لأنه والحالة هذه إلخ" فيه أن غاية ذلك حصول الإجمال وهو ليس بعيب ولو قال لأن المتبادر حينئذٍ إلى فهم السامع عدم الحذف لاستقام التعليل. قوله: "على أن المراد هو يضرب إلخ"

١١٤- البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في شرح الأشموني.

١١٥- البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٦٨؛ وتخليص الشواهد ص١٦٠؛ والدرر ١/ ٣٠٠؛ وشرح التصريح ١/ ١٤٤؛ والمقاصد النحوية ١/ ٤٤٦؛ وهمع الهوامع ١/ ٩٠.." (١)

". . . . .

أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] الآية، واسميتين كقوله:

٨٥٧- وَلَسْت أُبَالِي بعدَ فَقْدِي مالِكًا ... أَمَوْتِي ناءٍ أم هو الآن واقِعُ

ومختلفتين نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٣] الآية. وإذا عادلت بين جملتين في التسوية فقيل: لا يجوز أن يذكر بعدها إلا الفعلية، ولا يجوز: سواء علي أزيد قائم أم عمرو منطلق فهذا لا يقوله العرب، وأجازه الأخفش قياسًا على الفعلية. وقد عادلت بين مفرد وجملة في قوله:

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك؟ الصبان ٢٤٦/١

٨٥٨- سَوَاءٌ عَلَيكَ النَّفْرُ أمْ بِتُّ لَيلَةً ... بِأهْلِ القِبَابِ مِنْ عُمَيرِ بنِ عامِرِ

"أو" بعد "همز عن لفظ أي مغنيه" وهي الهمزة التي يطلب بها وبأم التعيين، وتقع

الجمهور إن ما بعد الهمزة مبتدأ مؤخر، ومنها الجملة المضاف إليها الظرف نحو: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] ، ومنها تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه بناء على عدم تقدير أن، قاله في المغني. قوله: "ولست أبالي" أي: أكترث فهو متعد بنفسه؛ لأن معناه لا أفكر فيه ازدراء به فالجملة بعده في محل نصب، والفعل معلق أفاده الدماميني. وقد يتعدى أبالي بالباء والوجهان صحيحان كما قاله الشنواني نقلًا عن النووي. قوله: أموتي ناء أي: بعيد.

قوله: "نحو: سواء عليكم أدعوتموهم" أي: الأصنام أي: ونحو: سواء عليّ أزيد قائم أم قعد فتم التمثيل. قوله: "فقيل لا يجوز إلخ" يرد عليه أنه سمع ذكر الاسمية بعدها في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣] ، وفي قول الشاعر: ولست أبالي إلخ كما قدم ذلك فلا يصح قوله فهذا لا يقوله العرب ولا قوله، وأجازه الأخفش قياسًا على الفعلية المقتضي عدم السماع. وفي نسخ إسقاط قوله وإذا عادلت بين الجملتين إلخ وهو أولى. قوله: "مغنيه" أي: مع أم كما أشار إليه الشارح فقد حقق الدماميني أن أيا سادة مسد الهمزة وأم جميعًا لا الهمزة فقط. قوله: "وتقع" أي: أم المسبوقة بهمزة التعيين. قوله: "بين مفردين غالبًا" ومن غير الغالب أن تقع بين مفرد وجملة كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥] ، وبين جملتين كما سيذكره الشارح.

قوله: "ويتوسط بينهما إلخ" ما لا يسأل عنه في الأول المسند؛ لأن السؤال عن المسند إليه وفي الثاني بالعكس. وبيان ذلك أن شرط الهمزة المعادلة لأم أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما ويلي أم المعادل الآخر؛ ليفهم السامع من أول الأمر ما طلب تعيينه، تقول إذا استفهمت عن تعيين المبتدأ دون الخبر: أزيد قائم أم عمرو وإن شئت أخرت زيد قائم؛ لأنه غير

٨٥٧- البيت من الطويل، وهو لمتمم بن نويرة في ديوانه ص١٠٥؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٧/ ٥١؛ وأوضح المسالك ٣/ ٣٦٨؛ وجواهر الأدب ص١٨٧؛ والدرر ٦/ ٩٧؛ وشرح التصريح ٢/ ١٤٢؛ وشرح شواهد المغني ١/ ١٣٤؛ ومغني اللبيب ١/ ٤١؛ والمقاصد النحوية ٤/ ١٣٦؛ وهمع الهوامع ٢/ ١٣٢.

٨٥٨- البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في المقاصد النحوية ٤/ ١٧٩.." (١)

"وذا للإضرابِ اعْزُ إنْ قَصْدًا صَحِب ... ودون قَصْد غَلَطٌ به سُلِبْ

ومثله قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] ، ومثل المقدر قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ﴾ [البروج: ٤] ، أي: النار فيه، وقيل الأصل ناره ثم نابت أل عن الضمير، والرابع البدل المباين وهو ثلاثة

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك؟ الصبان ٣/١٤٧

أقسام أشار إليها بقوله: "وذا للإضراب اعز إن قصدًا صحب ودون قصد غلط به سلب" أي: تنشأ أقسام هذا النوع الأخير من

إلى ذات المبدل منه ففي قولك: أعجبني زيد علمه الإعجاب لا يناسب نسبته إلى ذات زيد التي هي مجموع لحم وعظم ودم فيفهم السامع أن المتكلم قصد نسبته إلى صفة من صفاته كعلمه أو حسنه. وفي قولك: سرق زيد ثوبه إنما يفهم السامع أن المتكلم قصد نسبته إلى شيء يتعلق به كثوبه أو فرسه، فقد دل العامل المنسوب إلى المبدل منه في الظاهر على ذلك البدل إجمالًا هذا هو المراد بالاشتمال كما حققه سعد الدين ويرد عليه أنه لا يطرد؛ لأن بعض صور بدل الاشتمال قد لا يدل العامل فيه على البدل الدلالة المذكورة كما في: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ﴾ [البروج: ٤] ، بناء على أن النار بدل اشتمال من الأخدود كما سيذكره الشارح. وقال ابن غازي معنى اشتمال العامل على البدل أن معنى العامل متعلق بالبدل وإن تعلق في اللفظ بغيره، وأورد عليه أن بدل البعض كذلك فيلزم أن يسمى بدل اشتمال. وقد يقال وجه التسمية لا يوجبها. بقي ههنا بحث وهو أن الدلالة على بدل الاشتمال بما سبقه إجمالية كما مر ولا يجوز أن تكون على التعيين على ما نقله الدماميني عن المبرد وأقره، وعبارته: لا نقول من بدل الاشتمال قتل الأمير سيافه وبنى الوزير وكلاؤه؛ لأن شرط بدل الاشتمال أن لا يستفاد مما قبله معينًا بل تبقى النفس مع ذكر ما قبله متشوفة إلى بيان الإجمال الذي فيه، وهنا الأول غير مجمل إذ يستفاد عرفًا من قولك: قتل الأمير أن القاتل سيافه وكذا في أمثاله فلا يجوز مثل هذا الابدال أصلًا ا. هـ.

فعلى هذا يشكل هذا التابع من أي: التوابع فتأمل. وعلم مما مر ما نقله الدماميني عن المبرد من أن نحو: ضربت زيدًا عبده ليس بدل اشتمال بل بدل غلط؛ لأن ما قبل البدل لا يدل عليه؛ لأن ضربت زيدًا مفيد بغير احتياج إلى شيء آخر لمناسبة العامل المبدل منه. قوله: "قتل أصحاب الأخدود" هو شق في الأرض وأصحابه ثلاثة شق كل واحد منهم شقا عظيمًا في الأرض وملأه نارًا، وقالوا: من لم يكفر ألقي فيه ومن كفر ترك ا. هـ. تصريح. ومنه يؤخذ أن أل في الأخدود للجنس؛ لأن الأخاديد ثلاثة لا واحد. قوله: "وقيل الأصل ناره إلخ" وقيل أراد بالأخدود النار مجازًا لاشتماله عليها وقيل النار على حذف مضاف أي: أخدود النار والبدل على هذين بدل كل وقيل: النار بدل إضراب أفاده زكريا.

قوله: "وذا للإضراب إلخ" أي: أنسب هذا البدل الشبيه بالمعطوف ببل للإضراب، كأن تقول بدل إضراب إن صحب البدل قصد المتبوع أي: قصدًا صحيحًا كما قاله سم. قوله: "ودون قصد" منصوب على الظرفية لمحذوف أي: وإن وقع دون قصد أي: دون قصد صحيح بأن لا يقصد أصلًا بل يسبق إليه اللسان أو يقصد، ثم يتبين فساد قصده كما قاله سم، وغلط خبر مبتدأ محذوف على حذف مضاف أي: فهو بدل غلط والهاء عائدة على البدل وسلب في موضع الصفة." (١)

"وغَيْرُ مُنْدُوبٍ ومُضْمَر وما ... جا مُسْتَغاثًا قد يُعَرَّى فاعْلَما

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك؟ الصبان ١٨٦/٣

فإن خيف اللبس تعينت وا.

تنبيهات: الأول من حروف نداء البعيد آي بمدى الهمزة وسكون الياء، وقد عدها في التسهيل فجملة الحروف حينئذ ثمانية. الثاني ذهب المبرد إلى أن أيا وهيا للبعيد، وأي والهمزة للقريب، ويا لهما. وذهب ابن برهان إلى أن أيا وهيا للبعيد والهمزة للقريب وأي للمتوسط ويا للجميع، وأجمعوا على أن نداء القريب بما للبعيد يجوز توكيدًا وعلى منع العكس "وغير مندوب ومضمر وما جا مستغاثًا قد يعرى" من حروف النداء لفظًا "فاعلما" نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩] ، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:

عمر دليل على أنه مندوب وليس الدليل الألف؛ لأنها تلحق آخر المستغاث والمتعجب منه كما يأتي أفاده سم. قوله: "فإن خيف اللبس إلخ" فتقول عند قصد ندبة زيد الميت وبحضرتك من اسمه زيد: وازيد بالواو إذ لو أتيت بيا لتبادر إلى فهم السامع أنك قصدت النداء. قوله: "من حروف نداء البعيد آي إلخ" هذا مكرر مع قوله سابقًا، وقد تمد همزتها إلا أن يقال: أعاده ليؤيده بنقله عن التسهيل أو توطئة لقوله فجملة الحروف ثمانية. قوله: "ذهب المبرد إلخ" انظر ماذا يقول في آي وآ بمد الهمزة فيهما هل يجعلهما للبعيد أو للقريب أولهما فإن أراد بقوله: وأي والهمزة للقريب مقصورتين وممدودتين فلا إشكال، ونظير ذلك يقال فيما نقله عن ابن برهان.

قوله: "على أن نداء القريب بما للبعيد" أي: في غير صورة تنزيله منزلة البعيد بقرينة قوله: يجوز توكيدًا إذ عند التنزيل المذكور لا تأكيد فتلخص أنه يجوز نداء القريب بما للبعيد للتوكيد وللتنزيل، والمراد توكيد النداء إيذانًا بأن الأمر الذي يتلوه مهم جدا كما أفاده في الكشاف. قوله: "وعلى منع العكس" أي: لعدم تأتي التوكيد في صورة العكس، ومحل منعه إذا لم ينزل البعيد منزلة القريب وإلا جاز نداؤه بما للقريب إذ لا مانع منه حينئذٍ كما قاله سم. قوله: "قد يعرى من حروف النداء لفظًا" وإن لزم عليه حذف النائب والمنوب عنه، فقد قال الدماميني: لا نسلم أن العوضية تنافي الحذف بدليل إقام الصلاة ا. هـ. وقال بعضهم: يا للتنبيه لا عوض عن الفعل لكن لما وقعت في محل أشبهت العوض ا. هـ. أما حذف المنادى وإبقاء حرف النداء فذهب ابن مالك إلى جوازه قبل الأمر والدعاء، واستشهد على ذلك ووجه الدماميني جوازه قبل الأمر والدعاء بأنهما مظنة النداء، ووقوعه معهما كثير

فحسن التخفيف معهما بالحذف. وذهب أبو حيان إلى منعه وعلله بأن الجمع بين حذف فعل النداء وحذف المنادى إجحاف، ولم يرد بذلك سماع عن العرب، ويا في الشواهد للتنبيه كهي قبل ليت ورب وحبذا على ما صرح به في التسهيل، وعلله في شرحه بأن مولى يا أحد هذه الثلاثة قد يكون وحده ولا يكون معه منادى ثابت ولا محذوف.

قوله: "نحو: يوسف أعرض عن هذا" أشار بتعداد الأمثلة إلى أنه لا فرق بين أن يكون المنادى مفردًا أو مضافًا أو شبيهًا به ولا فرق في المفرد بين أن يكون مقصودًا للنداء لذاته كيوسف أو وصلة لنداء غيره كأي: ولا بين أن يكون معربًا قبل النداء كيوسف أو مبنيا قبله كمن." (١)

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك؟ الصبان ٣/١٩٩

"الاسم حسن الوجه» . وفي حديث البزار ومالك زيادة، رواها ابن وهب وهي: فقام عمر فقال:
لا أدري أقول أم أسكت؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل» قال: فكيف نهيتنا عن الطيرة وتطيرت؟
فقال صلى الله عليه وسلم: «ما تطيرت ولكني آثرت الاسم الحسن» .
وروى أبو داود والترمذي والحاكم وقال: صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «١» : «الطيرة شرك وما منا إلا من تطير ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل» . قال الخطابي: معناه وما منا إلا من يعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه فحذفه اختصارا للكلام، واعتمادا على **فهم السامع**. قال البخاري: كان سليمان بن حرب ينكر هذا، ويقول:
هذا ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.
قال الإمام عبد الصمد: لما رأيت في أطواق الذهب لجار الله العلامة أبي القاسم محمود الزمخشري قوله: رزق مبسوط ومقدر، وشرب صاف ومكدر، ورجل يحسو الماء القراح «٢» ، وآخر درت له اللقاح، وما أوتي هذا من عجز ووهن، وما أوتي ذاك من فضل وذكاء ذهن، ولكن تقدير من بيده الملكوت، وإليه الكتاب الموقوت، ذكرت هذين البيتين:
لم أوت من طلب ولا ... جدّ ولا هم شريف
لكنه قدر يزو ... ل من القوي إلى الضعيف
وما أحسن قول «٣» القائل حيث قال:
أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت ... على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية ... ولا يضرّ مع الإقبال إنفاق
اللقوة:
العقاب الأنثى، واللقوة بالكسر مثله. قال أبو عبيد: سميت لقوة لسعة أشداقها، وقيل: لاعوجاج منقارها، واللقوة مرض يميل به الوجه إلى جانب. واللقوة الناقة السريعة اللقاح، ولقوة لقب الحجاج بن يوسف الثقفي البغدادي المعروف بابن الشاعر. روى عنه مسلم وأبو داود ووفاته سنة تسع وخمسين ومائتين.
اللقاط:
بالتشديد طائر معروف، سمي بذلك لأنه يلقط الحب.
وحكمه
: الحل، قال العبادي: اللقاط حلال، إلا ما استثناه النص. قال، في شرح المهذب: يعني به ذا المخلب وفيما قاله نظر، لأن المراد به ما يلقط الحب وذو المخلب، لم يدخل في اسم اللقاط حتى يصح استثناؤه منه، لكن يحتمل أنه أراد بالمستثنى الغراب الزرعي والاستثناء المنقطع لا تصح إرادته هنا، لأن الرافعي رحمه الله قد نقل بعد ذلك، عن البوشنجي، أن اللقاط حلال، بغير استثناء.." (١)

---

(١) حياة الحيوان الكبرى؟ الدَّمِيري ٢/٤٣٢

"وَأما قَوْله: قبّحت من سالفةٍ ... إلخ فقد قَالَ أَيْضا: هَذَا الرجز لجوّاس ابْن هريم.)

هجا امْرَأَة وَشبه سالفتها وصدغها فِي اصفرارهما بكشية ضَب فِي صقع من الأَرْض. وَأَرَادَ أَن يَقُول: من سالفتين وصدغين فَلم تمكنه التَّثْنِيَة فَوضع الْوَاحِد مَوْضُوع الِاثْنَيْنِ اكْتِفَاء **بفهم السَّامع**.

–

وَقَوله: كَأَنَّهَا كشية إِنَّمَا أفرد الضَّمِير وَلم يقل كَأَنَّهُمَا لِأَنَّهُ أَرَادَ سالفتيها وصدغيها وَهِي أَربع فَحَمله على الْمَعْنى. انْتهى.

ونقلنا شرح هَذِه الأبيات تكميلاً للفائدة.

وَالْبَيْت الشَّاهِد لم أَقف على قَائِله وَالله أعلم بِهِ.

وَأنْشد بعده

(الشَّاهِد الثَّالِث وَالثَّلَاثُونَ بعد التسْعمائَة)

الْبَسِيط على أَنه يجوز بقلة فِي الشّعْر أَن يكون الْجَواب للشّرط مَعَ تَأَخره عَن الْقسم فَإِن لَام لَئِن موطئة للقسم وَقَوله: لَا تلفنا جَوَاب الشَّرْط دون الْقسم بِدَلِيل الْجَزْم.

وَقد خلا عَن ذكر هَذِه الضَّرُورَة كتاب الضرائر لِابْنِ عُصْفُور.

وَأجَاب ابْن هِشَام فِي الْمُغنِي أَن اللَّام زَائِدَة وَلم يَخُصُّهُ بِالضَّرُورَةِ قَالَ: وَلَيْسَت اللَّام موطئة فِي قَوْله:." [1]

". وَقَالَ الْفِرَار السّلمِيّ: الْكَامِل

(مَا كَانَ يَنْفَعنِي مقَال نِسَائِهِم ... وَقتلت دون رِجَالهمْ لَا تبعد)

وَقَوْلها: سم العداة الخ السم مَعْرُوف وسينه مُثَلّثَة. والعداة: الْأَعْدَاء جمع عَاد كقضاة جمع قَاض حكى أَبُو زيد: أشمت الله عاديك أَي: عَدوك. وَلَا يكون العداة جمع عَدو لِأَن عَدو فعول وفعول لَا يجمع على فعلة إِنَّمَا يجمع عَلَيْهِ فَاعل المعتل اللَّام. والأعداء جمع عَدو أجروا فعولاً مجْرى فعيل كشريف وأشراف. وَقد جمعُوا أَعدَاء على أعادي. والآفة: الْعلَّة. والجزر بِضَم فَسُكُون: جمع جزور وَالْأَصْل بِضَمَّتَيْنِ كرسول ورسل فسكن الثَّانِي تَخْفِيفًا. وَالْجُزُور هِيَ النَّاقة الَّتِي تنحر.

فَإِن كَانَت من الْغنم فَهِيَ جزرة بِفَتْحَتَيْنِ. وصفتهم أَولا بالشجاعة والنجدة وَأَنَّهُمْ يقتلُون أعداءهم كَمَا يقتلهُمْ السم.

قَالَ ابْن السَّيِّد: فَإِن قيل: كَيفَ قَالَت الَّذين هم وَإِنَّمَا يَلِيق هَذَا بِمن هُوَ مَوْجُود وَإِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَن تقول كَانُوا كَمَا قَالَ الآخر: الْكَامِل

(كَانُوا على الْأَعْدَاء نَار محرّقٍ ... ولقومهم حرما من الأحرام)

فَالْجَوَاب عَنهُ من وَجْهَيْن: أَحدهمَا أَن الْعَرَب كَانَت تضمن كَانَ اتكالاً على **فهم السَّامع** كَقَوْلِه تَعَالَى: واتَّبعُوا مَا تتلُوا الشّياطينُ على مُلْكِ سُلَيْمَان قَالَ الْكسَائي: أَرَادَ مَا كَانَت تتلو.

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي؟ عبد القادر البغدادي ٣٢٧/١١

وَثَانِيهمَا: أَنَّهَا إِذا دعت بِبَقَاء الذّكر بعد مَوْتهمْ صَارُوا كالموجودين وَكَانُوا موصوفين بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ.

وَقَوْلها النازلين الخ قَالَ ابْن خلف: يجوز فِي النازلين والطيبين." (١)

"إِلَيّ بتفريق مَا بيني وَبَينه من الوصلة وَعقد التَّزْوِيج. والأحبل: جمع حَبل وَهُوَ مَا بَينهمَا من العقد. ومنجي: خبر كنت وأسكن الْيَاء من أجل القافية.

وَقَوله: إِمَّا بتطليق: إِمَّا أَن يُطلق طَلَاقا بَينا. وَإِمَّا أَن يَقُول ارحلي يُرِيد بِهِ الطَّلَاق. وَحذف)

المستفهم عَنهُ اعْتِمَادًا على فهم السَّامع. وَحذف جَوَاب لَا شَرط وَهُوَ إِن كنت منجياً لي من هَذَا الرجل فافعل.

وَقَوله: أَو ارْمِ فِي وجعائه إِلَخ هَذَا الْبَيْت أوردهُ الْعَيْنِيّ بعد الثَّلَاثَة وَقَالَ: الوجعاء بِفَتْح الْوَاو وَسُكُون الْجِيم وَالْمدّ: الاست.

وَتَقَدَّمت تَرْجَمَة خطام الْمُجَاشِعِي فِي الشَّاهِد الْخَامِس وَالثَّلَاثِينَ بعد الْمِائَة.

وَأنْشد بعده

٣ - (الشَّاهِد التَّاسِع وَالْأَرْبَعُونَ بعد الْخَمْسمِائَةِ)

وَهُوَ من شَوَاهِد س: الطَّوِيل على أَن الْعدَد الْمُمَيز بمذكر ومؤنث مَعًا المفصول بَينه وبَينهمَا بِلَفْظ بَين أومن أَو بالمجموع إِن كَانَ المميزان يَوْمًا ولَيْلَة فالغلبة للتأنيث فَإِنَّهُ اعْتبر جَانب الْمُؤَنَّث فَذكر عدده.

وَإِن كَانَ المميزان غير يَوْم وَلَيْلَة فالغلبة للتذكير.." (٢)

"فضل منه، فقال: "ولاك اسقني"، وقد أراد الشاعر بهذا أن يؤكد أنه يجوب فلاة مهلكة ضالة، فالذئب هو ابن الصحراء، والخبير بطرقها يجهل فيها موضع الماء، وجاء قوله: "ولاك اسقني" على الحذف كما ترى؛ لأنه أراد ولكن اسقني، فحذف آخر الكلمة طلبا للخفة لمناسبة حال الذئب الظامئ المتهالك في هذه الصحراء الموحشة التي يجتازها الشاعر، كأن الذئب فيها قد تعثر لسانه، وييس فخطف الكلمة، فأسقط منها ما أسقط.

وانظر إلى قول لبيد:

"درس المنا بمتالع فأبانا" ... أراد درس المنازل

والنحاة والبلاغيون يذكرون هذا البيت في الحذف الشاذ والضرورة؛ لأنه ظلم الكلمة بحذف أكثر من حرف، ويمكن أن نقول: إن الحذف في كلمة المنازل التي يتحدث عن دروسها، وتغيير القدم لمعالمها مناسب؛ لأنها بقيت آثارًا، وكأن الحذف فيه إشارة إلى المضمون الذي يريد بيانه، وهو أن المنازل بقايا لا يستدل عليها إلا بالقرائن والشواهد، فالحذف في اللفظ وثيق الصلة بالمعنى.

لم لا تكون السليقة اللغوية هدت لبيدا إلى هذه المناسبة اللطيفة، وهو حجة في اللغة وفقه أسرارها.

فإذا نظرنا إلى قول علقمة بن عبدة: "من البسيط"

كأن إبريقهم ظبي على شرف ... مفدم بسبا الكتان ملثوم

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي؟ عبد القادر البغدادي ٥/٤٧

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي؟ عبد القادر البغدادي ٧/٤٠٧

يريد بسبائب الكتاب، فربما لا نجد سرا وراء هذا الاقتطاع أكثر من أن الشاعر يعلم يقينا أن مراده ظاهر جدا؛ لأن ذكر سبائب الكتان في هذا السياق كثير، كلما ذكر الإبريق مشبها بالظبي رأيتهم يذكرون سبائب الكتان، فالحذف أكسب الكلمة خفة، ولم يلبس معناها.

والشاعر يعول على السياق كثيرًا بل إن اللغة في معظم دلالاتها إنما تعتمد على السياق، ألست ترى الشعراء يأتون بالجمل مثبتة، وهم يريدونها منفية ثقة منهم **بفهم السامع**، واعتمادًا على السياق، فامرؤ القيس يقول:." (١)

"المظهر والمضمر:

لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضمر وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحوله، فألحقوها بهن كما لحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، وألحقوا به أسلوب الحكيم؛ لأنه ضرب من المخالفة.

وقد تابعناهم في ذلك لبنائه على ملاحظات دقيقة في ربط مباحث العلم، وتلاحقها في نظام يجمعها، ثم إننا نكره الاختلال في تنظيم مسائل العلم ما دام لها وجه، وليس هذا قيدا على الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد النافع هو في مسائل العلم؛ لأنها جوهر.

أما مخالفة مقتضى الظاهر في الإضمار والإظهار، فقد قالوا: الأصل ألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه ليكون المقصود بالكلام واضحا، تقول: لقيت زيدا وأكرمته، فتذكر الضمير في أكرمته؛ لأنه سبقه ما يعود عليه، ولا تقول لقيته هكذا ابتداء؛ لأن ذلك ضرب من التعمية، والإلباس يناقض القصد من اللغة والبيان.

ومع وضوح هذا الأصل تجد صورًا من الأساليب بنيت على خلافه، فيذكر الضمير ليفسر بمتأخر عنه في بعض هذه الصور، أو يذكر منن غير مفسر اعتمادًا على **فهم السامع**، أو وضوح المعنى أو غير ذلك مما نشير إلى بعضها إن شاء الله.

ومن الصور التي يفسر فيها الضمير بمتأخر عنه ما يكون الضمير فيه ضمير الشأن والقصة، والأساليب التي تصاغ على هذا الطريقة حين تصيب مواقعها تجد لها مذاقا حسنا ووقعا جليلا؛ لأن الضمير حين يطرق النفس من غير أن." (٢)

"بَيَان أحد محتملات اللَّفْظ وَالتَّفْسِير بَيَان مُرَاد الْمُتَكَلّم وَلِهَذَا قيل لَو قَالَ رجل فسرت هَذِه الْآيَة الْكَرِيمَة من غير أَن يكون نَاقِلا عَن الْمخبر الصَّادِق يكفر فَالْمُرَاد بقَوْلهمْ الْكَشَّاف تَفْسِير الْقُرْآن مَعْنَاهُ الْمجَازِي أَي فِيهِ بَيَان محتملات نظم الْقُرْآن الْمجِيد أَو الْمُرَاد أَنه تَفْسِير بعض آيَاته الْكَرِيمَة فإطلاق التَّفْسِير على الْمَجْمُوع أَيْضا مجازي. وَلَا يخفى أَنه يحْتَمل أَن يكون بَيَان محتملات اللَّفْظ مطابقا لمراد الْمُتَكَلّم فِي بعض الْبَيَان فَالْوَاجِب علينا الْعَمَل والإطاعة بِمُوجب محتملات نظمه الْكَرِيم لَكِن إِذا بَينه الْعَالم الْمُحدث السالك على الشَّرِيعَة النَّبَوِيَّة والطريقة المصطفوية الصافي عَن الْبِدْعَة والهوى.

وَعلم التَّفْسِير علم يبْحَث فِيهِ عَن أَحْوَال الْكتاب الْعَزِيز من جِهَة نُزُوله وَسَنَده وأدائه وَأَلْفَاظه ومعانيه الْمُتَعَلّقَة بالألفاظ والمتعلقة بِالْأَحْكَامِ وَغير ذَلِك. وموضوعه الْكتاب الْعَزِيز وغايته فهم خطاب الله تَعَالَى الْمُوجب للسعادة الأبدية والدولة

---

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني؟ محمد محمد أبو موسى ص/١٥٦

(٢) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني؟ محمد محمد أبو موسى ص/٢٤١

السرمدية.

التفخيم: التَّعْظِيم والاستعلاء ويقابله الترقيق. وَفِي التجويد فِي لفظ الله تفخيم وترقيق فيفخم إِذا انْفَتح مَا قبله أَو انْضَمَّ كَمَا تَقول رحم الله وَعلمه الله ويرقق إِذا انْكَسَرَ مثل بِسم الله وَالْحَمْد لله.

التَّفْرِيق: فِي الْحساب نُقْصَان عدد عَن عدد آخر سَوَاء كَانَ نُقْصَان الصَّحِيح عَن الصَّحِيح أَو الصَّحِيح عَن الصَّحِيح مَعَ الْكسر أَو الْكسر عَنهُ أَي عَن الصَّحِيح أَو عَن الصَّحِيح مَعَ الْكسر أَو الْكسر عَن الْكسر. وَأما نُقْصَان الصَّحِيح عَن الْكسر فَمن نُقْصَان الْعقل فَإِن المنقوص مِنْهُ مَا لم يكن زَائِدا عَن المنقوص كَيفَ يتَصَوَّر النُّقْصَان. وَلذَا قَالُوا التَّفْرِيق نُقْصَان عدد من عدد لَيْسَ بِأَقَلّ مِنْهُ حَتَّى يُمكن ذَلِك. والتفريق عِنْد أَصْحَاب البديع إِيقَاع تبَاين بَين مُتَعَدد من نوع وَاحِد فِي الْمَدْح أَو غَيره كَقَوْل الوطواط.

(مَا نوال الْغَمَام وَقت ربيع ... كنوال الْأَمِير يَوْم سخاء)

(فنوال الْأَمِير بدرة عين ... ونوال الْغَمَام قَطْرَة مَاء)

المُرَاد بالتباين عدم شركَة أَحدهمَا مَعَ الآخر فِي وصف مُخْتَصّ بِالْآخرِ. فالتباين هَا هُنَا مَا يُقَابل المشابهة. وَقَوْلهمْ من نوع وَاحِد بَيَان وَاقع لَا احْتِرَاز عَن إِيقَاع التباين بَين أَمريْن من نَوْعَيْنِ فَإِنَّهُ لَا يكون تفريقا بل توضيحا وتفصيلا. وَقَوْلهمْ فِي الْمَدْح أَو غَيره لَا فَائِدَة فِيهِ لَا التَّوْضِيح وَالتَّفْصِيل. والوطواط فِي الصِّحَاح الخفاش وَقيل الخطاف. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة هَذَا أشبه الْقَوْلَيْنِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ والوطواط الرجل الضَّعِيف الْجنان وَقَالَ لَا أرَاهُ سمي بِهِ إِلَّا تَشْبِيها بالطائر. وَاعْلَم أَن الشَّاعِر أوقع التباين فِي ذَلِك الشّعْر بَين النوالين.

التفكر: تصرف الْقلب فِي مَعَانِي الْأَشْيَاء لدرك الْمَطْلُوب.

التفهيم: إِيصَال الْمَعْنى إِلَى فهم السَّامع بِوَاسِطَة اللَّفْظ.." (١)

"وَإِن أسْند إِلَى الْفَاعِل الَّذِي هُوَ الضَّمِير الرَّاجِع إِلَى الْكتاب والأسلوب لَكِن الْكتاب والأسلوب ليسَا من ملابسات هَذَا الْمسند أَعنِي الْحَكِيم بل من ملابسات فعل آخر مثل أنشأت وأحدثت. وَكَلَامه صَرِيح فِي أَن الْمَفْعُول الَّذِي يكون الْإِسْنَاد إِلَيْهِ مجَازًا يجب أَن يكون مِمَّا يلابسه ذَلِك الْمسند.

وَالْجَوَاب أَن الْإِسْنَاد فِي المثالين الْأَوَّلين عِنْده لَيْسَ بِحَقِيقَة وَلَا مجَاز لِأَنَّهُ قَائِل بالواسطة بَينهمَا وَأَن الْكتاب والأسلوب من ملابسات الْحَكِيم. فَإِن الملابسة أَعم من أَن يكون بِوَاسِطَة حرف أَو بِدُونِهَا – والمثالان الأخيران من قبيل الأول إِذْ الأَصْل هُوَ الْحَكِيم فِي كِتَابه وأسلوبه.

ثمَّ قَالَ الْعَلامَة وَالْمُعْتَبر عِنْد صَاحب الْكَشَّاف تلبس مَا أسْند إِلَيْهِ الْفِعْل بفاعله الْحَقِيقِيّ وَلَا يجب أَن يكون ذَلِك الْمسند إِلَيْهِ مِمَّا يلابسه ذَلِك الْمسند لِأَنَّهُ قَالَ الْمجَاز الْعقلِيّ أَن يسند الْفِعْل إِلَى شَيْء يتلبس أَي ذَلِك الشَّيْء بِالَّذِي هُوَ أَي ذَلِك

---

(١) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون؟ الأحمد نكري ١/٢٢٥

الْفِعْل فِي الْحَقِيقَة لَهُ. وغرض الْعَلامَة من هَذَا الْكَلَام التأييد فِي تَعْمِيم الملابسة يَعْنِي يعلم من ظَاهر كَلَام صَاحب الْكَشَّاف مَعَ قطع النّظر عَمَّا قبله أَن الْمُعْتَبر عِنْده فِي تَعْرِيف الْمجَاز الْعقلِيّ هُوَ تلبس الْفَاعِل الْمجَازِي بالفاعل الْحَقِيقِيّ مُطلقًا سَوَاء كَانَت فِي مُلَابسَة ذَلِك الْفِعْل الْمسند إِلَيْهِ أَو فِي مُلَابسَة فعل آخر من أَفعاله لِأَنَّهُ أطلق التَّلَبُّس وَلم يُقيد. فعلى مَا حررنا لَا يرد اعْتِرَاض السَّيِّد السَّنَد قدس سره بِأَن صَاحب الْكَشَّاف قَالَ قبيل هَذَا الْكَلَام إِلَى آخِره.

ثمَّ اعْلَم أَن قَوْله قدس سره: فَإِن قلت مَا لَا يتَعَلَّق بِهِ الْفِعْل لَا بِذَاتِهِ وَلَا بِوَاسِطَة إِلَى آخِره اعْتِرَاض على الِاحْتِمَال الْأَخير. وَقَوله قدس سره قلت ترك الْقَيْد فِي التعريفات إِلَى آخِره جَوَاب بالمعارضة لِأَن السَّائِل مستدل. – وَتَقْرِير السُّؤَال أَن هَذَا الِاحْتِمَال بَاطِل لِأَنَّهُ يفهم مِنْهُ أَن مُطلق التَّلَبُّس بالفاعل الْحَقِيقِيّ كَاف فِي جَوَاز الْإِسْنَاد – وَالْحَال أَن مَا لَا يتَعَلَّق بهَا لفعل لَا بِذَاتِهِ وَلَا بِوَاسِطَة حرف يبعد إِسْنَاده إِلَيْهِ وَمَا هُوَ بعيد لَا يجوز فِي الْكَلَام الفصيح فَكيف يَكْتَفِي بِمُطلق التَّلَبُّس فَهَذَا الِاحْتِمَال الْمشعر بالاكتفاء بَاطِل. – وَحَاصِل الْجَواب أَن الْبعد كَمَا هُوَ مَوْجُود فِي هَذَا الِاحْتِمَال كَذَلِك مَوْجُود فِي الِاحْتِمَال الأول لِأَن ترك قيد فِي التعريفات اعْتِمَادًا على فهم السَّامع أَو على الْكَلَام السَّابِق بعيد مَتْرُوك. وَلَا يخفى على من لَهُ أدنى ذوق من الْمعَانِي أَن الْبعد فِي الِاحْتِمَال الثَّانِي معنوي مخل بالفصاحة وَفِي الأول لَفْظِي مَعَ وجود الْقَرِينَة الجلية على المُرَاد فَمَا بِهِ يلْزم الْبعد فِي الْمَعْنى مَعَ عدم إِمْكَان زَوَاله أبعد بمراحل مِمَّا بِهِ يلْزم فِي اللَّفْظ مَعَ إِمْكَان زَوَاله فَافْهَم واحفظ وَكن من الشَّاكِرِينَ.

الْمُجْتَمع: المُرَاد بِهِ فِي خُلَاصَة الْحساب فِي فصل الْجمع والتضعيف أَمْرَانِ: أَحدهمَا: مَجْمُوع ميزاني المجموعين أَي الْمَزِيد والمزيد عَلَيْهِ. وَثَانِيهمَا: مَا يحصل." (١)

"وأن يكون الشعر الذي يتغنّى به لفظه عجيبا ومعناه لطيفا. أرسطو: إذا كان المغني كريه المنظر لا بدّ وأن يكون مختفيا لئلّا يزيل قبح منظره لذّة صوته.

يقال: ما خلقت الأغاني إلّا للغواني. قيل: من نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله. الجاحظ: كم فرق بين غناء فم تشتهي تقبيله وبين غناء فم تريد أن تصرف نظرك عنه؟!.

سمع رجل غناء حسنا فقال: السكر على هذا شهادة. قيل: أحسن الناس غناء من أطرب الخاشع وأفهم السامع. أذّن البعلبكيّ مؤذّن المنصور فرجّع، وجارية تصبّ الماء على يده فارتعدت حتى وقع الإبريق من يدها، فقال للمؤذن: خذ هذه الجارية فهي لك، ولا ترجّع هذا الترجيع. الحسن بن عليّ العلويّ: قلت لمغنّ: غنّني، فقال: هذا أمر؟ فقلت: أسألك، فقال: هذا حاجة؟ فقلت: إن رأيت، فقال: هذا إبرام؟ قلت: فلا تغنّ، فقال: هذا عربدة. قيل: أوّل صلة المغنّي أن يقال له: أحسنت. إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: كان ابن أبي حفصة يتغدّى عند أبي فإذا فرغ قال: أطعموا آذاننا رحمكم الله. ممن يضرب به المثل في الغناء ابن الجامع، فيقال: هذا غناء ابن الجامع. سأل المعتصم إسحاق الموصليّ عن النغم: كيف تميّز بينها على تشابهها؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذه أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤدّيها الصّفة.

بعض السلف: إبليس أوّل من تغنّ وأوّل من حدا وأول من ناح، تغنّ في أكل الشجرة، وحدا في الهبوط، وناح على الجنة

---

(١) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون؟ الأحمد نكري ١٥٦/٣

حين خرج منها. يقال: أول من غنّى في الإسلام طويس، وهو مثل في الشؤم، يقال: أشأم من طويس.

وكان يقول: إنّ أمّي كانت تمشي بالنمائم بين نساء الأنصار، ثمّ ولدتني في اللية التي مات فيها الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وفطمتني يوم موت أبي بكر، وبلغت الحلم يوم." (١)

"قال عبد الحميد بن يحيى: البلاغة تقرير المعنى في الأفهام، من أقرب وجوه الكلام.

ابن المعتز: البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام.

سهل بن هارون: البيان ترجمان العقول، وروض القلوب، وقال: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.

إبراهيم بن الإمام: يكفى من البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع.

العتّابى: البلاغة مدّ الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف إذا طال.

أعرابى: البلاغة إيجاز في غير عجز، وإطناب في غير خطل.

[وكتب إبراهيم بن المهدى إلى كاتب له ورآه يتبع وحشيّ الكلام: إياك وتتبع الوحشى طمعا في نيل البلاغة؛ فإن ذلك العيّ الأكبر، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل.

وقال الصولى: وصف يحيى بن خالد رجلا فقال: أخذ بزمام الكلام، فقاده أسهل مقاد، وساقه أجمل مساق؛ فاسترجع به القلوب النافرة، واستصرف به الأبصار الطامحة.

وسمع أعرابى كلام الحسن البصرى رحمه الله، فقال: والله إنه لفصيح إذا نطق، نصيح إذا وعظ.

قال الجاحظ: ينبغى للكاتب أن يكون رقيق حواشى الكلام، عذب ينابيع اللسان؛ إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى، لا يكلم الخاصة بكلام العامة، ولا العامة بكلام الخاصة.

وقال أبو العباس المبرد: قال الحسن بن سهل لسالم الحرارى: ما المنزلة التي إذا نزل بها الكاتب كان كاتبا في قوله وفعله واستحقاقه؟ قال: أن يكون مطبوعا على المعرفة، محتنكا بالتجربة، عارفا بحلال الكتاب وحرامه، وبالدهور في تصرفها." (٢)

"التخريج الفصل المميز والفضل اللائح إنما هو للإفصاح والبيان والبلاغة وحسن النطق دون ما يسمى كلاماً فقط. ووجب على من أراد أن يخرج من حيز ذلك الصامت الناطق١ سلوك الطريق الذي به توجد الفضيلة وعنه تدرك الميزة باجتهاده إن كان لا دربة له وتكلفه أن كان لا طبع عنده. وليعلم أن من شارك الناطق بالصورة وخالفه بالمعنى الموجب للشرف أسوأ حالاً وأقبح صفة من الصامت المخالف في الأمرين معا. لأن هذا غريب في الموضع الذي وجد فيه آهلا ووحيد في المكان الذي خلق به آنساً.

وما أحسن ما قال إبراهيم بن محمد المعروف بالإمام٢ يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع. وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة.

وقال سهل بن هرون الكاتب٣: العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم.

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار؟ الأماسي ص/٣٠٧

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب؟ الحُصري القيرواني ١/١٥٩

وأولى من هذا بالحجة قول النبي صلى الله عليه وسلم للعباس وقد سأله فيم الجمال فقال: "في اللسان".

---

١ في نسخة أخرى الناقص.

٢ هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها أوصى له أبوه بالإمامة هو الذي وجه أبا مسلم الخراساني واليا على دعاته وشيعته في خراسان كان فصيح اللسان راجح العقل يروي الحديث والأدب عرف باسم إبراهيم الإمام توفي سنة ١٣١هـ.

٣ هو سهل بن هارون بن راهبون أو راهيون أبو عمر الدستميساني كاتب بليغ حكيم من واضعي القصص يلقب بزرجمهر الإسلام اتصل بهارون الرشيد وارتفعت مكانته عنده حتى أحله محل يحيى البرمكي صاحب دواوينه ثم خدم المأمون فولاه رياسة خزانة الحكمة ببغداد له كتبا كثيرة منها: الإخوان، والمسائل، وتدبر الملك والسياسة، والنمر والثعلب وغيرها كثير.." (١)

"يجب تقديم الفاعل على المفعول إذا خيف التباس أحدهما بالآخر كما إذا خفي الإعراب فيهما ولم توجد قرينة تبين الفاعل من المفعول وذلك نحو ضرب موسى عيسى فيجب كون موسى فاعلا وعيسى مفعولا.

وهذا مذهب الجمهور وأجاز بعضهم تقديم المفعول في هذا ونحوه قال لأن العرب لها غرض في الالتباس كما لها غرض في التبيين. (٢)

= مفعول به لاخر " إن " شرطية " لبس " نائب فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده " حذر " فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى لبس، والجملة من حذر المذكور ونائب فاعله لا محل لها تفسيرية " أو " عاطفة " أضمر " فعل ماض مبني للمجهول " الفاعل " نائب فاعل أضمر " غير " حال من قوله الفاعل، وغير مضاف، و" منحصر " مضاف إليه، مجرور بالكسرة الظاهرة، وسكن لاجل الوقف.

(١) الذي ذكر ذلك هو ابن الحاج، وقد أخطأ الجادة، فإن العرب لا يمكن أن يكون من أغراضها الالباس، إذ من شأن الالباس أن يفهم السامع غير ما يريد المتكلم ولم توضع اللغة إلا للافهام، وما ذكره ابن الحاج لتدعيم حجته مما جاء عن العرب كله ليس من الالباس في شئ، وإنما هو من باب الاجمال، فلما التبس عليه الفرق بين الالباس والاجمال لم يفرق بين حكمهما، والفرق بينهما أن الاجمال هو احتمال اللفظ لمعنيين أو أكثر من غير أن يسبق أحد المعنيين إلى ذهن السامع، ألا ترى أنك لو سمعت كلمة " عمير " – بزنة التصغير – لاحتمل عندك أن يكون تصغير عمر كما يحتمل أن يكون تصغير عمرو، بدون أن يكون أحدهما أسبق إلى ذهنك من الآخر، فأما الالباس فهو احتمال اللفظ لمعنيين أو أكثر مع تبادر غير المقصود منهما إلى ذهن السامع، وذلك كما في المثال الذي ذكره الشارح، ألا ترى أنك لو قلت " ضرب موسى عيسى "

---

(١) سر الفصاحة؟ ابن سنان الخفاجي ص/٦١

لاحتمل هذا الكلام أن يكون موسى مضروبا ولكنه يسبق إلى ذهنك أنه ضارب، بسبب أن الاصل أن يكون الفاعل واليا لفعله، ولا يمكن أن يكون هذا من مقاصد البلغاء، فافهم ذلك وتدبره.." (١)

"فالسؤال في الآية الأولى وقع عن المسند إليه ولم يسأل عن المسند، وفي الثانية بالعكس، فوسط ما لا يسأل عنه في الأولى وهو "أشد خلقًا" وأخر في الثانية وهو "ما توعدون" وذلك لأن شرط الهمزة المعادلة لـ"أم" أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما، ويلي "أم" المعادل١ الآخر **ليفهم السامع** من أول الأمر الشيء المطلوب تعيينه.

تقول إذا استفهمت عن تعيين المبتدأ دون الخبر: أزيد قائم أم عمرو؟ وإن شئت قلت: أزيد أم عمرو قائم؟ فتوسط الخبر أو تؤخره، لأنه غير مسؤول عنه.

وتقول إذا استفهمت عن تعيين الخبر دون المبتدأ: أقائم زيد أم قاعدًا؟ وإن شئت قلت: أقائم أم قاعد زيد؟ فتوسط المبتدأ أو تؤخره، لأنه غير مسؤول عنه.

"و" تقع "بين" جملتين "فعليتين" ليستا في تأويل المفردين "كقوله"؛ وهو زياد بن حمل بفتح [الحاء] ٢ المهملة والميم: [من البسيط]

-٦٧٠

فقمت للطيف مرتاعا فأرقني ... فقلت أهي سرت أم دعاني حلم

"لأن الأرجح كون: هي" الواقعة بعد الهمزة "فاعلا بفعل محذوف" يفسره "سرت"، لأن همزة الاستفهام بالفعل أولى من حيث إن الاستفهام عما يشك فيه، وهو الأحوال، لأنها متجددة، وأما عن الذوات فقليل، من ثم رجح النصب في باب الاشتغال نحو: أزيدًا ضربته؟

والمراد بالطيف هنا: خيال المحبوبة الذي رآه في النوم، والمرتاع: الخائف، وأرقني: أسهرني، وأهي: بسكون الهاء بعد الهمزة، وسرت: سارت ليلا، وعادني: جاءني بعد إعراضه عني، والحلم، بضمتين: رؤيا النوم.

قال ابن الحاجب٣: يريد: أني قمت من أجل الطيف منتبهًا مذعورًا للقائه، وأرقني لما لم يحصل اجتماع محقق، ثم ارتبت: هل كان الاجتماع على التحقيق، أو كان في المنام؟

---

١ في "ب": "العادل".

٢ إضافة من "ب".

٦٧٠- البيت لزياد من منقذ في خزانة الأدب ٥/ ٢٤٤، ٢٤٥، ١/ ٩٥، وشرح شواهد المغني ١/ ١٣٤، والمقاصد النحوية ١/ ٢٥٩، ٤/ ١٣٧، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ١٢٧، وأوضح المسالك ٣/ ٣٧٠، والخصائص ١/ ٣٠٥، ٢/ ٣٣٠، والدرر ٢/ ٤٢٥، شرح ابن الناظم ص٣٧٦، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٩٨، وشرح المفصل ٩/ ١٣٩،

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك؟ ابن عقيل ٩٩/٢

ومغني اللبيب ١/ ٤١، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٢.
٣ أمالي ابن الحاجب ١/ ٤٧.." (١)

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.
كِتَابُ الرُّهُونِ قَالَ الشَّيْخُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - " الرَّهْنُ مَالٌ قَبْضُهُ تَوَثُّقٌ بِهِ فِي دَيْنٍ " قَوْلُهُ " الرَّهْنُ " الرَّهْنُ فِي اللُّغَةِ اللُّزُومُ وَالثُّبُوتُ فَمَا ثَبَتَ وَلَزِمَ فَهُوَ رَهْنٌ وَفِي الشَّرْعِ أَخَصُّ وَقَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - " مَالٌ " جِنْسٌ مُنَاسِبٌ لِلرَّهْنِ لِأَنَّ الرَّهْنَ بِمَعْنَى الْمَرْهُونِ (فَإِنْ قُلْتَ) لِأَيِّ شَيْءٍ عَرَّفَ الشَّيْخُ الِاسْمَ وَتَرَكَ الْمَصْدَرَ وَقَدْ عَرَّفَ الْأَمْرَيْنِ فِي الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا وَحَقُّهُ هُنَا كَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّهْنَ يَصْدُقُ عَلَى إعْطَائِهِ وَهُوَ الْمَصْدَرُ (قُلْتُ) قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الشَّيْخَ رُبَّمَا وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ جَوَابٌ فِيهِ عَنْهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ إذَا اسْتَعْمَلَ مَعْنَى فِي عُرْفِ الشَّرْعِ فَإِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى فَإِنْ صَحَّ اسْتِعْمَالُهُ فِي غَيْرِهِ عَرَّفَهُمَا وَهُنَا قَدْ ذُكِرَ بَعْدُ أَنَّ إطْلَاقَاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى الْمَرْهُونِ أَنَّهُ رَهْنٌ وَلِذَلِكَ رَدَّ عَلَى ابْنِ شَاسٍ بَعْدُ فِي كَوْنِهِ صَيَّرَ الْمَرْهُونَ رُكْنًا فَلِذَا اقْتَصَرَ عَلَى مَا ذُكِرَ (فَإِنْ قُلْتَ) وَكَيْفَ اعْتَرَضَ هُنَا عَلَى ابْنِ الْحَاجِبِ بِأَنَّ رَسْمَهُ إنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْمَصْدَرَ وَهُوَ غَيْرُهُ (قُلْتُ) هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِعْمَالِ الرَّهْنِ فِي الْمَعْنَيَيْنِ إذَا تَأَمَّلْهُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ وَيَصِحُّ رَدُّهُ عَلَى ابْنِ الْحَاجِبِ بِمَا ذَكَرَهُ قَوْلُهُ " قَبْضُهُ " هَذَا أَشَارَ بِهِ إلَى أَنَّ الرَّهْنَ يَتَقَرَّرُ مِنْ غَيْرِ قَبْضٍ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَإِنْ وَقَعَ مِنْهُ صِحَّةُ التَّوَثُّقِ بِهِ قَوْلُهُ " فِي دَيْنٍ " أَشَارَ بِذَلِكَ إلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الرَّهْنُ فِي مُعَيَّنٍ وَإِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي دَيْنٍ وَالدَّيْنُ لَا يَتَقَرَّرُ فِي الْمُعَيَّنَاتِ (فَإِنْ قُلْتَ) إذَا صَحَّ لَهُ ذَلِكَ فَقَدْ يُقَالُ أَنَّ حَدَّهُ غَيْرُ مُنْعَكِسٍ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي كُتُبِ الْفُقَهَاءِ أَنَّ الرَّهْنَ يَصِحُّ فِي الْعَارِيَّةِ وَإِطْلَاقَاتِهِمْ تَدُلُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَمَا تَقَدَّمَ (قُلْتُ) الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ الرَّهْنَ الْمَذْكُورَ لَمْ يَكُنْ فِي الْمُعَيَّنِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي قِيمَتِهِ إذَا هَلَكَ وَكَانَ مِمَّا يُغَابُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ تَأَوَّلُوا مَا وَقَعَ لَهُمْ وَهُوَ صَحِيحٌ (فَإِنْ قُلْتَ) الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ ذَكَرَ بَعْدَمَا يُوجِبُ إشْكَالًا عَلَى فَهْمِ السَّامِعِ فِي حَدِّهِ هُنَا فَإِنَّهُ قَالَ الْمَرْهُونُ فِيهِ مَالٌ كُلِّيٌّ لَا يُوجِبُ الرَّهْنَ فِيهِ إلَى آخِرِ حَدِّهِ عَلَى مَا سَيَأْتِي فَقَالَ قَوْلُنَا مَالٌ دُونَ دَيْنٍ فِي الذِّمَّةِ لِيَشْمَلَ الْكِتَابَةَ وَيَخْرُجُ بِالْكُلِّيِّ الْمَالُ الْمُعَيَّنُ فَظَهَرَ لِي حِينَ الْإِقْرَاءِ فِي حَدِّ الشَّيْخِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إنْ قُلْتَ إنْ صَحَّ حَدُّ الْمَرْهُونِ فِيهِ فَذَلِكَ يُوجِبُ عَدَمَ عَكْسٍ." (٢)

"ولا بطلا كالهزبر له مكان اللبد الدرع ولا جاريةً كالمهاة لها خدم من شبهها والمهاة التي هي البقرة الوحشية لا خدم لها من شبهها

ترمي على شفراتِ الباتراتِ بهم ... مكامنُ الأرض والغيطان والأكمُ
أي لقرب حينهم وحلول آجالهم لم ينفعهم الهرب حتى كأن مهاربهم من الغيطان والجبال ترمي بهم على حد السيف

وجاوزوا أرسناسا معصمين به ... وكيف يعصمهم ما ليس ينعصمُ

(١) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو؟ خالد الأزْهَري ٢/١٦٩
(٢) شرح حدود ابن عرفة؟ الرصاع ص/٣٠٤

يقول قطعوا هذا النهر متمسكين بقطعه ليعصمهم عنك وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم منك لأنك تقطعه وتربه بالسفن ورآءهم

وما يصدك عن بحرٍ لهم سعةٌ ... وما يردك عن طودٍ لهم شممُ
أي سعة بحارهم لا تصدك عنها لأنك تقطعها وإن كانت واسعةً وارتفاعُ جبالهم لا يردك عنها لأنك تفرعها

ضربته بصدور الخيل حاملةً ... قوماً إذا تلفوا قدما فقد سلموا
يقول ضربت النهر بصدور الخيل حتى عبرته وهي تحمل قوما التلف عندهم في الأقدام سلامة أي لا يهابون التلف بل يتسرعون إليه

تجفل الموج عن لبات خيلهمِ ... كما تجفل تحت الغارة النعمُ
يقول الموج ينبسط على الماء صادرةً عن صدور خيلهم السابحة فيه كما تنبسط النعم متفرقةً عند الغارة والتجفل الإسراع في الذهاب

عبرت تقدمهم فيه وفي بلدٍ ... سكانهُ رممٌ مسكونها حممُ
عبرت النهر بتقدم الفرسان فيه وفي بلد قتلت أهلها فصاروا رمما واحرقت مساكنهم فصارت حمما وحمم جمع حمة وهل كل ما احترق بالنار ومنه قول طرفة، أشجاك الربعُ أم قدمه أم رمادٌ دارسٌ حممهُ،

وفي أكفهم النار التي عبدت ... قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرمُ
يعني السيوف التي كانت مطاعةً في كل وقت قبل أن عبدت المجوسُ النار وهي نارٌ تضطرم إلى هذا اليوم أي تتوقد وتتبرق

هندية إن تصغر معشرا صغروا ... بحدها أو تعظم معشرا عظموا
قاسمتها تل بطريقٍ فكان لها ... أبطالها ولك الأطفال والحرمُ
قاسمت سيوفك هذه البلدة يعني أهلها فأعطيتها المقاتلة أي قتلتهم وسبيت الذرية والنساء

تلقى بهم زبد التيار مقربةٌ ... على جحافلها من نضحه رثمُ
عنى بالمقربة السفن جعلها كالخيل المقربة وقد ذكرناها والنضح أثر الماء والرثم بياض في شفة الفرس العلياء يريد أنه عبر بالسبي الماء وهم في زوارق وسميريات ولما سماها مقربة جعل ما لصق من زبد الماء بها كالرثم في جحافل الخيل

دهم فوارسها ركاب أبطنها ... مكدودةٌ وبقومٍ لا بها الألمُ

أي سود مقيرةٌ يركب بطنها لا ظهرها والتعب في سيرها على الملاحين لا عليها

من الجياد التي كدت العدو بها ... وما لها خلق منها ولا شيمُ

يقول هذه المقربة يعني الزوارق من الخيل التي جعلتها كيدا لاعدائك وليس لها خلق الخيل وصورها ولا أخلاقها

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ ... كلفظ حرف وعاهُ سامعٌ فهمُ

أي هم مما أحدثه رأيك في وقت قريب المدة كالمدة في فهم السامع كلمةً بها ناطق أي كانت المدة في اتخاذها كالمدة في فهم السامع حرفا أي كلمةً ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم مما له معنى كع من وعيت ود من وديت

وقد تمنوا غداة الدرب في لجبٍ ... أن يبصروك فلما أبصروك عموا

اللجب اختلاط الأصوات واللجب بكسر الجيم نعتٌ للجيش العظيم الذي تختلط اصواتهم يقول أرادوا أن يبصروك فلما أبصروك غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا وذكر ابن جنى في تفسير عموا وجهين احدهما هلكوا وزالت ابصارهم والآخر عموا عن الرأى والرشد أي تحيروا وكلاهما ليس بالوجه

صدمتهم بخميس أنت غرتهُ ... وسمهريتهُ في وجههِ غممُ

جعل الرماح في هذا الجيش كالغمم في الوجه وهو كثرة الشعر وهو من قول الآخر، فلو أنا شهدناكم نصرنا، بذي لجب أزب من العوالي،

فكان أثبت ما فيهم جسومهم ... يسقطن حولك والأرواح تنهزم

والأعوجية ملء الطرق خلفهم ... والمشرفية ملء اليوم فوقهم

الأعوجية الخيل المنسوبة إلى أعوج فحل معروف عن فحول العرب أي كانت لكثرتها تملأ الطرق وجعل السيوف ملء اليوم لأنها تعلوا في الجو وتنزل عند الضرب في الهواء فأينما كان النهار كانت السيوف وهذا مبالغة في القول وإغراق في الوصف

إذا توافقت الضربات صاعدةً ... توافقت قللٌ في الجو تصطدمُ." (١)

"سعيد البصريّ «١» . حيث يقول:

النّحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلّها ... فأجلّها عندي مقيم الألسن

قال صاحب «الريحان والريعان» : واللحن قبيح في كبراء الناس وسراتهم، كما أن الإعراب جمال لهم، وهو يرفع الساقط من

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي؟ الواحدي ص/٣٠١

السّفلة ويرتقي به إلى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنفه. قال: وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى؛ فإن اللحن يغيّر المعنى واللفظ ويقلبه عن المراد به إلى ضدّه حتّى **يفهم السامع** خلاف المقصود منه. وقد روي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ

«٢» بجرّ رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال: أو بريء الله من رسوله؟، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية. على أن الحسن «٣» قد قرأها بالجرّ على القسم وقد ذهب على الأعرابيّ فهم ذلك لخفائه. وقرأ آخر:

إنّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ

«٤» برفع الأوّل ونصب الثاني، فوقع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمة وضمة إلى فتحة فقيل له: يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحدا! فتنبه لذلك وتفطّن له. وسمع أعرابيّ رجلا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا؟. وقال رجل لآخر ما شانك؟ بالنصب فظنّ أنه يسأله عن شين به فقال عظم في وجهي. وقال رجل لأعرابيّ: كيف أهلك؟ بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهّم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلبا. ودخل رجل." (١)

"الباب الثاني من الخاتمة في مطارات الحمام الرّسائليّ، وذكر أبراجها المقرّرة بطرق الديار المصرية والبلاد الشّاميّة، وفيه فصلان

الفصل الأوّل في مطاراته

قد تقدّم في الكلام على أوصاف الحمام- عند ذكر ما يحتاج إلى وصفه في أواخر مقاصد المكاتبات من المقالة الرّابعة- أنّ الحمام اسم جنس يقع على هذا الحمام المتعارف بين الناس، وعلى اليمام والدّباسيّ والقماريّ والفواخت وغيرها، وأنّ المتبادر إلى **فهم السامع** عند ذكر الحمام هو هذا النّوع المخصوص، وأن أغلاه قيمة وأعلاه رتبة الحمام الرسائليّ، وهو الذي يتّخذه الملوك لحمل المكاتبات، ويعبّر عنه ب «الهدي» . وتقدّم هناك الكلام على ذكر ألوانها على اختلافها، وعدد الرّياش المعتبرة فيها، وهي رياشّ أجنحتها وأذنابها، وبيان الفرق بين الذّكر والأنثى، وصفة الطائر الفاره، والفراسة في نجابته في حال صغره، والزّمان والمكان اللائقين بالإفراخ، وما يجري مجرى ذلك مما يحتاج إليه الكاتب عند وصفه لبيان النّجيب منه من غيره، فأغنى عن ذكره هنا.

والمختصّ منه بهذا المكان ذكر الاعتناء بهذا الحمام، وأوّل من اهتمّ." (٢)

"وتقع بين مفردين؛ متوسطًا بينهما ما لا يسأل عنه؛ نحو: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ ١.

أو متأخراً عنهما؛ نحو: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ ٢. وبين فعليتين؛ كقوله:

فقلت أهي سرت أم عادني حلم٣

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء؟ القلقشندي ٢٠٦/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء؟ القلقشندي ٤٣٤/١٤

بأحدهما في تأدية المعنى المطلوب؛ لأن التسوية وطلب التعيين لا يكونان إلا بين متعدد، وتسمى كذلك:"أم" المعادلة، لمعادلتها الهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول، وإفادة الاستفهام في النوع الثاني.

وتخالف همزة التسوية، الهمزة التي يطلب بها التعيين في أن الأولى لا تستلزم جوابًا؛ لأن الكلام معها خبر قابل للصدق والكذب. أما الثانية، فتتطلب جوابًا بتعيين أحد الشيئين؛ لأنها لم تنسلخ عن الاستفهام.

١ الاستفهام هنا توبيخي، والسؤال عن المبتدأ وهو "أنتم"، والمعادل "السماءِ" المعطوفة على أنتم، وهما مفردان، وقد توسط بينهما غير المسئول عنه؛ وهو ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ الواقع خبرًا تقديرًا عن المتعاطفين. من الآية ٢٧ من سورة النازعات.

٢ المسئول في هذه الآية عن الخبر وهو قريب وبعيد، والمسئول عنه متأخر، وهو ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ ؛ وذلك لأن شرط الهمزة المعادلة لأم أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين أحدهما، ويلي "أم" المعادل الآخر؛ ليفهم السامع من أول الأمر ما يطلب تعيينه، ويرى سيبويه: أن إيلاء المسئول عنه الهمزة أولى لا واجب. وإذا عادلت "أم" بين مثبت ومنفي فالغالب أن يلي المثبت الهمزة والمنفي أم.

٣ عجز بيت من البسيط لزياد بن حمل؛ وقيل: لزياد بن منقذ العدوي، من كلمة يحن فيها إلى وطنه، وصدره:

فقمت للطيف مرتاعًا فأرقني

وقبله:

زارت رقية شعثاً بعد ما هجعوا ... لدى نواحل في أرساغها الخدم

اللغة والإعراب: الطيف: المراد به خيال المحبوبة الذي يراه في النوم. مرتاعًا: خائفًا؛." (١)

"٢- دلالة اللفظ على بعض مسماه، وتسمى: "دلالة التضمن، كدلالة البيت على السقف أو الحائط.

٣- دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الإنسان على كونه متحركا أو شاغلا لجهة، أو نحو ذلك، وشرطه اللزوم الذهني١ "سواء أصاحبه لزوم خارجي، أم لا" بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصول فيه إما على الفور، أو بعد التأمل في القرائن والأمارات، لكن لا يشترط أن يكون اللزوم مما يثبته العقل٢، بل يكفي أن يكون لعرف عام٣، أو عرف خاص٤، كاصطلاحات أرباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية.

والدلالة الأولى تسمى عند البيانيين وضعية، ويستحيل تفاوتها وضوحا وخفاء؛ لأن السامع لشيء من الألفاظ الموضوعية، إما أن يكون عالما بالوضع للمسمى أولا، فإن كان الأول فإنه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان، وإن كان الثاني فإنه لا يعرف منه شيئا أصلا.

والثانية والثالثة تسميان: عقليتين؛ لأن دلالة اللفظ على الجزء، واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم حصول الجزء، ووجود الملزوم مستلزم وجود اللازم، ويتأتى فيهما الاختلاف وضوحا وخفاء، إذ اللوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق إلى الذهن فهمه بسرعة، وبعضها بعيد، فيصح اختلاف الطرق فيها، ويكون بعضها أكمل من بعض في

(١) ضياء السالك إلى أوضح المسالك؟ محمد عبد العزيز النجار ٣/٢٠٠

الإفادة.

وكذا يجوز أن يكون المعنى جزءا من شيء وجزءا من شيء آخر، فدلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى، أوضح دلالة من الشيء الذي ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى.

---

١ أي: إنه لا يشترط باللزوم الخارجي أيضا، ألا ترى أن العمى يدل على البصر التزاما إذ هو عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا مع التنافي بينهما في الخارج.

٢ وهو اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين وإلا لما تأتى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام ولخرج كثير من المعاني المجازية والكنائية؛ لأنه ليس بينها وبين ملزوماتها مثل هذا اللزوم.

٣ كلقاء الحبيب بالنسبة لاختلاج العين. إذ كثير من الناس يعتقد أن اختلاج العين يبشر بلقاء الحبيب، فإذا قلت لواحد: من هؤلاء عيني تختلج. فهم من ذلك أنك ستلقى حبيبا.

٤ كما إذا قلت: هذا قدوم، على فهم السامع أنه نجار.." (١)

"أمر الدنيا والدين، فهو غاية علم العالم وبصر البصير وفهم السامع، ليس كسائر الأشياء التي تدخلها الشبهات ويجرحها الإغفال ويشوبها الوهن؛ وذلك أنّ الله تعالى جعل مغرسه القلب؛ وأغصانه العمل، وثمرته الثواب. وإنما جعل القلب لليقين مغرسا، لأنه جعل الخمس الجوالب لعلم الأشياء كلّها إلى القلب: السمع والبصر والمجسّة والمذاقة والاسترواح. فإذا صارت الأشياء إليه ميّز بينها العقل، ثم صارت بأجمعها إلى اليقين، فكان هو المثبت لها والموجّه كلّ واحدة منهن جهتها. ولولا معرفة القلب بالعقل الذي جعله الله لذلك، لم يفرق سمع بين صوتين مختلفين، ولا بصر بين صورتين متقاربتين، ولا مجسّة بين شيئين غير متشابهين. ولليقين بعد ذلك منزلة يعرف بها حال الضارّ والنافع في العاقبة عند الله تعالى. فلما صار اليقين في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب، أغصانها العمل وثمرتها الثواب، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتا بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتة بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعا إلا بيقين؛ وكما أنه لا تخلف الثمرة في الطيب والكثرة إذا كان الأصل نابتا والأغصان ملتفّة، فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله. وقد تعرض للأعمال عوارض من العلل؛ منهنّ الأمل المثبّط «١» ، والنفس الأمّارة بالسوء، والهوى المزيّن للباطل، والشيطان الجاري من ابن آدم مجرى الدم، يضررن بالعمل والثواب، ولا يبلغ ضررهن اليقين، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتذوي أغصانها وتنثر ورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت؛ فإذا تجلّت الآفة عادت إلى حال صلاحها. فإذا يعجبك من عمل امرىء لا يشبه يقينه وأنّ يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه؟ فإنما العجب." (٢)

---

(١) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع؟ المراغي، أحمد بن مصطفى ص/٢١٠

(٢) عيون الأخبار؟ الدّينَوري، ابن قتيبة ٣٧٦/٢

"حكم من حلف كذبا لدفع ضرر

ƒ.[والدي غاضب من أخي وقد طرده من البيت منذ فترة وفي يوم غضب مني ومن أخي الأكبر مني لأنه عتقد بأننا كنا مع أخينا المطرود وكان أبي بحالة نفسية سيئة وغاضب جدا منا وهو أصلاً عنده القلب وارتفاع الضغط والسكر وفي ذلك اليوم سألنا إن كنا مع أخينا أو لا فأنكرنا ذلك، ولكنه لم يقتنع فأحضر المصحف وطلب منا وضع أيدينا على المصحف وأن نحلف بأننا لم نره ففعلنا خوفاً منا عليه، ونحن نادمون على ما فعلنا ويعلم الله أننا ما فعلنا ذلك إلا اتقاء لغضبه، فماذا نفعل؟ جزاكم الله خيراً.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فليس من شك في أن الحلف على الكذب ذنب عظيم وإثم كبير، ولا سيما إذا كان مغلظاً بإحضار المصحف والحلف عليه، ومن حلف بالله كاذباً متعمداً فقد ذهب الجمهور إلى أنه لا كفارة عليه، إذ أنه أتى بذنب أعظم من أن تمحو أثره كفارة يمين، وإنما الواجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى مما ارتكبه وتجرأ عليه.

وذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى وجوب الكفارة عليه، لعموم قوله تعالى: لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴿المائدة:٨٩﴾ ، ولعل الجمع بين التوبة والكفارة أسلم، إعمالاً للنصوص كلها، وخروجاً من خلاف أهل العلم، ولأن موجب التوبة والكفارة قائم، فلا يغني أحدهما عن الآخر، والله أعلم.

أما بالنسبة للحلف على الكذب فقد رُخص فيه فيما إذا تعين للوصول إلى حق أو لدفع ضر بحيث لا يتحقق ذلك بدون الكذب، والدليل على جواز الكذب في هذه الحال حديث أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً. متفق عليه.

وبما أنك ذكرت أن أباك كان في حالة نفسية سيئة، وأنه في الأصل مصاب بمرض القلب وارتفاع الضغط والسكري، وأنكما ما حلفتما إلا خوفاً عليه من تفاقم أزمته... فليس من شك في أن هذه مصلحة تلزم مراعاتها من الأب، وبالتالي فلا نرى عليكما ذنباً فيما صدر منكما من اليمين، وكان عليكما أن تستعملا التورية في اليمين بأن تتلفظا بكلام يحتمل أكثر من وجه، فتقصدون شيئاً ويفهم السامع شيئاً آخر، وفي هذا المقام لو قلتم: ما رأيناه تقصدون لم نصب رئته بضرب ونحوه فهذا من التورية، وعليكما الآن أن تكفرا عن يمينكما احتياطاً كما قدمنا.

والله أعلم.

عليه الصلاة والسلام ١١ شوال ١٤٢٨." (١)

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٢٨٠/١٩

"الوقف على آخر الكلمة

ƒ.[بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على أفضل النبيين وعلى آله وصحبه أجميعن الى يوم الدين.. أما بعد: السلام عليكم أيها الأخوة الكرام في الإيمان والإسلام.. السؤال: كيف تقرأ حركة الكسرة في أواخر الآيات؟ علما بأنه إذا لم تقرأ هذه الحركة فالمعنى يختلف ! مثال (فاتقون)].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالأصل في الوقف على أواخر الكلام أن يوقف عليها بالسكون كما أنه لا يبتدأ الكلام إلا بحرف متحرك.

وقد يحذف الحرف وتقوم الحركة مقامه وتدل عليه، كما حذفت الياء في الكلمة المذكورة في السؤال (فاتقون) وبقيت الكسرة دالة عليها.

ولا يختلف المعنى بحذف الياء وبقاء الكسرة دالة عليها ومن ثم تسكين الحرف عند الوقف عليه. إذ يدل على الضمير المحذوف سياق الكلام، ومنه يفهم السامع والتالي المعنى المراد، ومثال ذلك قوله تعالى: (وإياي فاتقون) [البقرة: ٤١] وقوله: (لكم دينكم ولي دينِ) [الكافرون: ٦] وهكذا.

وإذا وقفت على الكلمة المكسور آخرها فلك أن تقف عليها بالسكون كما سبق. لأن السكون أصل الوقف – وهذا في حال قصر الكلمة وتوسطها وإشباعها أي في حال مدها حركتين أو أربع أو ست.

ولك كذلك أن تقف عليها بالروم في حال القصر فقط، والروم هو الإتيان ببعض حركة الكسر بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد. والله أعلم.

عليه الصلاة والسلام ١٦ صفر ١٤٢٠." (١)

"تفسير الآيتين الكريمتين ٢٣٤-٢٣٥ من سورة البقرة

ƒ.[الرجاء تفسير الآيتين الكريمتين ٢٣٤-٢٣٥ من سورة البقرة ؟

وهل يجوز للشاب التحدث مع الفتاة التي يريد خطبتها دون وجود محرم ولكن في مكان عام ؟

وجزاكم الله عنا كل خير .].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالآية الأولى من الآيتين المطلوب تفسيرهما هي قول الله تعالى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴿البقرة: ٢٣٤﴾ قال أهل التفسير (والذين يتوفون منكم) أي يموتون (ويذرون أزواجا) أي يتركون أزواجا (يتربصن) ينتظرن (بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) أي يعتددن عدة الوفاة على فراق أزواجهن بترك الزينة والطيب المدة

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٢/١٤٦٠

المذكورة، إلا إذا كن حوامل فتكون عدتهن وضع حملهن كما قال تعالى: وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿الطلاق: ٤﴾ وكانت عدة الوفاة قبل نزول هذه الآية سنة كما قال تعالى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴿البقرة: ٢٤٠﴾ فنسخت بهذه الآية، (فإذا بلغن أجلهن) انقضت مدة عدتهن (فلا جناح عليكم) أي لا حرج عليكم (فيما فعلن في أنفسهن) من اختيار الأزواج لأنفسهن دون العقد، فإن العقد أمره إلى الولي ، وقيل (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) من التزين للخطاب زينة لا ينكرها الشرع (والله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه شيء من أمركم يعلم السر وأخفى .

وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى : وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴿البقرة: ٢٣٥﴾ أي المعتدات عدة الوفاة، والتعريض هو التلويح بالشيء وبالكلام بحيث يفهم السامع المراد من غير تصريح مثل أن يقول: إنك لصالحة ومثلك يُرغَب فيه ، أو يهدي لها أو ما أشبه ذلك ، ولا تجوز الخطبة في العدة مطلقا ولا يجوز التعريض بها؛ إلا في عدة الوفاة، أو ممن حرمت على زوجها ولا يمكن له الرجوع إليها ، (أو أكننتم في أنفسكم) أي لا حرج عليكم فيما أخفيتم وأسررتم في قلوبكم ، (علم الله أنكم ستذكرونهن) بقلوبكم (ولكن لا تواعدوهن سرا) أي لا تأخذوا منهن عهدا وميثاقا سرا ألا ينكحن غيركم ، وقيل غير ذلك (إلا أن تقولوا قولا معروفا) وهو ما ذكر من التعريض بالخطبة (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح حتى تنقضي العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي خافوا غضبه وعقابه (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة .

والآيتان الكريمتان من أهم آيات الأحكام الواردة في تنظيم الأحوال الشخصية، وفيهما أبحاث مطولة يرجع إليها في كتب التفسير وفي كتب آيات الأحكام بصفة خاصة ، ونلاحظ أن في ختام كلا الآيتين تعقيبا مناسبا لما ورد فيهما من الأحكام؛ كما هو شأن القرآن الكريم عندما يأمر بأمر أو ينهى عنه أو يبين حكما فيأتي التعقيب على ذلك باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته تناسب المقام أو التنبيه على مراقبته تعالى وترغيب المسلم في امتثال أوامره أو ترهيبه من تعدي حدوده ليكون ضمير المسلم حارسا لهذه الأحكام من تلقاء نفسه دون التفات إلى حاكم ، وبذلك تختلف الأحكام الشرعية والأوامر الربانية عن غيرها من قوانين البشر التي لا بد للبشر أن يحرسوها بأنفسهم، فإذا غاب الراعي عن أعينهم نبذوا تلك التعليمات والأحكام وداسوا عليها الأقدام . ملخصا من مجموعة من كتب التفسير .

أما الشق الثاني من السؤال فيراجع الجواب عليه في الفتاوى التالية: ٤٩٨٤٦ ، ٢١٢٤٣ ، ٩٧٨٦ .

والله أعلم .

عليه الصلاة والسلام ١٥ جمادي الأولى ١٤٢٧." (١)

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٢/٢٣٠٤

"الكذب على الأطفال.. مباح أم حرام

ƒ.[هل يجوز الكذب على الأطفال حتى لا ألبي بعض مطالبهم؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالكذب على الأطفال محرم كالكذب على الكبار، ففي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال صبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة ، وصححه الأرناؤوط وقال: على شرط الشيخين.

وفي الكذب على الأطفال من المضار ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك:

- تعويد الأطفال على الكذب إن هم علموا بذلك.

- فقد ثقة الطفل في أبويه حينما يجرب عليهما الكذب.

وغير ذلك من المضار، لكن بوجه عام إذا اضطر المرء إلى الكذب، وكان في كذبه مصلحة محققة مع عدم الإضرار بالغير، فقد أباح العلماء له ذلك، وقد بيناه في الفتوى رقم: ٢٥٦٢٩ .

قال الإمام البخاري رحمه الله: باب المعاريض مندوحة عن الكذب. ا.هـ

ومعنى المعاريض: أن يتكلم بكلام يقصد منه شيئاً، وظاهر لفظه يدل على غير ما قصد، كما كان يقول أبو بكر حينما سئل وهو مهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هذا معك؟ فكان يقول: هادٍ يهديني رواه أحمد وغيره، وهو صحيح.

فيفهم السامع أنه يقصد بالهادي الدليل الذي يدل على الطريق، وهو يقصد الهادي الذي يهدي إلى الله تعالى، وذلك لئلا يعلموا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذوه.

فما كان من باب تحصيل المصلحة دون الإضرار بأحد جاز فيه الكذب على الأطفال وغيرهم، والمعاريض في هذه الحالة أفضل، وما لم تكن فيه مصلحة فلا يجوز الكذب فيه بحال، وراجع الفتوى رقم: ٢٦٣٩١ ، والفتوى رقم: ٣٥٣٠٨ .

والله أعلم.

عليه الصلاة والسلام ٠٢ رجب ١٤٢٤." (١)

"الفرق بين التورية والكذب

ƒ.[ما الفرق بين التورية والكذب ؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالتورية لغة: مصدر وَّرى الشيء يوريه تورية أخفاه وستره. وهي في الاصطلاح: أن يتكلم المتكلم بكلام له معنى ظاهر متبادر للسامع، وله معنى آخر خفي. ومقصود المتكلم هو هذا المعنى الخفي، إلا أنه ورّاه وأخفاه بذلك المعنى الظاهر

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٣٣٨٧/٩

المتبادر. ويلجأ المتكلم عادة لهذا الأسلوب إذا كان لا يريد الإخبار بالحقيقة لسبب ما، ولا يرضى بالوقوع في الكذب.
من أمثلة ذلك" ما رأيت زيداً " فهذه الجملة تدل على معنى ظاهر متبادر وهو نفي رؤيتك لزيد، وتحمل معنى آخر خفياً وهو نفي أن تكون قد أصبت رِئة زيد، سألك أحد هل رأيت زيداً؟ وكنت قد رأيته إلا أنك لا تريد أن تخبر بذلك إما لخوفك على زيد من ذلك الشخص، وإما لسبب آخر، ولا ترضى لنفسك الوقوع في الكذب فتوري قائلاً " ما رأيته " فيفهم السامع المعنى المتبادر، وأنت تقصد المعنى الخفي.
والتورية في الأصل غير مذمومة من الناحية الشرعية إلا إذا توصل بها إلى إحقاق باطل أو إبطال حق أو نحو ذلك.
أما الكذب فهو الإخبار بالشيء على خلاف الواقع.
وهو في الأصل محرم مذموم شرعاً وعادة، ولا يجوز الإقدام عليه إلا لضرورة لا يمكن دفعها بغيره.
وبهذا التعريف لكل من التورية والكذب، ومعرفة الحكم الشرعي لكل واحد منهما تعرف الفرق بينهما.
... ... والله أعلم
عليه الصلاة والسلام ٢٧ ذو القعدة ١٤٢١." (١)
"مكتبة الإملاء
من الكتب المفيدة في مجال الإملاء:
أولا: المفرد العلم في رسم القلم للسيد أحمد الهاشمي١ وقد تناول الكاتب في هذا الكتاب في المقدمة مبادئ علم الرسم. وتحدث عن تعريف الكتابة لغة واصطلاحا، ثم قسم الكتاب إلى ثمانية مباحث رئيسية عالج فيها؛ الهمزة بأنواها، وطرق كتابتها والألف اللينة، وما يجب فصله ووصله، والحروف الزائدة والحروف التي تحذف وحكم تاء التأنيث ونقط الياء وإهمالها، وتناول في الخاتمة الكلمات التي تحذف إشكالًا على فهم السامع. ثم أورد طائفة من الأسئلة على قواعد الإملاء المختلفة مع جملة من النصائح والإرشادات، ويتميز هذا الكتاب بكثرة الأمثلة التطبيقية.
ثانيا: كتاب أصول الإملاء للدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب٢، يعتبر أوفى الكتب وأجمعها لهذا الفن. وقد نهج مؤلفه نهجا علميا قويما، وتتبع المسائل والخلافات فيها تتبعا دقيقا، وقد عكف على كتب اللغة والنحو والصرف يستشيرها في مختلف المسائل، وركز على كتب النحو إيمانا منه بأن كثيرا من قواعد الكتابة مبني على أصول نحوية، ومنهجه يقوم على ذكر القاعدة، ثم إيراد النصوص الموجودة في كتب المتقدمين مع توضيحها بالأمثلة،

---

١ صدر عن دار القلم ببيروت، لبنان، وطبع عدة طبعات وقد نشرته المكتبة التجارية ط١٥ سنة ١٩٤٨م.
٢ صدر عن دار التراث، الكويت، سنة ١٩٨٢ والطبعة الثانية سة ١٩٨٦م.." (٢)

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٣٧٩٠/٩
(٢) فن التحرير العربي؟ محمد صالح الشنطي ص/١٤٧

"وعِلْمُ الشَّهادةِ عِنْدَ كَوْنِهِم يُوافِقُ علْمَ الْغَيْبِ، والحجةُ تَلْزَمهُم بِالَّذِي يَعْمَلُونَ، وَهُوَ غيرُ مُخالف لِمَا عَلِمَه اللهُ مِنْهُمْ قَبْلَ كَوْنهم. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَطَرْتُ الْمَالَ وطَيَّرْتُه بينَ القومِ فطارَ لكلٍّ مِنْهُمْ سَهْمُه أَي صارَ لَهُ وَخَرَجَ لَدَيْه سَهْمُه؛ وَمِنْهُ قَوْلُ لَبِيدٍ يذكرُ ميراثَ أَخيه بَيْنَ ورثَتِه وحِيازَةَ كُلِّ ذِي سهمٍ مِنْهُ سَهْمَه:

تَطيرُ عَدائِد الأَشْراكِ شَفْعاً ... ووَتْراً، والزَّعامةُ لِلْغُلام

والأَشْرَاكُ: الأَنْصباءُ، واحدُها شِرْكٌ. وَقَوْلُهُ شَفْعًا وَوَتْرًا أَي قُسِم لَهُمْ لِلذَّكَرِ مثلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ، وخَلَصَت الرِّياسةُ والسِّلاحُ لِلذُّكُورِ مِنْ أَولاده. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ ثَمُودَ وتَشاؤُمهم بِنَبِيّهم الْمَبْعُوثِ إِليهم صالحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ، قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

؛ مَعْنَاهُ مَا أَصابكم مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَمِنَ اللَّهِ، وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ اطَّيَّرْنا تَشَاءَمْنا، وَهُوَ فِي الأَصل تَطَيَّرْنا، فأَجابَهم اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: طائِرُكُمْ مَعَكُمْ

؛ أَي شُؤْمُكم معَكم، وَهُوَ كُفْرُهم، وَقِيلَ للشُؤْم طائرٌ وطَيْرٌ وطِيَرَة لأَن الْعَرَبَ كَانَ مِنْ شأْنها عِيافةُ الطَّيْرِ وزَجْرُها، والتَّطَيُّرُ بِبَارِحها ونَعِيقِ غُرابِها وأَخْذِها ذَاتَ اليَسارِ إِذا أَثاروها، فَسَمَّوُا الشُّؤْمَ طَيْراً وَطَائِرًا وطِيرَةً لتشَاؤُمهم بِهَا، ثُمَّ أَعْلَم اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى لِسَانِ

رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن طِيَرَتَهم بِهَا باطِلَةٌ. وَقَالَ: لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هامةَ

؛ وَكَانَ

النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتفاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّرُ

، وأَصْلُ الفَأْلِ الكلمةُ الحسَنةُ يَسْمعُها عَلِيلٌ فَيَتأَوَّلُ مِنْهَا مَا يَدُلّ عَلَى بُرْئِه كأَن سَمِع مُنَادِيًا نَادَى رَجُلًا اسْمُهُ سَالِمٌ، وَهُوَ عَليل، فأَوْهَمَه سلامَتَه مِنْ عِلّته، وَكَذَلِكَ الْمُضِلّ يَسْمع رَجُلًا يَقُولُ يَا واجدُ فَيَجِدُ ضَالَّتَهُ؛ والطِّيَرَةُ مُضادّةٌ للفَأْلِ، وَكَانَتِ العربُ مَذهبُها فِي الفَأْلِ والطِّيَرَةِ واحدٌ فأَثبت النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الفَأْلَ واسْتَحْسَنه وأَبْطَلَ الطِّيَرَةَ وَنَهَى عَنْهَا. والطِّيَرَةُ مِنِ اطَّيَّرْت وتطَيَّرت، وَمِثْلُ الطِّيَرة الخِيَرَةُ. الْجَوْهَرِيُّ تطَيَّرْت مِنَ الشَّيْءِ وَبِالشَّيْءِ، وَالِاسْمُ مِنْهُ الطِّيَرَةُ، بِكَسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ، مِثَالُ العِنَبةِ، وَقَدْ تُسَكَّنُ الياءُ، وَهُوَ مَا يُتَشاءمُ بِهِ مِنَ الفَأْل الردِيءِ. وَفِي الْحَدِيثِ:

أَنه كَانَ يُحِبُّ الفأْلَ ويَكْرَهُ الطِّيَرَةَ

؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: وَهُوَ مصدرُ تطَيَّر طِيَرَةً وتَخَيَّر خِيَرَةً، قَالَ: وَلَمْ يَجِئْ مِنَ الْمَصَادِرِ هَكَذَا غَيْرُهُمَا، قَالَ: وأَصله فِيمَا يُقَالُ التطَيُّرُ بِالسَّوَانِحِ والبوارِحِ مِنَ الظبَاءِ والطَّيْرِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدُّهم عَنْ مقاصِدِهم فنفاه الشرْعُ وأَبْطَلَه وَنَهَى عَنْهُ وأَخْبَر أَنه لَيْسَ لَهُ تأْثيرٌ فِي جَلْب نَفْع وَلَا دَفْع ضَرَرٍ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ:

ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَم مِنْهَا أَحَدٌ: الطِّيَرَةُ والحَسَدُ: والظنُّ، قِيلَ: فَمَا نصْنعُ؟ قَالَ: إِذا تَطَيَّرْتَ فامْضِ، وإِذا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ، وإِذا ظَنَنْتَ فَلَا تُصَحِّحْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ

؛ أَصله تَطَيّرنا فأُدْغمَتِ التَّاءُ فِي الطَّاءِ واجْتُلِبَت الأَلفُ لِيصحَّ الابتداءُ بِهَا. وَفِي الْحَدِيثِ:

الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنّا إِلَّا ... وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُه بالتَّوَكُّل

؛ قَالَ ابْنُ الأَثِير: هَكَذَا جاءَ الْحَدِيثُ مَقْطُوعًا وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُسْتَثْنَى أَي إلا قَدْ يَعْتَرِيه التَّطيُّرُ ويَسْبِقُ إِلى قَلْبه الكراهةُ، فَحُذِفَ اخْتِصَارًا وَاعْتِمَادًا عَلَى **فَهْمِ السَّامِعِ**؛ وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الْآخَرِ:

مَا فِينَا إلا مَنْ هَمَّ أَوْ لَمَّ إلا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا

، فأَظْهَرَ الْمُسْتَثْنَى، وَقِيلَ: إن قولَه

وَمَا مِنَّا إلا

مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَدْرَجَه فِي الْحَدِيثِ،." (١)

"وقيل: استمع، فسوء الإستماع نفاق. وقيل للسائل: على السامع ثلاث أمور: جمع البال، وحسن الإستماع، والكتمان لما يقتضي الكتمان.

وقيل: أساء سمعا فأساء إجابة.

وقال فيلسوف لتلميذ له: أفهمت؟ قال: نعم. قال: كذبت لأن دليل الفهم السرور ولم أرك سررت.

وقيل: نشاط القائل على قدر **فهم السامع**.

وقيل: من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيما.

وقيل فلان في الاستماع ذو أذنين «١» وفي الجواب ذو لسانين «٢» .

قال الشاعر:

إذا حدّثوا لم يخش سوء استماعهم ... وإن حدّثوا قالوا بحسن بيان

وقال رجل: أذني قمع لمن يحدّثني.

النّهي عن محادثة من ساء استماعه

قيل: من لم ينشط لاستماع حديثك ما رفع عنه مؤنة الإستماع. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم إعراضا فأمسك.

وقيل: لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. وقيل حدث حديثين امرأة فإن لم تسمع فأربع، أي كفّ.

الحثّ على إزدياد السّماع على المقال

سمع بقراط «٣» رجلا يكثر من الكلام، فقال له: إن الله تعالى جعل للإنسان لسانا واحدا وأذنين، ليسمع ضعف ما يقول.

تفضيل السماع على المقال

كان أعرابي يجالس الشعبي «٤» فأطال الصمت، فسأله عن ذلك، فقال: أسمع فأعلم، واسكت فأسلم.

---

(١) لسان العرب؟ ابن منظور ٥١٢/٤

وقيل لأعرابي: لم لا تتكلم؟ فقال: حظّ لسان الرجل لغيره وحظّ سمعه له. وقال محمد بن المنكدر: لأن أسمع أحبّ إليّ من أن أنطق، لأن المستمع يتّقي ويتوقّى.." (١)

"من يستطاب سماع الغناء منه

سئل حكيم عن فرق ما بين غناء النساء والرجال، فقال: ما خلقت الأغاني إلا للغواني. وقيل: نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله.

قال الجاحظ: كم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله وبين أن تسمعه من فم تشتهي أن تصرف بصرك عنه، وأيهما أملح أن يغنيك: فحل ملتف اللحية وشيخ منخلع الأسنان متغضن الوجه أو تغنيك جارية كطاقة نرجس أو آس، وأنشد:

من كفّ جارية كأن بنانها ... من فضّة قد طرفت عنّابا

وقيل: أطيب الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك. قال يحيى بن خالد لابن جامع: من أحسن الناس غناء، فقال: من أطرب الخاشع وأفهم السامع. قال الموصلي:

إذا تغنيت بالمديح ففخم أو بالنسب فأخضع أو بالمرائي فأحزن أو بالهجاء فشدد.

غناء يستطاب له الشّراب

سمع رجل غناء حسنا، فقال: السكر على هذا شهادة. وقال كشاجم:

فلست آبى وإن سقوني ... على أغانيه نيل مصر

وقال الخبزارزي:

ولو أن البحور خمر لدينا ... وتغنّيت لارتشفت البحورا

غناء غير مفهوم المعنى

قال أبو تمّام في وصف جارية:

ومسمعة يحار السمع فيها ... طربت لحسنها بصدى غناها

ولم أفهم معانيها ولكن ... ورت كبدي ولم أجهل شجاها «١»

فكنت كأنني أعمى معنّ ... بحبّ الغانيات وما رآها

اقتراح الفارسي

قال بعض الأصفهانيين:

غننا يا غلامنا وأمهنا ... وتنكّب غناءك العربيّا «٢»

إنّنا معشر من العرب ال ... غرّ كرام فغنّنا الفارسيّا

وأسقناها مدامة نازعتها ... وبس دامين بكرة وعشيّا

مغنّ قبيح الغناء

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء؟ الراغب الأصفهاني ١/٩٦

قال بعضهم: كأنه مكوك يتدحرج على درجة. وغنى مغن فقيل لبعض الندماء: كيف ترى؟
فقال:." (١)

"بكير وَهُوَ ثَابت لغَيرهم من الرواة عَن يحيى وثباته الصَّحِيح وَفِي بَاب الْأَمر بالوتر كَانَ ابْن عمر يسلم بَين رَكْعَتَيْنِ والركعة فِي الْوتر كَذَا فِي الْأُصُول عَن يحيى وَثَبت فِي كتاب شَيخنَا ابْن عتاب والركعة لِابْنِ وضاح وَحده وَسقط لغيره عَن يحيى وَهِي ثَابِتَة لِابْنِ بكير وَالصَّوَاب إِثْبَاتهَا وَفِي صَلَاة الْمُسَافِر قَوْله صَلَاة الْأَسير مثل صَلَاة الْمُقِيم زَاد فِي رِوَايَة ابْن المشاط إِلَّا أَن يكون مُسَافِرًا وَعند ابْن وضاح يُرِيد إِلَّا أَن يكون مُسَافِرًا وَسَقَطت هَذِه الزِّيَادَة كلهَا لأكْثر الرواة وبإلحاقها تتمّ الْمَسْأَلَة وَفِي بَاب قِرَاءَة قل هُوَ الله أحد عَن أبي سعيد أَنه سمع رجلا يقْرَأ قل هُوَ الله أحد كَذَا عِنْد يحيى والقعنبي وَمن وافقهما من رُوَاة الْمُوَطَّأ وَعند ابْن بكير عِنْد أبي سعيد أَن رجلا سمع رجلا وَهُوَ الصَّوَاب بِدَلِيل قَوْله فَلَمَّا أصبح غَدا إِلَى رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) وَبِقَوْلِهِ كَانَ الرجل يتقالها وَفِي حَدِيث حميد قل هُوَ الله أحد ثلث الْقُرْآن كَذَا فِي أصُول شُيُوخنَا عَن يحيى وَكَذَا لِابْنِ بكير وَرَوَاهُ بَعضهم عَن يحيى تعدل ثلث الْقُرْآن وَهُوَ أبين بِدَلِيل قَوْله فِي الحَدِيث الآخر أَنَّهَا تعدل ثلث الْقُرْآن وَفِي سَاعَة الْجُمُعَة قَوْله وَهُوَ قَائِم يُصَلِّي كَذَا عِنْد أبي مُصعب وقتيبة بن سعيد وَسقط قَائِم لغَيْرِهِمَا وَفِي لَيْلَة الْقدر أَن رجَالًا من أَصْحَاب رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) ارو لَيْلَة الْقدر فِي السَّبع الْأَوَاخِر كَذَا لَهُم وَعند ابْن عفير وَأبي مُصعب رَأَوْا لَيْلَة الْقدر فِي الْمَنَام وَهُوَ تَمام الحَدِيث وَفِي الزَّكَاة فِي الدّين الْأَمر الْمُجْتَمع عَلَيْهِ عندنَا أَن الدّين لَا يُزَكِّيه صَاحبه حَتَّى يَقْتَضِيهِ كَذَا رِوَايَة يحيى وَسقط عِنْد ابْن مطرف وَابْن بكير والقعنبي الْمُجْتَمع عَلَيْهِ وَكَذَا رده ابْن وضاح وَهُوَ الصَّوَاب للْخلاف الْمَعْلُوم عِنْدهم فِيهِ وَفِي الْجِهَاد لَا يقسم إِلَّا لمن شهد الْقِتَال انْتهى فِي أَكثر النّسخ وَفِي كتاب ابْن عبد الْبر زِيَادَة من الْأَحْرَار وَقَالَ سقط لِأَحْمَد بن سعيد وَفِيه قَوْله لَا يكلم أحد فِي سَبِيل الله وَالله أعلم بِمن يكلم فِي سَبيله إِلَّا جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة اللَّوْن لون دم وَبِه يتم الْكَلَام وَفِي الصّيام لخلوف فَم الصَّائِم أطيب عِنْد الله من ريح الْمسك يذر طَعَامه وَشَرَابه من أَجلي كَذَا لَهُم وَلابْن بكير قَالَ الله يذر وَهُوَ اسْتِقْلَال الْكَلَام لَكِن كثيرا مَا جَاءَت الْأَحَادِيث كَذَا فِيمَا يذكرهُ النَّبِي (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) عَن ربه عز وَجل فَرُبمَا جَاءَ فِي بَعْضهَا قَالَ الله عز وَجل كَذَا وَبَعضهَا لم يَأْتِ فِيهِ اكْتِفَاء **بفهم السَّامع** وَفِي حَدِيث عَائِشَة وَأم سَلمَة رَضِي الله عَنْهُمَا إِن كَانَ رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) ليُصبح جنبا من جماع غير احْتِلَام فِي رَمَضَان ثمَّ يَصُوم كَذَا ليحيى وَلغيره وَزَاد أَبُو مُصعب ذَلِك الْيَوْم وَنقص عِنْد قَوْله من رَمَضَان عَن القعْنبِي وثباتها مُرَاد الحَدِيث وَمَفْهُومه وَفِي جَامع الْحَج ابْن خطل قَالَ ملك وَلم يكن رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) يَوْمئِذٍ محرما وَالله أعلم كَذَا لأكْثر رُوَاة الْمُوَطَّأ عَن يحيى وَعند ابْن قَالَ ملك قَالَ ابْن شهَاب وَكَذَا لكافة رُوَاة الْمُوَطَّأ وَهُوَ الصَّحِيح وَقَوله وَالله أعلم لم يقلهُ غير يحيى وَحده وَفِي أَفْرَاد الْحَج من رِوَايَة أبي الْأسود وَأهل رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) بِالْحَجِّ فَأَما من أهل بِعُمْرَة فَحل وَأما من أهل بِالْحَجِّ أَو جمع الْحَج وَالْعمْرَة فَلم يحلوا حَتَّى كَانَ يَوْم النَّحْر كَذَا ليحيى وَأبي مُصعب وَابْن الْقَاسِم

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء؟ الراغب الأصفهاني ١/٨٢٠

وَعند القعْنبِي وَأهل رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) بِالْحَجِّ فَأما من أهل بِالْحَجِّ أَو جمع لَهُ الْحَج وَالْعمْرَة وَسقط لَهُ مَا بَين ذَلِك وإثباته الصَّوَاب وَهُوَ بِمَعْنى مَا فِي حَدِيثه من الْبَاب بعده وَمَا فِي حَدِيث عُرْوَة." (١)

"يقول: هذه النارة هندية: أي سيوف مطبوعة بالهند، فهي تصغر المقتول وتعظم القتال، ويدرك بها العز والشرف.

قاسمتها تلّ بطريقٍ فكان لها ... أبطالها ولك الأطفال والحرم

يقول قسمت أهل هذه البلد بينك وبين سيوفك، فأعطيتها الأبطال، وأخذت لنفسك النساء والأطفال.

تلقى بهم زبد التّيّار مقربةٌ ... على جحافلها من نضحه رثمٌ

التيار: الموج. والمقربة: ها هنا، هي السفن. والرثم: بياض في شفة الفرس العليا. والضمير في بهم يعود إلى أصحاب الخيل وإلى السبى.

يقول: سبيت الأطفال والحرم، وشحنت بهم السفن، وعبرت بهم النهر. وشبه السفن في النهر بالخيل المقربة، وشبه زبد الماء على مقاديم السفن بالرثم، وجحافل الخيل: أراد بها الخيل نفسها.

دهمٌ فوارسها ركّاب أبطنها ... مكدودةٌ وبقومٍ لا بها الألم

يقول: إن هذه الخيل دهم. يعني: أن السفن مطلية بالقار، وفوارسها يركبون بطونها، بخلاف الخيل التي يركب ظهورها، وهي مكدودة في السير، ولكن ليس بها ألم الكد، وإنما يلحق الكد والتعب قوماً آخرين، وهم الملاحون.

من الجياد الّتي كدت العدوّ بها ... وما لها خلقٌ منها ولا شيم

يقول: هذه السفن، هي بعض خيلك التي تكيد بها عدوك، ولكنها لا تشبهها في الخلقة ولا في الطبع.

نتاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ ... كلفظ حرفٍ وعاه سامعٌ فهم

يقول: هذه السفن كانت نتيجة رأيك لما أردت أن تعبر النهر بالسبي، أنشأتها في أسرع وقت، وكانت المدة في اتخاذها، في القصر كمدة فهم السامع كلمة نطق بها الناطق.

وقد تمنّوا غداة الدّرب في لجبٍ ... أن يبصروك فلمّا أبصروك عموا

في لجب: أي في اختلاط أصوات. وروى: في لجب: أي في جيش ذا لجب.

يقول: كانوا يتمنون لقاءك حين كانوا على الدرب، فلما عاينوك عموا: أي ماتوا، فزالت أبصارهم.

وقيل: تحيروا لما نظروا إليك فلم يملكوا أبصارهم.

وقيل: عموا عن الرأي؛ لما لحقهم من الخذلان.

صدمتهم بخميسٍ أنت غرّته ... وسمهريّته في وجهه غمم

وروى صبحتهم بدل صدمتهم والغمم: كثرة الشعر على الناصية والقفا، شبه الجيش بفرس، وشبه سيف الدولة بغرته، والرماح بشعر ناصيته، وإنما شبهه بالغرة لتقدمه على الجيش، أو لأنه كان يزين الجيش كما تزين الفرس غرته

فكان أثبت ما فيهم جسومهم ... يسقطن حولك والأرواح تنهزم

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار؟ القاضي عياض ٢/٣٨٠

يقول: كانت جسومهم أثبت شيء منهم؛ لأنها إذا سقطت عن الدواب ثبتت مكانها، والأرواح كانت تطير ولا تستقر.
والأعوجيّة ملء الطّرق خلفهم ... والمشرفيّة ملء اليوم فوقهم
الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى أعوج، وهو فرس كريم كان لكندة، فأخذه بنو سليم في بعض أيامهم، فصار إلى بني هلال.
يقول: انهزموا وتبعتهم خيلك وكانت تملأ الطرق، لانبساطها على وجه الأرض. ولما كانت السيوف تعلوا في الجو، جعلها ملء النهار لأنه ما بين السماء والأرض ولأن النهار من الشمس والشمس تعلو.
إذا توافقت الضّربات صاعدةً ... توافقت قللٌ في الجوّ تصطدم
يقول: إذا اتفقت الضربات في الصعود إلى الرءوس: أي وقعت في وقت واحد، توافقت الرءوس في انحدارها، ويصطدم بعضها ببعض، وإنما قال: صاعدة لأن الحذاق يضربون السيوف من تحت إلى فوق وصاعدة نصب على الحال.
وأسلم ابن شمشقيقٍ أليّته ... ألاّ انثني فهو ينأى وهي تبتسم
يقول: انهزم وترك يمينه التي حلف، ألا انثني عنك، فكان يبعد هو في الهرب ويمينه تبسم من عمله بها.
لا يأمل النّفس الأقصى لمهجته ... فيسرق النّفس الأدنى ويغتنم
يقول: هو يتوقع القتل، ولا يطمع في أن يبقى، وهو النفس الأقصى، فيسرق النفس الأدنى: أي الأقرب منه ويعده غنيمة، ولا يأمل أن يتنفس نفساً بعده.
تردّ عنه قنا الفرسان سابغةٌ ... صوب الأسنّة في أثنائها ديم
السابغة: الدرع، وهي فاعلة ترد والهاء في عنه للبطريق.
يقول: إن الخيل كانت في إثره تطعن ظهره وهو منهزم، ولكن رد عنه رماح الفرسان درعه المحكمة، مع أن وقع الأسنة عليها في الكثرة كوقع المطر.
تخطّ فيها العوالي ليس تنفذها ... كأنّ كلّ سنانٍ فوقها قلم
فيها: أي في السابغة.." (١)
"وَمن ذَلِك قَول المتنبي
٦٣ - (أحاد أم سداس فِي أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي)
فَإِن قدرتها فِيهِ مُتَّصِلَة فَالْمَعْنى أَنه استطال اللَّيْلَة فَشك أواحدة هِيَ أم سِتّ اجْتمعت فِي وَاحِدَة فَطلب التَّعْيِين وَهَذَا من تجاهل الْعَارِف كَقَوْلِه
٦٤ - (أيا شجر الخابور مَالك مورقا ... كَأَنَّك لم تجزع على ابْن طريف)
وعَلى هَذَا فَيكون قد حذف الْهمزَة قبل أحاد وَيكون تَقْدِيم الْخَبَر وَهُوَ أحاد على الْمُبْتَدَأ وَهُوَ لييلتنا تَقْدِيمًا وَاجِبا لكَونه الْمَقْصُود بالاستفهام مَعَ سداس إِذْ شَرط الْهمزَة المعادلة لأم أَن يَليهَا أحد الْأَمريْنِ الْمَطْلُوب تعْيين أَحدهمَا ويلي أم المعادل الآخر **ليفهم السَّامع** من أول الْأَمر الشَّيْء الْمَطْلُوب تَعْيِينه تَقول إِذا استفهمت عَن تعْيين الْمُبْتَدَأ أَزِيد قَائِم أم عَمْرو وَإِن

(١) معجز أحمد؟ أبو العلاء المعري ص/٣٥٧

شِئْت أزيد أم عَمْرو قَائِم وَإِذا استفهمت عَن تعْيين الْخَبَر أقائم زيد أم قَاعد وَإِن شِئْت أقائم أم قَاعد زيد وَإِن قدرتها مُنْقَطِعَة فَالْمَعْنى أَنه أخبر عَن ليلته بِأَنَّهَا لَيْلَة وَاحِدَة ثمَّ نظر إِلَى طولهَا فَشك فَجزم بِأَنَّهَا سِتّ فِي لَيْلَة فَأَضْرب أَو شكّ هَل هِيَ سِتّ فِي لَيْلَة أم لَا فَأَضْرب واستفهم وعَلى هَذَا فَلَا همزَة مقدرَة وَيكون تَقْدِيم أحاد لَيْسَ على الْوُجُوب إِذْ الْكَلَام خبر وَأظْهر الْوَجْهَيْنِ الِاتِّصَال لسلامته من الِاحْتِيَاج إِلَى تَقْدِير مُبْتَدأ يكون سداس خَبرا عَنهُ فِي وَجه الِانْقِطَاع كَمَا لزم عِنْد الْجُمْهُور فِي إِنَّهَا لإبل أم شَاءَ وَمن الِاعْتِرَاض بجملة أم هِيَ سداس بَين الْخَبَر وَهُوَ أحاد والمبتدأ وَهُوَ ليلتنا وَمن الْإِخْبَار عَن اللَّيْلَة الْوَاحِدَة بِأَنَّهَا لَيْلَة فَإِن ذَلِك مَعْلُوم لَا فَائِدَة فِيهِ وَلَك أَن تعَارض الأول بِأَنَّهُ يلْزم فِي الِاتِّصَال حذف همزَة الِاسْتِفْهَام." (١)

"وانظر على الفاء التي تسمى فاء فصيحة في قوله تعالى " فتوبوا على بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم "كيف أفادت فامتثلتم فتاب عليكم " وفي قوله " فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت " مفيدة فضرب فانفجرت وتأمل قوله " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى " أليس يفيد فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى وقدر صاحب الكشاف رحمه الله قوله " ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله " نظرا على الواو في وقالا، ولقد أتينا داود وسليمان علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله، ويحتمل عندي أنه أخبر تعالى عما صنع بهما وأخبر عما قالا كأنه قال نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد تفويضا استفادة ترتب الحمد على إيتاء العلم على فهم السامع مثله في فم يدعوك بدل قم فإنه يدعوك وإنه فن من البلاغة لطيف المسلك ومن أمثلة الاختصار قوله تعالى " فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا " بطي أبحت لكم الغنائم لدلالة فاء التسبيب في فكلوا، وقوله " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم " بطي إن افتخرتم يقتلهم فلم تقتلوهم أنتم فعدوا عن الافتخار لدلالة الفاء في فلم وكذا قوله " فإنما هر زجرة واحدة فإذا هم ينظرون " إذ المعنى إذا كان ذلك فما هي إلا زجرة واحدة وكذا قوله " فالله هو الولي " تقديره إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق ولا ولي سواه "." (٢)

"ولكن هناك بونا شاسعا بين هذا التعبير غير الإرادي عن الشعور، وبين النوع العادي للتفاهم، وهو الكلام، فالنوع الأول غرزي غير رمزي؛ لأنه لا يدل على نوع العاطفة، ولكنه فيضان آلي لطاقة العاطفة، وهو جزء من العاطفة نفسها؛ ثم هو لا ينقل فكرة على أي حال، فهو كالنباح والصهيل، وما إلى ذلك.

أما اللغة فهي طريقة إنسانية غير غرزية لنقل الأفكار، والعواطف والرغبات بواسطة نظام من الرموز، التي تستعمل بحسب الإرادة، هذه الرموز سمعية مبدئيا، وهي تنتج عما يسمى عادة أعضاء النطق، وربما جر الكلام عن أعضاء النطق إلى الظن بأن الكلام غرز، ولكن هذه الأعضاء في حقيقتها ليست وظيفتها النطق، وإنما تقوم بوظائف حيوية تساعد على جعل استمرار الحياة أمرا ممكنا.

وجوهر اللغة يتلخص في أنها تخصص رموزا صوتية للعناصر المختلفة للتجارب.

وهذه الرموز يجب أن تكون مخصصة بحسب التعارف، لا بحسب الطبيعة، ولا المنطق، أي أن العلاقة بين الكلمة، وبين

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب؟ جمال الدين ابن هشام ص/٦٩

(٢) مفتاح العلوم؟ السكاكي ص/٢٧٨

مدلولها علاقة اعتباطية غير مسببة.

وللسيوطي١ كلام وجيز يفرق بين اللغة والكلام، ولست أدري إن كان السيوطي واعيا بهذا التفريق أولا، حيث يقول: "فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي؛ لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين، قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير العربية، قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده، فهذا أخس مراتب البيان؛ لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلما فضلا عن أن يسمى بينا بليغا".

وهنا نقطتان هامتان من التفريق، أولاهما أن المتكلم إنما يتكلم على شرط لغة معينة، بمعنى أنه يأتي بكلامه مصوغا بحسب النظم الصوتية والصرفية، والنحوية من مفردات هذه اللغة ومادتها، فالكلام كما يبدو في نظره نشاط عضلي مصوغ من رموز معينة، موضوعة بحسب قواعد معينة هي اللغة، وثانيتها أن الذي يستعمل الإشارة، يستعمل اللغة لا الكلام.

---

١ المزهر ص١٨٧.." (١)

"فَلَمَّا كَانَ بعد ذَلِك قَالَت لَهُ: إِن جَارك هَذَا لَا يدعنا ننام اللَّيْل من قِرَاءَة الْقُرْآن قَالَ: هَكَذَا قومِي؛ رُهْبَان بِاللَّيْلِ، ملوكٌ بِالنَّهَارِ. وَقَالَ عبد الله: إِن بِأَهْل الْمَعْرُوف من الْحَاجة إِلَيْهِ أَكثر مِمَّا بِأَهْل الرَّغْبَة مِنْهُم فِيهِ؛ وَذَلِكَ أَن حَمده وأجره وَذكره وذخره وثناءه لَهُم، فَمَا صنعت من صَنِيعَة أَو أتيت من معروفٍ، فَإِنَّمَا تَصنعهُ إِلَى نَفسك، فَلَا تَطْلُبن من غَيْرك شكر مَا أتيت لي نَفسك. ويروى هَذَا الْكَلَام لِابْنِهِ جعفرٍ رَضِي الله عَنهُ.

عَليّ بن عبد الله بن الْعَبَّاس وَولده

قَالَ عَليّ رَحْمَة الله عيه: من لم يجد مس نقص الْجَهْل فِي عقله، وذلة الْمعْصِيَة فِي قلبه، وَلم يستبن مَوضِع الْخلَّة فِي لِسَانه عِنْد كلال حَده عَن حد خَصمه، فَلَيْسَ مِمَّن ينْزع عَن ريبةٍ، وَلَا يرغب عَن حَال معْجزَة، وَلَا يكترث لفصل مَا بَين حجةٍ وشبهةٍ. وَقَالَ: سادة النَّاس فِي الدُّنْيَا الأسخياء، وَفِي الْآخِرَة الأتقياء. وَقَالَ مُحَمَّد بن عَليّ وَذكر رجلا من أَهله: إِنِّي لأكْره أَن يكون لعمله فضلٌ على عقله كَمَا أكره أَن يكون لِلِسَانِهِ فضلٌ على علمه: وَقَالَ أَبُو مُسلم: سَمِعت إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد الإِمَام يَقُول: يَكْفِي من حَظّ البلاغة أَلا يُؤْتى السَّامع من سوء إفهام النَّاطِق، وَلَا يُؤْتى النَّاطِق من سوء فهم السَّامع. وَكَانَ من الخطباء دَاوُد بن عَليّ، وَهُوَ الَّذِي يَقُول: الْملك فرع نبعةٍ نَحن أفنانها، وذروة هضبةٍ نَحن أَرْكَانهَا. وخطب بِمَكَّة فَقَالَ: شكرا شكرا، إِنَّا وَالله مَا خرجنَا لنحفر فِيكُم نَهرا، وَلَا لنبني فِيكُم قصراً. أَظن عَدو الله أَن لن نظفر بِهِ؟ أرْخى لَهُ فِي زِمَامه، حَتَّى عثر فِي فضل خطامه. فَالْآن عَاد الْأَمر فِي نصابه، وطلعت الشَّمْس من مطْلعهَا،." (٢)

"ومن الناس من استعمل الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد فى الألفاظ والمعاني والأكثرون عليه.

ذكر صفة البلاغة

قيل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلّغك الجنّة، وعدل بك عن النار؛ قال السائل «١» : ليس هذا أريد؛ قال: فما

---

(١) مناهج البحث في اللغة؟ تمام حسان ص/٥٥

(٢) نثر الدر في المحاضرات؟ الآبي ٢٩٩/١

بصّرك مواقع رشدك وعواقب غيّك؛ قال:

ليس هذا أريد؛ قال: من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول؛ قال:

ليس هذا أريد؛ قال: قال النبى صلّى الله عليه وسلم: «إنّا «٢» معشر النبيّين بكاء» - أى قليلوا الكلام، وهو جمع بكىء- وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله؛ قال السائل: ليس هذا أريد؛ قال: فكأنك تريد تخيّر اللفظ فى حسن إفهام؛ قال:

نعم؛ قال: إنّك إن أردت تقرير حجّة الله فى عقول المتكلمين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين المعانى فى قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة رغبة فى سرعة استجابتهم، ونفى الشّواغل عن قلوبهم بالمواعظ الناطقة عن الكتاب والسّنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال: معرفة الوصل من الفصل. وقيل لآخر:

ما البلاغة؟ قال: ألّا يؤتى القائل من سوء **فهم السامع**، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل.." (١)

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب؟ النويري ٧/٧